جنون اسمه الفراعنة

زاهي حواس



زاهي حواس

جنون اسمه الفراعنة



العنوان:
جنون اسمه الفراعنة
تأليف:
زاهي حواس

إشراف عام:
داليا محمد إبراهيم

الترقيم الدولي: 6-1032-14-977
رقم الإيداع: 19174 / 2009
الطبعة الأولى: يناير 2010



تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com
21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

مُقَدِّمَة

عندما بدأت عملي في الآثار المصرية منذ أكثر من أربعين عامًا كنت أحزن كثيرًا لقلة المعلومات الموجودة لدى المصريين والعرب عن الآثار الفرعونية؛ ولذلك بدأت في تبسيط المعلومة الأثرية ووضعها في إطار شائق لا يقلل من أهميتها العلمية بل يضيف لها بريقًا عجيبًا. وقد يعرف البعض أنني أعشق الآثار الفرعونية؛ لذلك فعندما أتكلم عنها كأنني أتكلم عن معشوقة أو حبيبة لي. وأنا أتشرف بكتابة مقالات في جريدة الأهرام المصرية وجريدة الشرق الأوسط التي تصدر من لندن. وأغلب هذه المقالات تتحدث عن لعنة الفراعنة وحقيقة الزئبق الأحمر، ولكن أهم المقالات تتحدث عن الـ Egyptominia أو الولع الذي قد يصل إلى حد الجنون والهوس بكل ما هو فرعوني؛ هذا الشعور موجود لدى كل شعوب العالم عن عالم الفراعنة الساحر. وكنا نعتقد أن الفرنسيين هم فقط المولعون بالفراعنة ولكن اتضح الآن أن العالم كله لديه هذا الجنون؛ جنون معرفة أسرار المومياوات؛ ومعرفة بناة الأهرامات؛ وسر «أبو الهول» حارس الحضارة المصرية؛ وغموض الملك الذهبي توت عنخ آمون.

وأعتقد أن جنون الفراعنة زاد خلال السنوات الماضية، بعد أن استطاعت القنوات العالمية والتلفزيون المصري والفضائيات أن تعرض أفلامًا عن الاكتشافات الأثرية واستطاعت هذه الأفلام أن تدخل قلوب الناس في كل مكان، وأرى هذا واضحًا عندما أزور وادي الملوك وأشاهد آلاف السائحين من كل بقاع الأرض وهم يقولون لي إنهم جاءوا إلى مصر بعدما شاهدوا فيلم الكشف عن مومياء حتشبسوت، أو ما تناقلته

وسائل الإعلام عن عرض مومياء الفرعون الذهبي الصغير توت عنخ آمون داخل مقبرته.

أما العشق داخل مصر أو جنون الفراعنة فلعل هذه الحادثة توضح لنا مدى تأصل الروح الفرعونية في نفوس المصريين مهما تقادمت الأزمنة والعصور التي تفصل بيننا وبين حضارة الفراعنة؛ فلقد كنت أسير في أحد شوارع الهرم الجانبية ووجدت بعض الأطفال لا تزيد أعمارهم على السنوات التسع وقد قاموا بإيقافي وسألوني بالنص: «هل صحيح أنك سترسل الإنسان الآلي ليكشف عن أسرار الهرم..؟!» وقلت لهم: نحن ندرس الآن ونقابل علماء متخصصين في تصنيع الربوت وسوف نختار قريبًا الفريق الذي يعمل معنا في سبيل الكشف عما يوجد وراء الأبواب السرية التي عثرنا عليها داخل الهرم.

وهذا الكتاب مقالاته مكتوبة بأسلوب بسيط ومعلومات وافرة عن أسرار الفراعنة؛ حتى يكون في متناول عشاق الآثار المصرية.

وقد فكرت كثيرًا في أن أضع اسمًا لهذا الكتاب الذي يضم ما نشرته من مقالات مهمة عن الفراعنة في جريدة الشرق الأوسط وعجزت عن الوصول إلى اسم مناسب وقد اتصلت بصديقي الكاتب عزت السعدني الذي اعتبره من أبرع الكتاب اختيارًا لعناوين مقالاته ومؤلفاته وبعد أن شرحت له مضمون الكتاب وجدت أنه يطلق اسم «جنون اسمه الفراعنة» الذي صار عنوانًا لهذا المؤلف.

زاهي حواس

المحتويات

الفصل الرابع: وادي الفراعنة

الفصل الخامس: سر الزئبق الأحمر

الفصل السادس: آثار وشخصيات

الفصل السابع: بنو إسرائيل في مصر

الفصل الثامن: أبو الهول يحكي

الفصل الأول

حكاية لعنة الفراعنة

لعنة التوابيت الفرعونية



المؤلف داخل المقبرة رقم KV63 بوادي الملوك



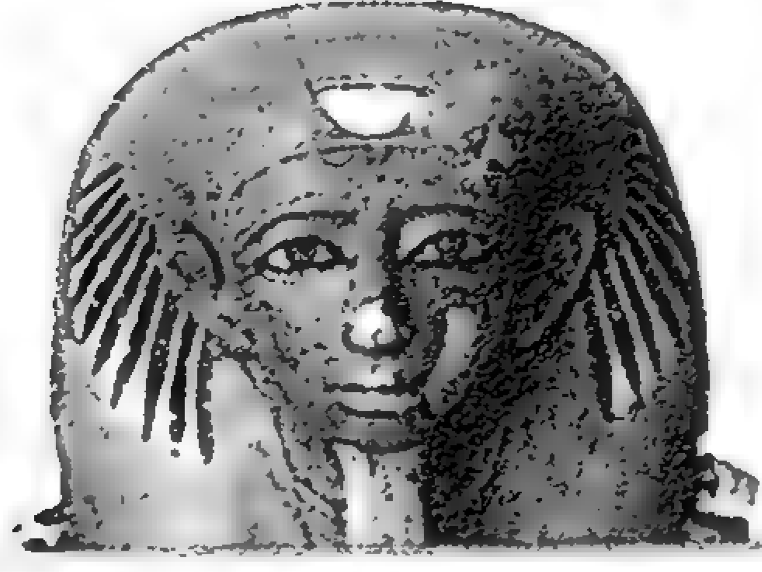
عندما قام زكريا غنيم بفتح التابوت المغلق بالأختام منذ أكثر من خمسة آلاف عام – داخل حجرة دفن الملك «سخم خت» بسقارة – ووجده خاليًا من أي أسرار، أصيب الجميع بإحباط شديد، وكان من ضمن الحاضرين الرئيس جمال عبد الناصر وكبار قادة ثورة يوليو في ذلك الوقت، وكذلك مندوبو الصحف ووكالات الأنباء من جميع أنحاء العالم. وانتشر خبر العثور على التابوت خاليًا، على الرغم من أن زكريا غنيم كان قد عثر على باقة من الزهور الجنائزية التي وضعت فوق التابوت، وتؤكد وجود مومياء الملك سليمة لم تمس داخل التابوت. وقد أرجعت الصحف ووكالات الأنباء سبب وجود التابوت خاليًا إلى لعنة الفراعنة!

وعندما كُشف عن المقبرة رقم 63 بوادي الملوك بمدينة الأقصر العام الماضي اهتزت الدنيا كلها لهذا الكشف المثير، خاصة أن الوادي لم يبح بأي سر من أسراره منذ 83 عامًا عندما كشف هيوارد كارتر عن مقبرة الفرعون الذهبي «توت عنخ آمون»، وقد تم العثور على المقبرة الجديدة أمام مقبرة الملك «توت» مباشرة. وقد فوجئت بحضور آلاف الصحفيين والمراسلين من كل أنحاء العالم للمؤتمر الصحفي الذي عقدناه في مدينة الأقصر للإعلان عن الكشف المثير. ومدخل المقبرة يقع على عمق حوالي خمسة أمتار تحت سطح الأرض، وأرضية المدخل لا تتسع لأكثر من خمسة أشخاص، وكانت اللحظة التي تسبق معرفة ما هو موجود في الداخل تعتبر من أهم اللحظات التي يمكن أن يعيشها أي إنسان؛ لحظة معرفة المجهول أو الدخول إلى مكان مغلق منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام. ويسألني العديد من معلقي التلفزيونات العالمية عن شعوري قبل أن أدخل سردابًا مغلقًا منذ آلاف السنين ولم يدخله إنسان من قبل. وأنا شخصيًّا أحب الدخول إلى الأنفاق والسراديب قبل أي إنسان آخر، وأدخل وفي يدي مصباح إضاءة صغير. وفي بعض الأحيان، يقوم العمال بربطي بالحبال إذا كانت البئر المؤدية إلى حجرة الدفن عميقة، وتعرضت للكثير من المواقف الصعبة أثناء قيامي بدخول الأنفاق والسراديب لحظة الكشف عنها.

وعندما كشفت عن مقبرة حاكم الواحات البحرية وبدأنا في إزالة الأحجار التي تغلق مدخل المقبرة. ظللت أزحف على صدري وتحتي قطع صغيرة من الأحجار تدخل في جسمي،

وأحيانًا تحس بها مثل الخناجر الحامية، لكن الإثارة فيما سوف أراه وفي المغامرة نفسها تجعل الإنسان ينسى كل شيء، وخاصة أن بعض هذه الآبار قد تحوي ثعابين وعقارب سامة. ومن المثير أنني وأنا في السابعة من عمري كنت أخاف من الظلام، وعندما كان يسألني والدي –رحمة الله عليه– أن أخرج لأمشي في شوارع قرية العبيدية بمحافظة دمياط لأشتري أو أحضر له شيئًا من دكان القرية، كنت أطلب من أخي محمود –رحمه الله– أن يصحبني، بل وعندما يتصادف أن أسير وحيدًا وأنا صغير في شارع مظلم كنت أتخيل ورائي عفاريت تطاردني؛ ولذلك كنت دائمًا أسير ووجهي للخلف، ولا أصدق نفسي عندما أصل إلى المنزل في منتصف الليل. وعندما دخلت السرداب كنت أتذكر اللحظة؛ لحظة الخوف التي كانت تنتابني وأنا صغير، ولكنها لحظة دخول المقبرة وانتظار المفاجأة هي دائمًا أقوى من أي خوف. وفي مقبرة حاكم الواحات وصلت إلى نهاية المقبرة بعد حوالي 20مترًا وأنا أزحف على بطني، وقد أحسست بالدماء تنزف من جسدي ولكن عندما وجدت أمامي فجأة تابوتًا ضخمًا عليه نقوش هيروغليفية، وعندما عرفنا اسم صاحب المقبرة نسيت الدماء والألم وبقي أمامي فرحة الكشف.

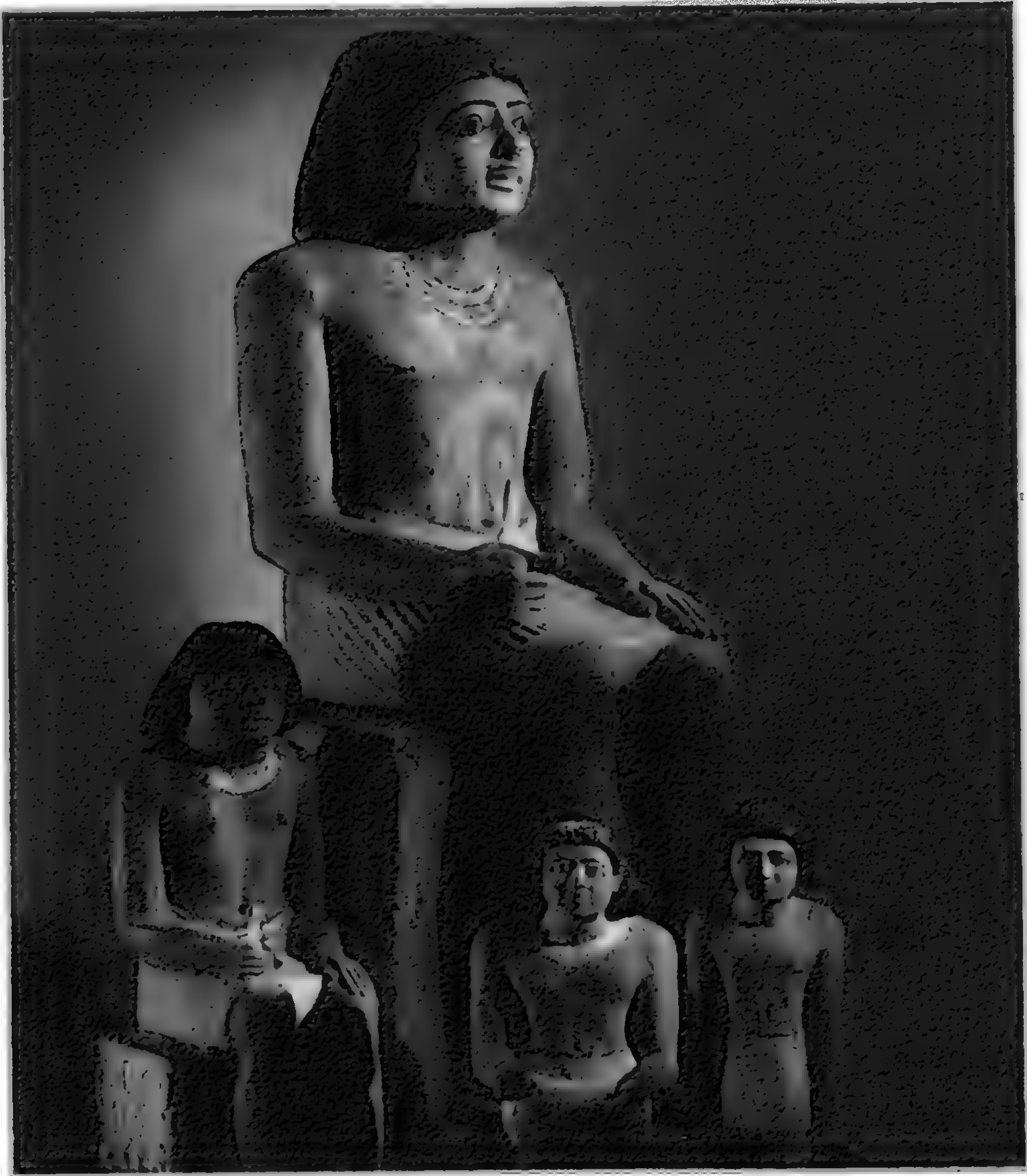
كنت أول من أدخل رأسه داخل المقبرة KV63 المكتشفة بوادي الملوك وفي يدي اليمنى مصباح سلطته في عمق المقبرة المظلم لأجد أمامي منظرًا جميلاً فريدًا وهو سبعة توابيت مغلقة وأوانٍ ضخمة مغطاة منذ آلاف السنين. وعندما أعلنت الكشف تطاير الخبر في كل مكان عن كشف هذه المقبرة التي لم نعرف اسم صاحبها. وبدأ فتح التوابيت ولم يعثر بداخلها على مومياوات، بل عُثر على مواد التحنيط من ملح النطرون وكتان وزيوت، وداخل التابوت رقم (6) عُثر على وسائد لا نعرف سبب وجودها داخل هذا التابوت، والتي ربما كانت لينعم بها المتوفى في العالم الآخر وهو يقابل الإله «أوزوريس» الذي يجلس في انتظاره؛ كي يحاسبه على أعماله في الدنيا، وبين التوابيت عُثر على تابوت صغير مذهَّب. أما التابوت رقم (7) فقد تابعته الصحف ووسائل الإعلام في كل مكان وانتظروا هذا اليوم. وعندما وصلت إلى وادي الملوك في الثامنة صباحًا وجدته صامتًا رغم أن هناك آلاف السياح والصحفيين ودخلت



المقبرة، وتذكرت التابوت الذي فتحه زكريا غنيم أمام الرئيس عبد الناصر ولم يعثر داخله على أي شيء. وقد طلبت من الأثري أوتو شادن المكتشف أن يفتح التابوت أمام الصحفيين، وفعلاً بدأ العمال ومعهم شادن فتح التابوت بتمهل شديد وعندما تم رفعه ونظرنا داخله لم نعثر على المومياء التي كنا نتوقعها.

التوابيت الخشبية المغلقة داخل المقبرة KV63 بوادي الملوك

لعنة إنتي شيدو



التماثيل الأربعة لإنتي شيدو - جبانة العمال بالجيزة



أيقظني ابني شريف من النوم ووجدته منزعجًا جدًّا، ممسكًا في يده صحيفة «الأهرام» وقال لي إن أنيس منصور كتب يقول إن لعنة الفراعنة سوف تصيبك. وعندما قرأت عمود الكاتب الكبير وجدت أنه يتحدث عن لعنة الفراعنة وقال إنني أخاف على زاهي حواس من أن تصيبه هذه اللعنة.

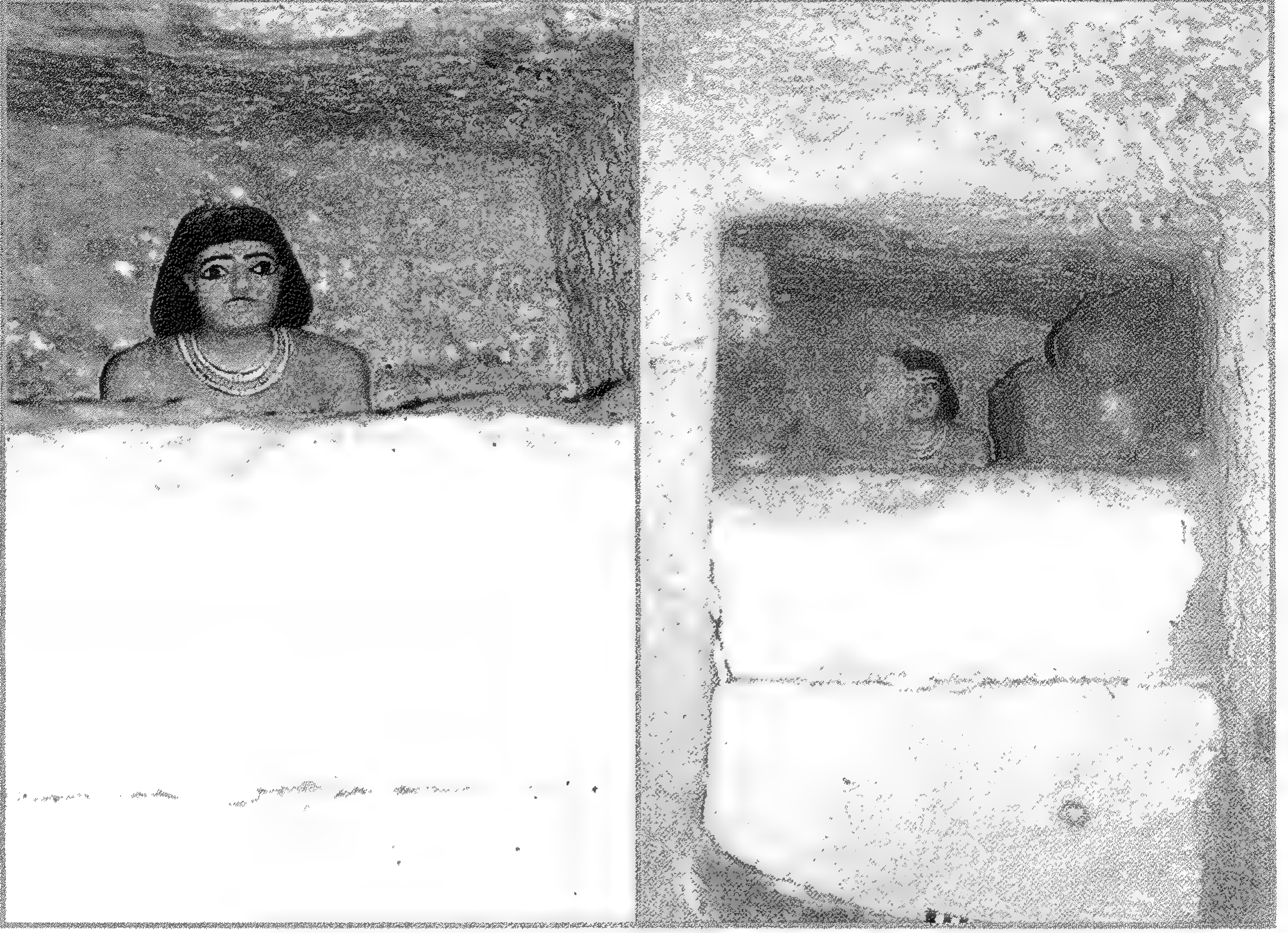
وقد حدثت لي قصة طريفة مع صديقي أنيس منصور حينما دعاني الناشر المعروف إبراهيم المعلم على العشاء، وكان هناك الكابتن صالح سليم –رحمه الله– والعديد من الشخصيات العامة المعروفة. وعندما قابلت أنيس منصور وبطريقته الخلابة المعروفة قال لي: «إيه أخبار الاكتشافات الأثرية الجديدة»؛ لأن أنيس منصور مولع بالفراعنة، ويكتب عنهم كثيرًا بل يتابع أخبار كل ما هو جديد في عالم الفراعنة، وله أيضًا كتاب شهير عن لعنة الفراعنة.

في ذلك الوقت، كنت قد اكتشفت مقابر العمال بناة الأهرام التي أثبتت للعالم كله أن المصريين هم بناة الأهرام وأن الأهرامات لم تبن بالسخرة لأنهم لو كانوا عبيدًا لما بنوا مقابرهم في ظلال الأهرامات.

وحينئذ وداخل مقابر الجبانة العلوية عثرنا على مقبرة غريبة جميلة جدًّا.. بدأنا في إزالة الرمال من داخلها وكنت أحكي القصة لأنيس منصور، حتى وصلنا إلى الجدار الغربي للمقبرة. والمفاجأة أن أرى عيونًا جميلة ملونة باللون الأسود تنظر إليَّ بنظرة جميلة؛ هذا التمثال أو رأسه فقط كان يظهر من داخل سرداب في جدار المقبرة. الجزء العلوي من هذا السرداب مبني من الطوب اللبن، وأسفله كتلتان من الحجر الجيري تخفيان التمثال كله.

وعندما أزلت الطوب اللبِن ووجدت التمثال برأسه وصدره وهو ملون بطريقة جميلة جدًّا بما يطلق عليه الصدرية، قمنا بتصوير التمثال ونحن في فرح شديد لهذا الكشف المهم الذي عثرنا عليه داخل مقابر العمال بناة الأهرام.

وبعد ذلك، قمت بإزالة الحجر ووجدت وراءه العجب؛ أربعة تماثيل رائعة؛ التمثال الذي رأيت وجهه تمثال بالحجم الكبير جالس على كرسي واسمه «إنتي شيدو» ويعمل رئيسًا ومشرفًا على القارب المقدس بمعبد الإلهة «نيت» وهي وظيفة هامة؛ حيث لابد أن يكون قارب الإلهة



تمثال إنتي شيدو الكبير لحظة الكشف عنه – جبانة العمال بالجيزة

المقدس جاهزًا دائمًا لتستخدمه عندما تغادر المعبد.

وإلى اليسار من هذا التمثال وجدنا تمثالاً واقفًا وآخر جالسًا مكتوبًا عليها جميعًا اسم صاحب التمثال وإلى الشمال تمثال واحد جالس. وجدت أنه من الغريب أن يقوم المصري القديم، وهو معروف دائمًا بالحفاظ على السيمترية في كل أثر، بوضع تمثال واحد فقط على يمين التمثال الكبير الجالس؛ لأنه عثر على تمثالين على يساره بالجانب الآخر، ولكن المفاجأة هي العثور على تمثال آخر مُحَلَّل تمامًا ومصنوع من الخشب وكان واقفًا خلف التمثال الجالس إلى يمين التمثال الكبير.

والمفاجأة أن «إنتي شيدو» كانت لعناته عليَّ شديدة جدًا. فقد حدث بعد الكشف أن اتفقنا على عمل مؤتمر صحفي للإعلان عن هذا الكشف الهام. وفي اليوم السابق ليوم عقد المؤتمر



الصحفي حدث الزلزال الرهيب الذي هز مصر عام 1992. وفي هذا اليوم كنت في مكتبي بمنطقة الهرم وبعد الزلزال مباشرة كان عليَّ أن أجري للاطمئنان على تمثال أبو الهول، وخاصة لأننا كنا نقوم بترميمه وذلك بعد حادث سقوط حجر من كتف التمثال الأيمن عام 1988م.

أما الأثر الثاني الذي هرولت للاطمئنان عليه بعد الزلزال فهي تماثيل «إنتي شيدو» والتي تركت داخل المقبرة حتى يتم الإعلان عنها. وبعد ذلك تم تحديد ميعاد آخر للإعلان عن هذه التماثيل والغريب أنني قبل الإعلان عنها بيوم واحد فقط ركبت السيارة في الثامنة من صباح يوم الجمعة مع سائقي مجدي عقل –رحمه الله– وكنت أجلس بجوار مجدي أقرأ الصحف وعندما وصلنا إلى منتصف شارع الهرم وجدتني أذهب في غيبوبة طويلة وانكفأت على وجهي. فأسرع مجدي بالسيارة وأدخلني إلى حجرة الاستقبال بمستشفى الهرم، وتعرف إليَّ الدكتور النويتجي وأخذني إلى الإنعاش مباشرة وأعطاني حقنة لإذابة الجلطة؛ حيث استطاع أن يشخص المرض فور وصولي وكان شقيقًا لصحفية بجريدة الأهرام وأبلغها بالخبر، الذي نشر في اليوم التالي بالصفحة الأولى.

وأفقت من الغيبوبة في حجرة الإنعاش وحولي أصدقائي وأولادي. وعندما فتحت عيني كانت أمامي عيون تماثيل «إنتي شيدو» وأمامي حادث الزلزال، وعندما تحدثت لم أستطع أن أقول شيئًا؛ لأنني في هذه اللحظة لم أصدق أن «إنتي شيدو» يمكن أن يفعل بي كل هذا. ومكثت داخل المستشفى أسبوعين لكن المفاجأة أن «إنتي شيدو» وجد أن لعنتيه غير كافيتين؛ لذلك قرر أن يطلق لعنة ثالثة أشد وأقوى وهي فعلاً لعنة الفراعنة.

انتقام الفراعنة

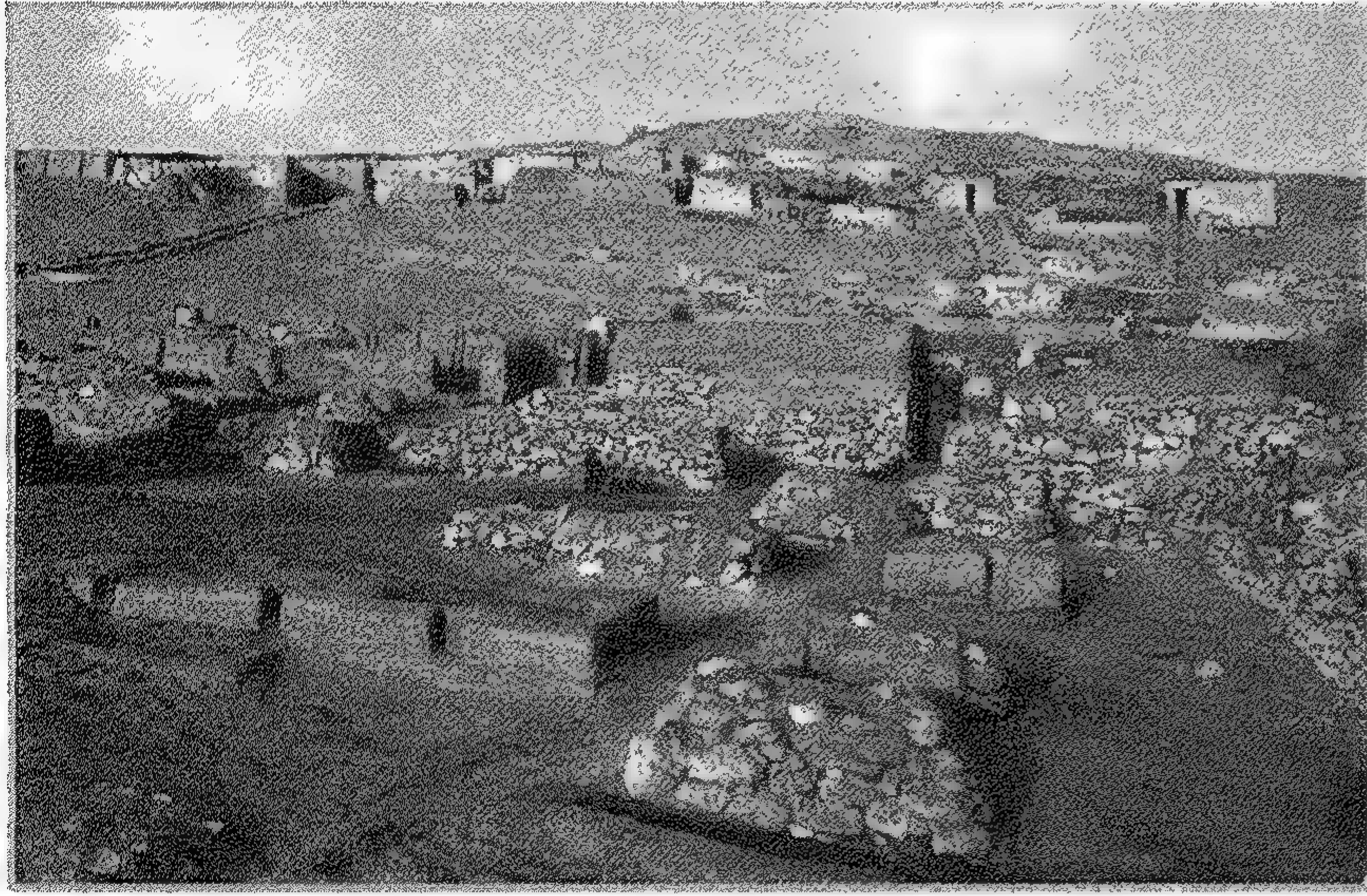


الملك توت على عجلته الحربية يرمي أعداءه بالسهام



لو حكيت قصص لعنة «إنتي شيدو» لأي إنسان فلن يصدقها أبدًا، ولكن ما أكتبه الآن حدث فعلاً عندما كشفنا عن مقبرة لأحد رؤساء العمال داخل مقابر بناة الأهرام والتي كشفنا عنها جنوب شرق أبو الهول؛ ليثبت هذا الكشف للعالم كله أن المصريين هم بناة الأهرام.

وعندما أخبرت صديقي أنيس منصور بقصة الكشف بل وقصة اللعنة الأولى عندما وقع الزلزال الضخم في عام 1992م في يوم المؤتمر الصحفي واللعنة الثانية عندما دخلت مستشفى الهرم مصابًا بأزمة قلبية قبل الميعاد الثاني للمؤتمر الصحفى. وقد تكون هذه اللحظة التي حاول فيها البعض أن يجعلني أؤمن أن هناك لعنة الفراعنة، اهتم الكاتب الكبير أنيس منصور لهذا الكشف، ولكن اتفقت معه على عدم الإعلان إلا بعد الاتفاق مع فاروق حسني وزير الثقافة؛ خاصة لأن الوزير يريد دعوة الرئيس حسني مبارك لحضور الاكتشاف. ووعدني أنيس منصور بذلك ولكنه كان على اتصال دائم بي؛ لمعرفة الأخبار، وكنت أحكي له حكايات عن تطور الحفائر، فضلاً عن قصة الكشف عن هذه المقابر بطريق المصادفة.



مقابر العمال بناة الأهرام – الجيزة

وبدأت الحكاية في يوم من أيام شهر أغسطس 1990م، وكنت أجلس بمكتبي بهضبة الجيزة أمارس مهام عملي في الوقت الذي كنت فيه شاردًا أفكر في موضوع مكان مقابر بناة الأهرام؛ لأني كنت أبحث عن هذه المقابر، وبدأتُ الحفائر فعلاً جنوب شرق أبو الهول ولم أعثر على شيء في العام الأول من الحفائر؛ لذلك فكرت في المكان الذي يمكن أن يدفن فيه بناة الأهرام، وقد كتبت في رسالة الدكتوراه أن هذا الموقع الذي يقع جنوب شرق أبو الهول هو المكان الوحيد من الناحية الجغرافية الذي من الممكن أن يدفن فيه العمال، خاصة لوجود سور يفصل بين هذا المكان وأهرامات الجيزة.

وفي الوقت نفسه كنت في شوق للعثور على هذه المقابر؛ لأن اليهود كانوا يطلقون دعايات كاذبة أنهم بناة الأهرام ولا أنسى عندما حضر مناحم بيجن للقاهرة وأعلن قبل حضوره أنه سعيد لزيارة الأهرامات التي بناها أجداده.

وبالطبع أصابني هذا التصريح بالغضب والحزن، وبعد زيارته للهرم سألته الكاتبة هدى توفيق نفس السؤال وعاد وأنكر وقال إنه الآن يؤمن بأن المصريين هم بناة الأهرام. وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يدحض الفكر الصهيوني عندما جاءت البشرى في أحد أيام شهر أغسطس حينما جاءني الشيخ محمد عبدالرازق شيخ خفراء الأهرامات وأخبرني بأن سائحة أجنبية شابة وقعت من على ظهر الحصان بالقرب من الأهرامات ويبدو أن أحد حوافر الحصان تعثر في حائط قديم وبسرعة وضعت قبعتي الشهيرة فوق رأسي وركبت السيارة وذهبت إلى هناك لأرى جزءًا من مقبرة قديمة ظلت مدفونة تحت الرمال لمدة لا تقل عن 4500 سنة وهنا قلت وقلبي يرتجف فرحًا: هذا الموقع به أهم كشف أثري وهو مقابر بناة الأهرام، وكانت أسعد لحظات حياتي؛ لحظة الكشف.

نشرت الصحف أنني سوف ألقي محاضرة عن الاكتشافات الأثرية الحديثة بمنطقة الهرم وذلك في مركز الدبلوماسيين الأجانب بالزمالك. وعندما قرأ أنيس منصور الخبر اعتقد –وله حق– أن حظر النشر قد زال وأنني سوف أعلن عن هذا الكشف أخيرًا. وبدأ في كتابة سلسلة مقالات رائعة تعتبر قطعة فنية موسيقية عن الاكتشافات الجديدة وبدأ في دعوة الرئيس مبارك للحضور؛ لأنه في ذلك الوقت كان هناك انحسار سياحي نتيجة إحدى حوادث الإرهاب. وقد أحدث ذلك نوعًا من الغيرة لدى المسئول الأول عن الآثار وبدأ يوقِع بيني وبين فاروق حسني.

وجاء الرئيس في زيارة مفاجئة ومعه العقيد معمر القذافي. وكنت في مرافقة الرئيس مع الوزير فاروق حسني، وأرسلنا العقيد عبدالحافظ عبد الكريم رئيس مباحث الآثار لإحضار الآنسة آمال صموئيل من المنزل صاحبة العهدة والمسئولة عن المخزن الموجود به التماثيل؛ لأن ذلك كان في يوم 7 يناير عيد الإخوة المسيحيين. وبعد الزيارة اكتشفنا أن أحد العمال قام بسرقة تمثال صغير من التماثيل المكتشفة.



وبدأ الانتقام وصدر قرار بجرد المخزن الذي هو عهدة آمال صموئيل، بل ونقلي إلى آثار القاهرة وأحسست أن هناك مخططًا للانتقام، مصدره الغيرة القاتلة من حزب أصدقاء الإله ست – إله الشر عند المصريين القدماء. ولم أجد أمامي سوى تقديم استقالتي، ولم أدخل في معارك مع أحد.

وقبل هذه الحادثة بشهور زارني صديقي الفنان عمر الشريف في الوقت الذي عُثر فيه على هذا التمثال المسروق، والتقطنا الصور الفوتوغرافية مع التمثال. وبعد ذلك بدأت الصحف تنشر هذه الصور وتتساءل بخبث أين ذهب التمثال! كأننا نحن الذين سرقناه!

وقررت أن أسافر للتدريس بجامعة لوس أنجلوس؛ لأبتعد عن «إنتي شيدو» وعن جو اللعنة.. لعنة «إنتي شيدو»، والذي لم يكتف فقط بحدوث الزلزال أو إصابتي بأزمة قلبية بل تسبب في أن أتقدم باستقالتي من الآثار، وقبل أن أسافر قابلت صديقي أنيس منصور وتمشينا على كورنيش النيل معًا وقال لي كلامًا لا أستطيع نشره الآن؛ كلامًا صريحًا وصادقًا قد يجرح الآخرين.



المؤلف مع عمر الشريف والتمثال

اللعنــة.. والبدايــة



اللورد كارنارفون.. واحد من ضحايا الارتباط بالفراعنة!



وصلتني الرسالة التالية:

«شكرًا دكتور حواس، لقد أمتعتنا بأول مقال في جريدة الشرق الأوسط. أنا لا أعتقد أن هناك لعنة للفراعنة بل إن الفراعنة تركوا لنا علمًا وثقافة وحضارة عريقة وكنوزًا لا تقدر بمال، تعطي الخير لأحفادها من خلال الرزق من العمل في صناعة السياحة وصيانة الآثار والعمل في الاكتشافات. بل امتد الخير إلى الدول الأخرى؛ تلك التي في حوزتها المتاحف الكبيرة المخصصة للآثار الفرعونية وامتد أيضًا إلى الجامعات حول العالم التي تدرس الإجبتولوجي (علم المصريات). فهل بعد كل ذلك يقال إن هناك لعنة الفراعنة؟ إنها مجرد حوادث طارئة» منير وهبي أستراليا.

ويعلق أيضًا على نفس الموضوع د. مجدي أبوالسعود من المنصورة – مصر «هل نفهم من ذلك مصداقية ما يثار عن لعنة للفراعنة؟ وما تفسيرك لها؟».

من المعروف أن موضوع لعنة الفراعنة انتشر بين الناس بعد كشف مقبرة «توت عنخ آمون»، خاصة بعد أن منح اللورد كارنارفون حق النشر الصحفي عن الكشف الكبير للمقبرة لجريدة الـ London Times، الأمر الذي دفع الكثير من الصحفيين إلى الكتابة في ذلك الوقت عن موضوع لعنة الفراعنة.. وقد اخترعت هذه الكلمة عام 1827 عندما كتبت الصحفية الإنجليزية «جين» قصة عن المومياء، كما أصدرت كاتبة صغيرة تسمى لويزا ماي ألكوت عام 1869 روايتها التي عرفت باسم «الهرم المفقود» أو «لعنة المومياوات» وفي هذه القصة يستخدم البطل قطعة من جسد أحد الكهنة كمشعل ينير له الطريق داخل الهرم، ووجد بالداخل صندوقًا ذهبيًا به ثلاث حبوب لها شكل غريب وعاد بالصندوق إلى أمريكا وقامت خطيبته بزرع تلك الحبوب وارتدت زهور تلك النباتات في حفلة زفافها وعندما استنشقت رائحتها غابت عن الوعي ولم تفق.





المقصورة الذهبية لتوت عنخ آمون



وفي نهاية شهر فبراير 1923، لسعت اللورد كارنارفون بعوضة أثناء حلاقته لحيته، وأصابه تسمم دموي ومات اللورد في 5 إبريل 1923 أي بعد كشف المقبرة بخمسة أشهر.

وفي ذلك الوقت الذي كان فيه اللورد كارنارفون يرقد مريضًا في غرفته بفندق شبرد بالقاهرة انتشرت قصة اللعنة بواسطة الصحفية ماريا كوريللي، حيث ادعت أنها تمتلك كتابًا عربيًا نادرًا عن التاريخ المصري للأهرامات، وادعت أن موت كارنارفون لا يمكن أن يكون سببه البعوضة فقط، فمن المؤكد –على حد قولها– أن هناك سببًا آخر.

وقامت الصحف بترجمة خاطئة للنصوص الموجودة بالمقبرة ومنها ما هو موجود على المقصورة الذهبية التي وضعت بها الأواني الكانوبية للملك الذهبي توت عنخ آمون وترجم النص كالآتي: «هؤلاء الذين سيدخلون المقبرة المقدسة سوف تزورهم أجنحة الموت سريعًا».

كما ترجم خطأ أيضًا النص الموجود على مقدمة تمثال أنوبيس الذي تم العثور عليه بمدخل حجرة الكنز بالمقبرة: «سوف أقتل كل من يعبر هذه العتبة إلى المنطقة الملكية المقدسة».

ومن ضمن الأحداث الأخرى التي وقعت بعد كشف مقبرة الملك توت عنخ آمون مباشرة وجعلت كثيرًا من الناس يعتقدون في وجود ما يسمى لعنة الفراعنة، –وفاة العديد ممن تعلقت أسماؤهم بالكشف عن المقبرة، منهم: مساعدة لكارتر كانت تعمل معه في الكشف عن المقبرة، وكذلك وفاة أثري فرنسي كان يعمل مع كارتر بالمقبرة، بالإضافة إلى وفاة خبير الأشعة وهو في طريقه إلى مصر والذي أراد كارتر استقدامه لعمل أشعة إكس على مومياء الملك توت عنخ آمون.

هذه هي الأسباب التي جعلت العامَّة يعتقدون في لعنة الفراعنة ونسبوا القصص والأقاويل للفراعنة.. أما حقيقة اللعنة فهذا هو موضوعنا القادم.



حقيقة لعنة الفراعنة



نص اللعنة المسجل على مقبرة بتني - جبانة العمال بناة الأهرام





مومياء توت عنخ آمون داخل جهاز الأشعة المقطعية

كتبتُ أكثر من مرة عن القصص التي يتناولها الناس عن لعنة الفراعنة، وكيف ينسبون أي موضوع يحدث مع أي كشف أثري إلى لعنة الفراعنة، وآخر هذه القصص عندما ذهبت إلى وادي الملوك ومعي الفريق المصري لفحص مومياء الملك «توت عنخ آمون» بالأشعة المقطعية.. ولدى وصولي إلى الوادي وجدت فريقًا من التلفزيون الياباني موجودًا أمام مدخل المقبرة يريدون حديثًا تلفزيونيًا معي قبل أن نقوم بعملية الفحص.. وبعد الانتهاء من الحديث.. حدثت عاصفة شديدة بالوادي مصحوبة بأمطار غزيرة وذلك قبل دخولنا مقبرة «توت عنخ آمون» بدقائق.. وهنا وجدت أفراد الطاقم التلفزيوني الياباني يفرون من أمامي ويقولون: «لعنة توت عنخ آمون.. لعنة توت عنخ آمون».

وبعد أن وضعنا المومياء داخل جهاز الأشعة المقطعية وجدنا الجهاز وقد توقف تمامًا، وفي هذه اللحظة سألت نفسي: لماذا يتوقف الجهاز دون أي سبب؟! وبدأت الهواجس تنتابني. وبعد ساعة واحدة بدأ جهاز الأشعة يعمل من جديد دون أي سبب واضح لهذا التوقف.. وبعد

ذلك بدأت الصحف تكتب عن حوادث لعنة الفراعنة التي حدثت معي.

وكما هو معروف، فإن الفراعنة كانوا يكتبون على مدخل المقبرة نصوصًا تحذيرية.. يشيرون فيها إلى أن كل من سيدخل المقبرة سوف يتعرض للأذى. وقد كشفت مقبرة جديدة داخل مقابر العمال بناة الأهرام بمنطقة أهرامات الجيزة، وفيها ترك رئيس الفنانين الذي كان يدعى «بتتي» نصًا يقول فيه:

«يا كل الناس... كاهن الإلهة حتحور سيضرب مرتين كل من يدخل هذه (المقبرة) ويفعل شيئًا ضارًا داخلها، فبواسطة الآلهة سيسألون (أو) سيسألهم؛ لأنني مبجل عند سيده. (وهو) لن يفعل (أي الإله) شيئًا ضارًا ضدي. وكل من يفعل شيئًا ضدها (أي المقبرة) فلسوف تلتهمه التماسيح وأفراس النهر والأسود».



نص اللعنة الخاص بزوجة بتتي

وتركت زوجته نفس النص، لكنها أضافت الثعابين والعقارب.. وهذه النصوص ليس لها معنى وهي تتشابه مع ما نقوله اليوم عندما نتمنى شيئًا لأحد، محاولين أن يُصاب بمكروه.



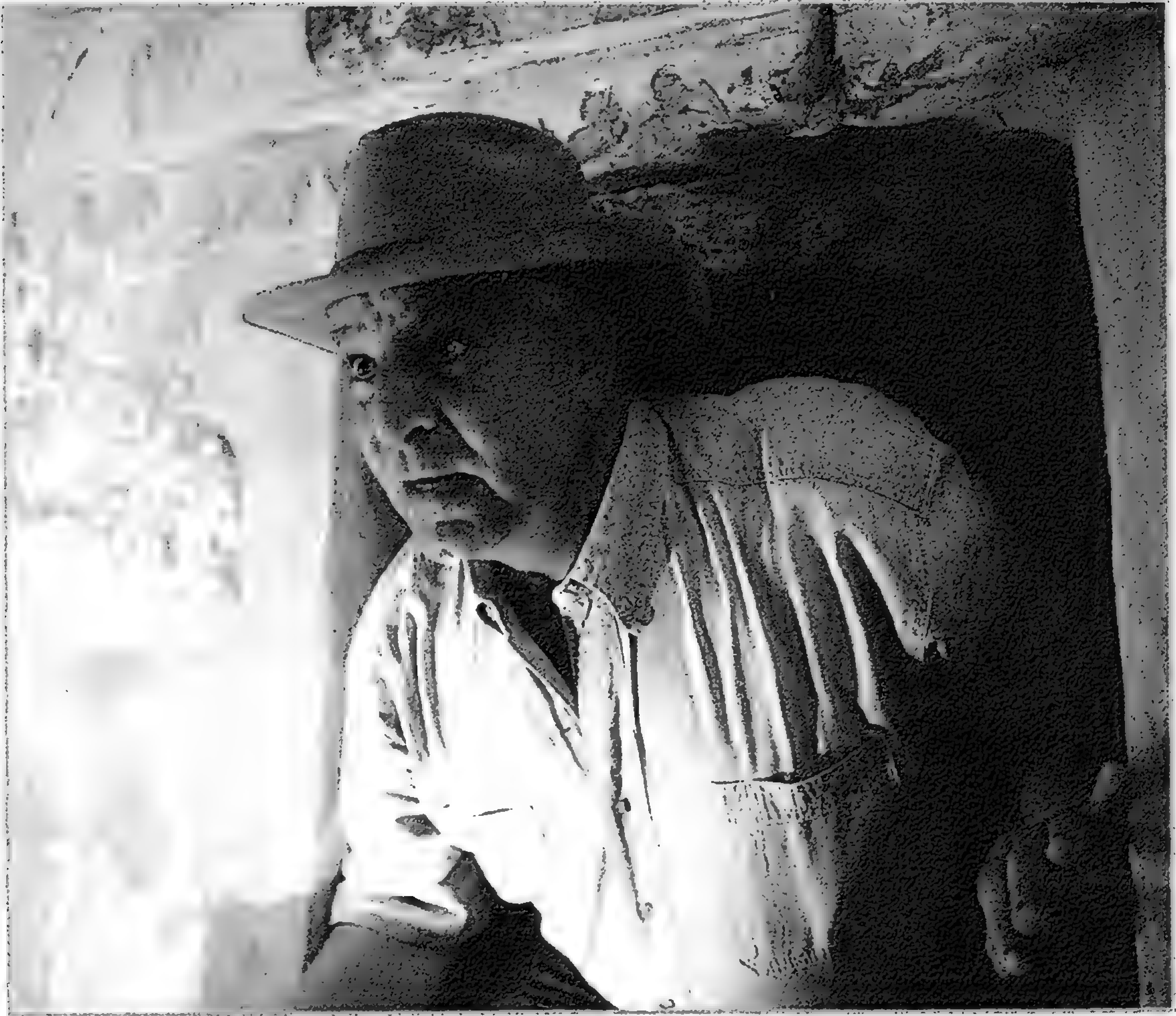
أما حقيقة لعنة الفراعنة فسوف نجد أن المقابر الفرعونية المغلقة بها مومياوات ومواد قد تتعرض للتعفن، الأمر الذي يمثل جوًّا مناسبًا لوجود البكتيريا التي تُعرض من يدخل المقبرة للموت؛ ولذلك كان الأثريون في الماضي يدخلون المقبرة على وجه السرعة بعد كشفها مباشرة، الأمر الذي يجعلهم يتعرضون لتلك البكتيريا التي سرعان ما تسبب الوفاة، وقد حدث ذلك للورد كارنارفون أثناء حلاقته ذقنه بعد أن تعرض للسعة بعوضة قضت عليه.. أما الطريقة التي أتعامل بها عندما أدخل مقبرة أو نفقًا أو سردابًا مظلمًا لم يدخله أحد من قبل فهي القيام بفتح المدخل وترك المقبرة مفتوحة لمدة يوم أو يومين حتى يخرج الهواء الفاسد الممتلئ بالجراثيم والبكتيريا، ويدخل الهواء النقي، كما أنصح زملائي الذين يعملون معي بألا يقوموا بحلق الذقون أثناء القيام بالحفائر؛ لأن مسام الجلد تكون مفتوحة وتعرض المكتشف للخطر.. وعلى الجانب الآخر، أشير إلى أن الصحافة تكتب دائمًا الحوادث ولم تشر إلى أن هيوارد كارتر مكتشف مقبرة الملك الذهبي توفي عن عمر يناهز الثمانين عامًا؛ وهذه هي حقيقة اللعنة.



قبر هيوارد كارتر مكتشف مقبرة الملك توت عنخ آمون



عن السحر والفراعنة



المؤلف داخل إحدى المقابر بمنطقة الواحات البحرية



نعلم جميعًا عظمة الفراعنة في السحر، وأن السحرة كانوا مشهورين في العالم القديم باتباعهم أساليب سحرية فريدة، وقصة «خوفو والسحرة»، وقصة الكاهن الذي قبض على عشيق زوجته بتمساح من الشمع، وقصة الملك «سنفرو» والد الملك «خوفو» مع الساحر الذي شق له المياه لكي تعثر فتاة على سوارها الذي سقط في الماء.. وهنا يجب أن نسأل: هل مازال لسحر الفراعنة مفعول إلى الآن؟ وهل يستطيع الفراعنة أن يكون لديهم القوة بحيث يستطيعون أن يصيبوا بسحرهم كل من يمس مقابرهم أو ما يطلق عليه «لعنة الفراعنة»؟

وأؤكد بعد سنوات طويلة من العمل في الكشوف الأثرية –دخلت خلالها إلى مقابر لم تطأها قدم إنسان منذ أن دُفن بها صاحبها –أن المصريين القدماء قد احتاطوا لرحلتهم الأبدية بأنواع مختلفة من السحر، فكثيرًا ما نرى على جدران المقابر نصوصًا غير مفهومة بالكامل وكلماتها في كثير من الأحيان لا تعطي معنًى مفيدًا وهي بلا شك نصوص سحرية وضعت لهدف معين هو حماية القبر وصاحبه، وربما تكون هذه الكلمات السحرية قد فقدت طاقتها السحرية بعد أن اندثرت اللغة والكتابة المصرية القديمة، وربما تكون هذه النصوص أيضًا لا تزال محتفظة بقدرتها السحرية كامنة بداخلها! من هذه النصوص ما يعرف بـ(متون الأهرامات) وهي تراتيل وتعاويذ دينية وسحرية سُجلت على جدران حجرات الدفن الموجودة أسفل أهرامات الملوك والملكات منذ أواخر عهد الأسرة الخامسة الفرعونية تحديدًا وعصر الملك «ونيس» (2356 – 2323ق.م). وفي اعتقادي أن الطريق مازال طويلاً لمعرفة ألغاز متون الأهرامات وحلها، على الرغم من اكتشافها منذ أكثر من قرن من الزمان. وبهذه المتون طلاسم كان على الملك حفظها وتلاوتها ليمر عبر بوابات العالم الآخر وينجو بنفسه من الثعابين وكل المخلوقات المفترسة التي تعترض طريقه، كذلك تمنحه هذه الطلاسم القدرة على استخدام أشعة الشمس كحبال للصعود إلى أعلى. والغريب أن الطاقة السحرية الكامنة في متون الأهرامات يمكن لمسها من خلال مشاهدة كيفية نحت الكلمات والحروف التي سجلت بها هذه المتون، فعند تصوير الرجل نجد أن الرأس والأطراف لا تتصل بالجذع وكأننا أمام إنسان قطعت أوصاله ورأسه، كذلك عند تصوير الحيات بمختلف أنواعها نجد أن هناك طريقتين في التنفيذ، إما عبر نقش جسد الحيات غير متصل بالرأس، وإما نقش الحيات والثعابين وقد سلطت سكين فوق رأس كل منها. ولقد



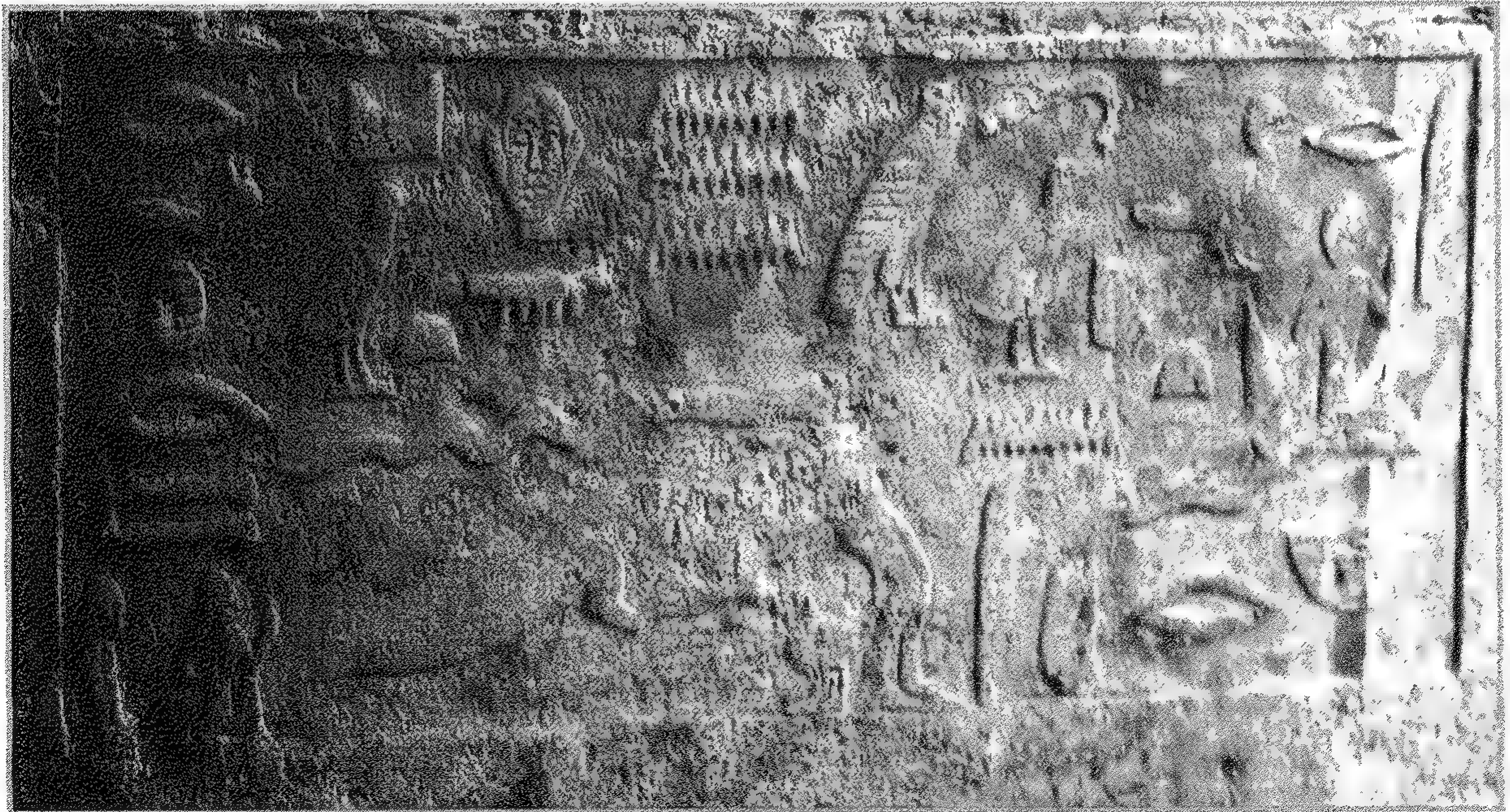
متون الأهرام داخل هرم ونيس – سقارة



لفتت هذه الطريقة العجيبة التي استخدمت في نقش متون الأهرامات أنظار العلماء والباحثين الذين توصلوا إلى أن الخوف من السحر هو السبب الرئيسي لتصوير الأجسام بهذه الطريقة، حيث اعتقد المصريون القدماء أن هذه الكائنات يمكن أن تنقلب إلى حقيقة تنبض بالحياة وتؤذي المتوفي الراقد في تابوته.

ولعلنا ذكرنا من قبل ما يسميه العلماء باسم (نصوص اللعنة) وهي نوع آخر من السحر قام المصريون القدماء بكتابته على واجهات مقابر يتوعدون كل من يجرؤ على الدخول إلى مقابرهم قاصداً بها الشر بالدمار والعذاب، فأشارت إحدى السيدات على جدران مقبرتها إلى أن كل من يحاول جلب الشر إلى مقبرتها فإن فرس النهر سوف يفترس عظامه، والتمساح والأسد سيأكلان لحمه، وسوف يسري سم حيات الكوبرا في جسده.

وهناك بردية شهيرة تتحدث عن ذلك الكاهن الذي فوجئ بخيانة زوجته له فانتظر إلى أن نزل الشاب الخائن إلى المياه ليغتسل، وقام الكاهن بوضع تمساح صغير من الشمع في الماء سرعان ما انقلب إلى تمساح ضخم افترس الشاب. وهناك الكثير من القصص حول السحر والسحرة عن عالم الفراعنة.



أحد نصوص اللعنة بمقابر الدولة القديمة – سقارة

الفصل الثاني

معارض ورحلات

عجائب الدنيا السبع

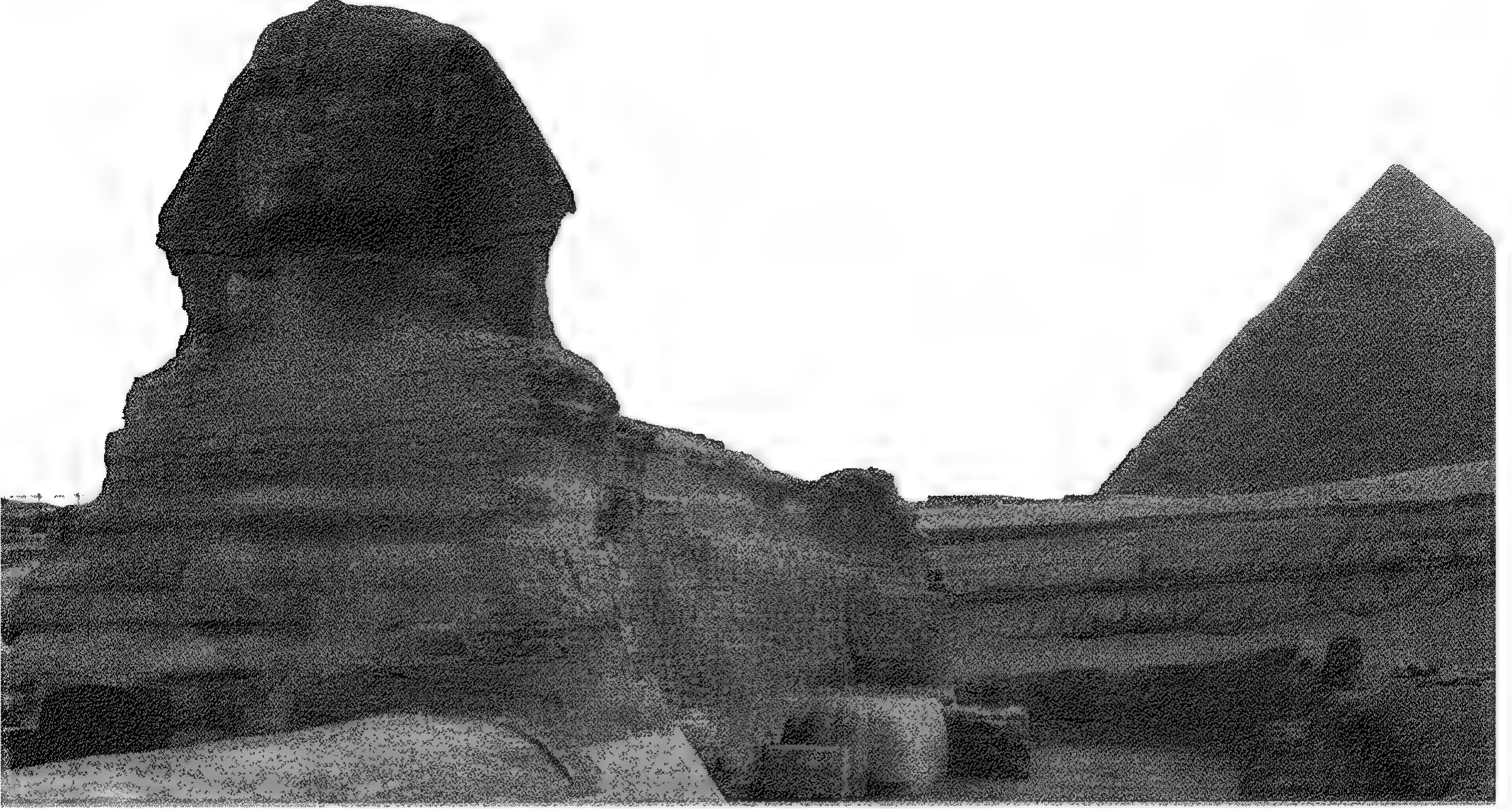


أهرامات الجيزة



غريب أمر هؤلاء الذين يلقبون أنفسهم بالعلماء، بينما هم يتعاملون مع موضوع عجائب الدنيا السبع بمنطق العصور الوسطى! في كل دول العالم المتقدم يتم إسناد المشروعات الكبرى لمؤسسات علمية متخصصة، ولا يتم التعامل مع أي فرد إلا بعد مراجعة تاريخه العلمي لمعرفة قدراته ومدى استعداده العلمي. أما عندنا في مصر وللأسف الشديد؛ فإن هناك البعض ممن كان يسمح للهواة والمغامرين بالعمل في آثارنا، وقمنا بوقف حوالي 35 بعثة أجنبية؛ لأنها لم تكن خاضعة لمؤسسة علمية كمتحف أو جامعة. تذكرت كل هذا عندما تقدم شخص عادي سويسري لمحاولة اختيار عجائب الدنيا السبع عن طريق التصويت على شبكة الإنترنت. وعندما أرسل لي خطابًا يطلب مقابلتي، أرسلت له رافضًا المقابلة؛ وذلك بعد قراءتي لتاريخه العلمي، بل أرسلت خطابًا إلى السفير السويسري بالقاهرة أشرت فيه إلى ضرورة أن يبتعد عن الهرم الأكبر هرم الملك «خوفو» العظيم؛ لأنه المعجزة الوحيدة التي يبلغ عمرها 4600 سنة، والوحيدة التي لاتزال باقية بيننا. أما المعجزات الأخرى التي دُمِّر معظمها عن طريق الزلازل فتاريخ أغلبها يعود إلى 2000عام. ولم تؤثر هذه الزلازل على الهرم الأكبر. وللأسف الشديد وجدنا بعض الناس في مصر يقولون إن الهرم مستبعد من عجائب الدنيا السبع، وإنه سيتم تغيير كتب التاريخ ويشطب الهرم منها. فهل أصبح التاريخ يكتب بواسطة المغامرين والهواة؟!

والحقيقة أن هناك العديد من المؤسسات التي قامت باختيار عجائب الدنيا السبع ولم تثر حولها كل هذه الدعاية. فلقد تم اختيار عجائب الدنيا في العصور الوسطى ودخل فيها برج بيزا المائل، ومسجد آيا صوفيا بتركيا، ومقابر كوم الشقافة بالإسكندرية. وهناك قوائم أخرى ضمت قلعة صلاح الدين، وتاج محل بالهند، ولم يتم اختيار الهرم الأكبر لأنه خارج المنافسة تمامًا. وهناك أيضًا العديد من القوائم المعاصرة، مثل تلك التي أعدتها جمعية المهندسين المدنيين الأمريكية واختارت ممر السكة الحديد بين إنجلترا وفرنسا، ومبنى الإمباير ستات، وقناة بنما، وغيرها. وقد أعد مغامر آخر مثل هذا السويسري قائمة سياحية عام 2005، ووضع الهرم الأكبر كأهم موقع سياحي، يليه سور الصين العظيم، وضريح تاج محل، وغيرها من المواقع السياحية الهامة. وهناك أيضًا عجائب طبيعية أعدتها شبكة



أبو الهول – شاهد على عصر الفراعنة

الـ CNN عام 1997 واختاروا من ضمن العجائب السبع عجائب الأخدود العظيم بأمريكا الوسطى، وجبل إيفرست، وبركان باركيتين، وشلالات فكتوريا، وعجائب أخرى تحت الماء كأخاديد أعماق البحار، وجزر جالاباجوس بالمحيط الهندي، وغيرها.

وجاء هذا السويسري برنارد ويبر ليعلن عن رئاسته لمؤسسة باسم New Open World Co-Operation لاختيار عجائب الدنيا السبع الجديدة من ضمن 2000 أثر تم تصفيتها إلى 21 أثراً، ودعي العامة للتصويت عليها، وبالطبع فسوف يقوم هؤلاء باختيار أشياء مثل برج إيفل، وتمثال الحرية، وغيرهما، وليس لنا أن نلومهم على ذلك؛ لأن هؤلاء ليسوا على دراية بالتاريخ أو الحضارات القديمة، ولا يوجد عندهم مقاييس معينة لتحديد ما يمكن أن يطلق عليه عجيبة من عجائب الدنيا. وقد قالت مدام ريفرييه مدير إدارة الثقافة باليونسكو إن هذا المشروع يجب إهماله وعدم إعطائه أي شرعية، وأرسل إليّ لويس مونريال رئيس مؤسسة الأغاخان الثقافية يقول: «للأسف فإن مصر هي الدولة الوحيدة التي عملت دعاية



لهذا المشروع، وإن السيد برنارد ويبر ليس لديه أي خبرة أو خلفية حول التراث الثقافي...». وأجمل ما في خطابه هو قوله: «إننا سوف نضحك كثيراً على عجائب الدنيا السبع الجديدة ذلك المشروع السخيف ومبدعه السيد ويبر». لقد آلم هذا المشروع هؤلاء الذين يعتدون بالتراث الثقافي ويقدرون قيمته. ونؤكد أن هذا التصويت وما سيسفر عنه من اختيار عجائب الدنيا السبع سوف يذهب إلى مزبلة التاريخ.



توت عنخ آمون في لندن



تمثال الشوابتي البديع لـ توت عنخ امون.



في صباح اليوم التالي لوصولي إلى العاصمة الإنجليزية لندن لافتتاح معرض الفرعون الذهبي «توت عنخ آمون» بعد مرور 35 سنة على الزيارة الأولى لآثار الملك «توت» إلى لندن، وجدت نفسي ضيفًا على إذاعة الـ BBC في برنامج يذاع على الهواء مباشرة، وكانت المفاجأة وجود زوجة حفيد اللورد كارنارفون، الذي مول حفائر هيوارد كارتر مكتشف مقبرة الملك «توت عنخ آمون» في 4 نوفمبر 1922م، وقلت موجهًا إليها حديثي إن اللورد عندما مول كشف مقبرة الملك «توت» لم يكن يفعل ذلك لحبه للآثار المصرية؛ بل كان شاغله الأكبر هو الحصول على مكاسب شخصية، إضافة إلى الشهرة. وقد حاول اللورد بشتى الطرق أن يؤكد للحكومة المصرية أن مقبرة الملك «توت» لم تكتشف سليمة وأنها فتحت من قبل، وذلك لكي يقتسم محتويات المقبرة مع الحكومة المصرية؛ لأن القانون المصري كان في ذلك الوقت يقبل قسمة الآثار بين المتحف المصري والبعثة الأجنبية المكتشفة للآثار في حالة ما إذا كانت مقبرة غير كاملة، أو سرقت من قبل في العهود القديمة، أما في حالة الكشف عن مقبرة سليمة كاملة المحتويات فكانت الحكومة المصرية تحتفظ بكل ما يتم الكشف عنه. وعندما فشل اللورد كارنارفون ومعه هيوارد كارتر في مسعاهم، بدأ اللورد في التسلل ليلاً إلى مقبرة الفرعون الصغير «توت عنخ آمون» وسرقة بعض كنوز المقبرة التي لا تقدر بمال، وذلك سواء بعلم هيوارد كارتر أو بدون علمه. وكان من أخطاء اللورد أيضًا هو أنه



مقبرة توت عنخ آمون لحظة اكتشافها



مقصورة الاحشاء الخاصة بـ«توت عنخ آمون» - المتحف المصري



أعطى لنفسه الحق في توقيع حقوق نشر أخبار الكشف لصحف بعينها، فمنح الـ London Times فقط دون غيرها حق نشر أخبار المقبرة. وبقلعة اللورد في Highclere يوجد العديد من القطع الأثرية المصرية، وقرر حفيده مؤخرًا الاستفادة المادية من هذه الكنوز، فقرر فتح القلعة للزيارة وتحصيل رسوم، وقلت لزوجة الحفيد إننا نرفض عرض الآثار داخل المنازل الخاصة، ومكانها الطبيعي هو المتاحف والبلاد التي خرجت منها.

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقد داخل قبة الألفية ويطلق عليها (02)، حضر أكثر من 420 صحفيًا، وكان الجميع يتندر على هذا الحضور الإعلامي الضخم بأن رئيس وزراء بريطانيا لو نادى بعقد مؤتمر صحفي لما حضره نصف هذا العدد؟! وكان بعض الصحفيين ووسائل الإعلام الإنجليزية متحفزين للهجوم على المعرض؛ وذلك لأننا لم نرسل القناع الذهبي الشهير للملك «توت عنخ آمون»، والذي عرض من قبل في لندن منذ 35 عامًا وقلت في حديثي إن «توت عنخ آمون» يعود مرة أخرى ليقدم نفسه وعائلته وإن مصر لن تقدم وجبة عشاء مجانية للإنجليز مرة أخرى، حيث لم يعد المعرض الأول الذي عرض فيه 55 قطعة من أندر ما عثر عليه بالمقبرة بأي عائد مادي لمصر، على الرغم من أن المتاحف التي عرض فيها «توت عنخ آمون» لاتزال تحقق أرباحًا من عمل النماذج المقلدة للآثار التي خرجت من قبل، ولذلك فإن هذا المعرض الحالي بلندن سوف يعود على مصر بأكثر من 140 مليون دولار، تخصص للمساهمة في بناء المتحف المصري الكبير. وقد تم الافتتاح الرسمي للمعرض بحضور السيدة سوزان مبارك والأمير تشارلز وكاميلا، وكان المفروض أن تستغرق مراسم افتتاح المعرض حوالي نصف الساعة، ولكن السيدة سوزان مبارك أصرت على أن يشاهد الأمير تشارلز وكبار الزوار روائع «توت عنخ آمون»، وكانت تتوجه بنفسها إلى بعض القطع للفت انتباه الحاضرين إلى أهمية هذه القطع، وخاصة التابوت الصغير الذي حفظ به كبد الملك. وفي مساء يوم الافتتاح تم إقامة حفل حضره أكثر من ثلاثمائة مدعو من الشخصيات العالمية في مجال الفن والسينما والسياسة والثقافة.. حقًا جعل الفرعون الذهبي «توت عنخ آمون» من نفسه نجم النجوم في سماء العاصمة لندن.



توت في بلاد الإنجليز



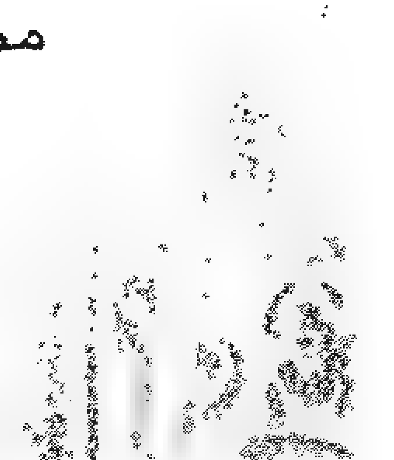
غطاء أحد الأواني الكانوبية للملك توت عنخ أمون



سافر معرض آثار الملك الذهبي «توت عنخ آمون» إلى لندن منذ أكثر من 35 عامًا، في أولى رحلاته إلى الخارج سفيرًا لحضارة مصر الفرعونية، في هذا الوقت كان محمد مهدي مدير الآثار هو المسئول المصري الذي وقع على الاتفاقية الخاصة بسفر آثار الملك «توت عنخ آمون» لتعرض في لندن، وجاء توقيع الاتفاقية بالمتحف المصري بالقاهرة وذلك مع الوفد الإنجليزي، وأثناء خروج محمد مهدي من المتحف صدمته سيارة أمام مدخل المتحف أدت إلى مصرعه في الحال.

وقد أعادت هذه الحادثة إلى الأذهان قصة لعنة الفراعنة مرة أخرى، بعد أن كانت قد توارت لسنين عديدة بعد ظهورها بأشهر قليلة بعد اكتشاف مقبرة الملك «توت عنخ آمون»، ففي 15 إبريل 1923، أي بعد حوالي خمسة أشهر من الكشف عن المقبرة، توفي اللورد كارنارفون ممول حفائر هيوارد كارتر الذي كشف عن المقبرة، وجاء موت كارنارفون فرصة لاختلاق العديد من القصص حول لعنة الفراعنة عن طريق عدد من الصحفيين الذين كانوا مستائين من عدم إعطائهم فرصة لنشر اكتشاف المقبرة، خاصة أن امتياز النشر أعطي لجريدة London Times فقط، وخرجت القصص تقول إن اللورد لدغته بعوضة أثناء حلاقة ذقنه وأصيب بتسمم دموي أدى إلى وفاته. وهكذا بدأت لعنة الفراعنة تطفو على السطح وتنمو بين العامة في كل مكان.

واكتشفت المقبرة بطريق الصدفة عندما عثر شاب صغير كان يحضر المياه داخل أوانٍ فخارية وأثناء حفره مكانًا لتثبيت الإناء به عثر على أول درجات المدخل المؤدي إلى المقبرة، وجرى الصبي إلى هيوارد كارتر في خيمته ليخبره بالمفاجأة. وعندما رأى كارتر درجات المدخل أيقن أن اللحظة التي انتظرها سنوات عديدة قد جاءت بأعظم كشف في الدنيا. ورجع إلى الخيمة ليرسل برقية للورد، والمفاجأة أن عصفور الكناريا الذي كان كارتر قد أحضره معه من إنجلترا ليجلب له الحظ وجده ميتًا بعد أن لدغه ثعبان. وبعد الكشف لم يكن كارتر يسمح للصحافة المصرية أو الزوار بدخول المقبرة، وكان هناك سخط مصري ضد كارتر، ولم يجد مرقص باشا حنا المسئول في ذلك الوقت أمامه غير طرد





هيوارد كارتر من مصر، وخرجت المظاهرات في شوارع القاهرة تهتف وتقول: «يحيا وزير توت عنخ آمون..».

وعندما سافر المعرض إلى أمريكا منذ عامين حدث العديد من الحوادث التي أعادت إلى الأذهان الحديث عن اللعنة. كذلك عندما وصلت إلى وادي الملوك في الخامسة بعد الظهر للقيام بفحص مومياء الملك الذهبي بالأشعة المقطعية لأول مرة هبت عاصفة رملية شديدة بالوادي وظلت السماء تمطر بطريقة لم يشهدها الوادي الساكن من قبل. وعندما أُخرجت المومياء من التابوت ووضعت داخل جهاز الأشعة، فجأة تعطل الجهاز تمامًا دون أي سبب واضح. وكانت هذه اللحظة هي الأولى في حياتي التي بدأت أشعر فيها أن هناك شيئًا اسمه «لعنة توت عنخ آمون». وعندما تقرر أن يعود الملك الصغير إلى لندن مرة أخرى في نوفمبر ليعرض داخل قبة الألفية تعرضت القبة للسرقة، ولم توافق الحكومة البريطانية على أن تحول القبة كازينو للقمار.. وقد قابلت منذ شهور حفيد اللورد كارنارفون على العشاء بدعوة من السفير المصري بلندن جهاد ماضي وقلت للحفيد: «أخيرًا توت عنخ آمون سوف يصل إلى لندن وأعتقد أن اللعنة سوف تبدأ من جديد ويجب أن تحذر؛ لأنك الوحيد الباقي من أسرة اللورد ولن يتركك الملك الذهبي...» ووجدت الخوف والقلق مرتسمين على وجهه.



تمثال توت عنخ آمون على شكل مقبض عصا من الذهب

رسالة من توت



توت عنخ آمون مع زوجته من نقوش عرشه - المتحف المصري



في الحفل الأسطوري الرسمي الذي أقيم في مدينة دالاس بولاية تكساس بمناسبة افتتاح معرض الملك الذهبي «توت عنخ آمون».. حضر المثقفون والسياسيون ورجال الأعمال إضافة إلى الوفد المصري المكون من الكتاب والصحفيين وقنصل مصر العام بمدينة هيوستن. لقد كان بالفعل حفلاً يليق بمكانة أحد فراعنة مصر. وقبل افتتاح المعرض بأيام كانت صور الفرعون الذهبي معلقة في الشوارع وعلى جوانب الحافلات وفي المحال الكبيرة حتى إنهم ابتدعوا طريقة جديدة تجعل المواطن الأمريكي وهو واقف في الطابور لدفع الفاتورة يشاهد لمدة دقيقة دعاية رائعة عن الملك الذهبي. هذا بالإضافة إلى تغطية الصحافة والقنوات التلفزيونية التي بثت أفلامًا عن مصر وآثارها بصفة يومية.

وقد حضر حفل افتتاح المعرض أكثر من ألف أمريكي، وعندما طلبت مني الكلمة بدأت بالقول ممازحًا إنني الوحيد الذي يمكن له أن يتحدث مع الفراعنة، حيث قابلت مؤخرًا الملك «توت عنخ آمون» وجهًا لوجه عندما قمت بفحص موميائه بالأشعة المقطعية ومعي فريق علمي مصري لكي نعرف سبب وفاته، وقد طلب مني الملك أن أنقل لكم رسالة بدأها بالقول إنه يجب على كل شخص يزور معرضي أن يعلم أن معظم ثمن تذكرة الدخول سوف يذهب لترميم الآثار؛ آثار أجدادي وأحفادي والتي هي ملك للإنسانية كلها، وأن على الجميع أن يعلم أن بلدي مصر هي بلد الأمن والأمان، والحديث عن الإرهاب خدعة وخرافة زرعها ونماها السياسيون، فشعب مصر سيظل دومًا شعبًا طيبًا ينبذ العنف ودينهم يدعو إلى السلام واحترام آدمية الإنسان، فهم أول شعب يوقع على معاهدة سلام في التاريخ منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، وكانت بين الملك «رمسيس الثاني» وملك الحيثيين، وجاء أحد أحفاده وهو السادات بمبادرة سلام قوية بعد أن كسر شوكة المعتدي وحطم الأسطورة واختار السلام الذي عليه تحيا الشعوب.. سلام الحق والعدل والقوة؛ أي سلام الـ «ماعت»، الرمز الذي اختاره أجدادي الفراعنة منذ بدء الحضارة ليعبر عن مُثل عليا هي الحق والعدل والنظام. واستكمل الملك حديثه بأن على الحكومة الأمريكية إن كانت بالفعل ترغب في السلام أن تقف إلى جانب الحق ومساعدة أصحاب الأرض المشردين؛ ليعم السلام ويعود أبناء فلسطين إلى موطنهم ليحيوا في سلام ويزرعوا الزيتون من جديد، والأرض جعلها الله متسعًا للجميع. وأخيرًا فإن إلصاق تهمة الإرهاب والعنف بالعرب والإسلام هو ظلم لشعوب عانت الكثير ولحضارة حملت راية العلم والمعرفة لكل شعوب الأرض ودفعت الحضارة الإنسانية خطوات إلى الأمام، فلا يليق بحكومة أمريكا أن تصمم على الظلم ومعاملة كل من يطأ أراضيها من العرب والمسلمين جميعًا بهذه الطريقة التي تتنافى مع أبسط حقوق الإنسان التي تنادون بها.

انتهت رسالة الملك الصغير «توت عنخ آمون» وخيم صمت جليل على القاعة الكبيرة قبل أن يفيق الحضور وتضج القاعة بالتصفيق والكل عنده الأمل في التغيير إلى الأفضل وإلى العيش في سلام مع الآخرين.

مدائن صالح



مدائن صالح - المملكة العربية السعودية



هناك العديد من المواقع الأثرية الموجودة في العالم العربي لا يعرف عنها العامة الكثير، بل أعتقد أن بعض هذه المواقع تفوق في أهميتها العديد من الأماكن المعروفة، بل وتزيد في أهميتها عن بعض ما تم اختياره في مسابقة عجائب الدنيا السبع. وبالمملكة العربية السعودية العديد من المواقع الأثرية المهمة والتي ترجع لعصور ما قبل الإسلام، ومنها على سبيل المثال مدائن صالح.

مما لاشك فيه أن طريق التجارة القديم بين مكة وبلاد الشام هو أحد أهم المعابر الحضارية القديمة؛ لما لعبه من دور حضاري عظيم بنقل التأثيرات الحضارية من بلاد الشام إلى اليمن، ومنها إلى هضبة الحبشة بإفريقيا (إثيوبيا حاليًا)، وبهذا كان هناك تواصل حضاري بين هذه البلاد والحضارات المختلفة.

وعلى امتداد هذا الطريق، الذي يقع بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ازدهرت دويلات ومدن كان لها طابعها الحضاري الخاص. إن هذه المواقع لاتزال تحتاج إلى الكثير من أعمال الكشف الأثري المنظم مع وجود مشروع لدراسة وحماية هذه الآثار التي أعتقد أنها ستقدم الكثير إلى تاريخ المملكة العربية السعودية قبل بعثة محمد ﷺ. وأهم هذه المواقع كما ذكرنا الموقع المعروف باسم «مدائن صالح»؛ نسبة إلى نبي الله صالح، ويقع بوادٍ فسيح يسمى (وادي القرى)، كان هذا الوادي بمثابة الجنة؛ حيث التربة الخصبة وتوافر المياه العذبة والطبيعة الخلابة التي جعلت الوادي وما يقوم به من قرى محطة رئيسية لقوافل التجارة القديمة. وفي مدائن صالح يوجد العديد من الأطلال والأماكن التي تنسب إلى ما ورد في القصص القرآني مثل ذلك الجبل الذي ينسب إلى المكان الذي خرجت منه الناقة، وكانت إحدى المعجزات التي أرسلها المولى عز وجل إلى قوم صالح، ثم هناك المكان الذي يقال إن القوم كانوا يشربون فيه من لبن هذه الناقة، وموقع يقال إن القوم عقروا الناقة به. على أن أهم ما يميز المنطقة هي تلك الجبانة الشاسعة وواجهاتها التي لاتزال في حالة رائعة من الحفظ، وهي مقابر منقورة في الصخر الطبيعي، ولها واجهات متعددة المستويات تنتهي من أعلى بما يمثل درجات السلم، ويزين الواجهة أشكال لحيوانات خرافية مجنحة



تمثل رموزًا لمعبودات ذلك العصر، والذي ينسب عادة إلى الأنباط، على أن مدائن صالح تقوم كمثال حي إلى ما تحتاجه المملكة العربية السعودية من مشروع متكامل لتسجيل ودراسة آثار المملكة وعمل خريطة أثرية لجميع المناطق الأثرية بها. هذه الخريطة سوف تساعد كثيرًا في تنظيم عمليات البحث والاستكشاف عن آثار المملكة، وبالتالي وضع مشروع متكامل للحفاظ عليها وصيانتها. وبالمملكة خبرات وعقول قادرة على القيام بهذا المشروع خير قيام. والمجلس الأعلى للآثار بمصر على أتم الاستعداد لعمل شراكة تكون نواة فيما بعد لمشروع كبير يضم جميع البلدان العربية، وبالتنسيق مع جمعية الأثريين العرب؛ وذلك لعمل خريطة أثرية واحدة للوطن العربي توضع عليها جميع المناطق الأثرية على اختلاف الحقب التاريخية التي تنتمي إليها هذه المواقع، واستخدام أحدث تقنيات التكنولوجيا الحديثة لتسجيل هذه المناطق وعمل قاعدة بيانات «Data Base» لآثار الوطن العربي تساعد على صيانة وحماية مواقعنا الأثرية.

إن ما تتعرض له بلدان وطننا من حروب وصراعات تهدد تراثنا الحضاري، تدعونا إلى الإسراع في تسجيل هذا التراث باعتباره تراثًا إنسانيًا لا يجوز التعدي عليه بأي شكل من الأشكال باعتباره ذاكرة الوطن. وكلنا مسئولون عن الحفاظ على ذلك التراث وحفظه للأجيال القادمة كخطوة على طريق حفظ هويتنا وميراثنا الحضاري.

واجهة إحدى المقابر الصخرية بمدائن صالح بوادي القرى



عن الفراعنة وأصلهم!



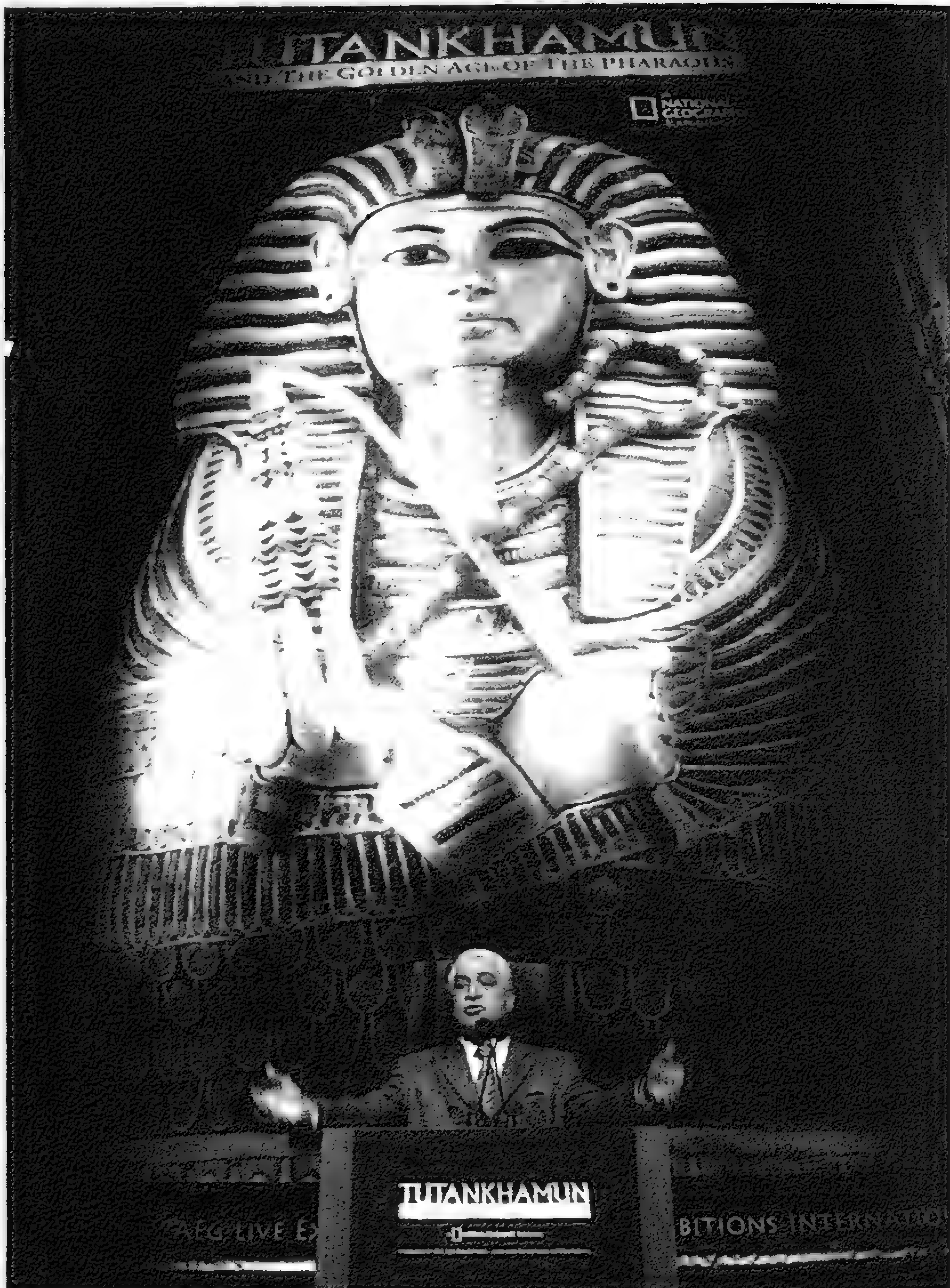
تمثالا رع حتب ونفرت - المتحف المصري



أعلنت الصحف المصرية أن هناك جمعية أمريكية سوف تنظم رحلة مقدسة إلى مدينة أسوان بهدف إثبات أن الحضارة الفرعونية من أصل إفريقي..

وموضوع أصل الفراعنة ليس وليد اليوم وخاصة لأن أحد الأمريكان السود ومنهم مانو أبيم Manu Apim وغيره يحضرون إلى مصر وينظمون العديد من الرحلات لإثبات أن أصل الفراعنة يعود إلى العنصر الزنجي، وآخرهم المدعو أنتوني برودر Anthony Browder الذي حضر في رحلة تحت اسم «مصر القديمة نور العالم»، وسوف يقوم بإلقاء محاضرة في مؤتمر بأسوان. أما عن أول من كتب في موضوع أصل الفراعنة فهو الإثيوبي الشيخ أنتا ديوب الذي حاول أن يثبت أن الفراعنة كانوا زنوجًا؛ وذلك عن طريق الاستشهاد ببعض التماثيل المصرية القديمة المنحوتة من أحجار سمراء كالبازلت الأسود والجرانيت الأسود، وكذلك الأخرى الملونة باللون الأسود ومنها تمثال للملك «توت عنخ آمون»، والملك «رمسيس الثاني». هذا بالإضافة إلى محاولته إثبات أن اللغة المصرية القديمة ذات أصل يرجع إلى اللغات الإفريقية القديمة. وقد انتشر هذا الرأي في كل مكان حتى إن اليونسكو قامت بعقد مؤتمر علمي لمناقشة الموضوع، وانتهى إلى ضرورة الانتظار لحين ظهور أدلة جديدة. وعلى الرغم من ذلك بدأ السود في أمريكا يعقدون المؤتمرات والمناظرات لإثبات أنهم أصل الحضارة المصرية، ولعل ذلك كان بهدف الوقوف في وجه العنصرية الموجودة في المجتمع الأمريكي ونظرتهم للسود.

وعندما سافر «توت عنخ آمون» إلى أمريكا منذ أكثر من 29 عامًا، قامت المظاهرات في كل مكان يردد المشاركون فيها بأنهم أصل الفراعنة الذين أقاموا هذه الحضارة العظيمة؛ وذلك لوجود أحد التماثيل المهمة بالمعرض باللون الأسود.



المؤلف يلقي محاضرته في افتتاح معرض توت عنخ آمون بـ «لوس أنجلوس»



وعندما كنت أرافق معرض الملك «رمسيس الثاني» بمدينة دالاس بأمريكا، حدثت مظاهرات بالمدينة أمام المعرض، وخاصة عندما ألقيت محاضرة للمرشدين الذين يرافقون الأفواج التي تزور المعرض، وخلال المحاضرة وضعت الأدلة العلمية التي تثبت أن الحضارة الفرعونية بعيدة تمامًا عن الأصل الزنجي أو الأصل الإفريقي، وكان أهم دليل هو أن المصريين القدماء قد صوروا أنفسهم بشكل يختلف تمامًا عن تصويرهم للأفارقة الزنوج، وقد صور هذا على المعابد عندما كان الفراعنة يصورون أعداءهم أو الشعوب التي يتاجرون معها. ومن أهم هذه المناظر ذلك المنظر المصور على الجانب الأيمن من معبد «أبو سمبل» في النوبة بالشلال الثاني، وقد قام الملك «رمسيس الثاني» بإقامة هذا المعبد ليظهر فيه نفسه كملك وهو يتعبد لنفسه كإله، وفي نفس الوقت صور أعداء مصر على المعبد في العالم القديم.. وقد كان بعض الأمريكان يرسلون لي خطابات مجهولة –دون أن يوقعوها بأسمائهم– ويلقونها أسفل مكتبي، ومن ضمن هذه الخطابات خطاب يقول: «ليس معنى أن هناك سيدة أمريكية بيضاء تحضر لك القهوة كل صباح أنك أبيض، وفي الحقيقة أنك أسود..».

وأول يوم في افتتاح معرض «توت عنخ آمون» العام الماضي بلوس أنجلوس قامت المظاهرات أمام المعرض ولم تهدأ إلا عندما قلت في محاضرتي هناك: إن مصر تقع في إفريقيا، وهذا يشير إلى أن الحضارة الفرعونية ذات صلة بإفريقيا.





الفراعنة في أمريكا



دائما ما يثير ذهب توت عنخ امون خيال الامريكان



سافرت في نهاية شهر أغسطس 2008 في رحلة إلى لندن وأمريكا للحديث عن الفراعنة، حيث ألقيت محاضرتي الأولى داخل قاعة بها ألف وسبعمائة شخص في قبة الألفية بلندن خارج المدينة، وكانت مفاجأة لي أن منظمي المحاضرة قد باعوا كل المقاعد، بسعر التذكرة حوالي 15 جنيهًا إسترلينيًا، وكان حضور هذا العدد الكبير سببًا في تأخير موعد المحاضرة حوالي نصف الساعة لكي يستطيع المنظمون إدخال كل هذا العدد إلى القاعة، والتي كان الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون قد ألقى محاضرته فيها أمام نصف هذا العدد من الحضور.. الأمر الذي يؤكد أن الناس بالفعل قد ملوا السياسة وأنهم لا يزالون يعشقون الفراعنة والحديث عن آثارهم وحضارة مصر القديمة المليئة بالأسرار والسحر والغموض، لقد استطاع الفراعنة بحق أن يغزوا هذا العالم الذي تضخم بالتقدم العلمي المذهل في شتى المجالات، ورغم ذلك لا نزال نتحدث عن أسرار الملك «توت عنخ آمون» وبناء هرم الملك «خوفو» الذي يعتبر معجزة من معجزات العلم على مر العصور.

وسافرت من لندن إلى أمريكا، حيث كانت محطتي هذه المرة هي مدينة Lake Tahoe وتقع بولاية نيفادا الأمريكية، وهي من أجمل المدن التي زرتها، وتكاد تكون جزيرة وسط بحيرات، فمن كل جانب هناك بحيرة، وكانت هي المكان الذي تم به تصوير الجزء الثاني من فيلم «الأب الروحي»... وبها جمعية ترأسها سيدة ثرية تدعى Nancy Binz مسئولة تطوير التعليم بجامعة المدينة سواء عن طريق زيادة المباني وفتح أقسام جديدة وعمل منح للمتفوقين أو استقدام أساتذة ومحاضرين في كل مجالات العلم.. والسيدة نانسي عاشقة لمصر وآثارها، وقد زارت مصر كثيراً، وقدمتني لها السيدة الفاضلة جيهان السادات عندما قررت نانسي أن تزور وادي المومياوات الذهبية منذ أكثر من 12 عامًا، والذي كان من أهم الاكتشافات الأثرية التي قمت بها في مصر، واعتبر العالم هذا الكشف بمثابة «توت عنخ آمون» العصر اليوناني الروماني..! فقد حدث أن اتصلت بي السيدة جيهان السادات لتعلمني بزيارة نانسي إلى موقع الحفائر. وعندما علمت نانسي أن هناك منحة دراسية للطلبة



المتفوقين باسمي بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، قامت على الفور بالتبرع بمبلغ عشرة آلاف دولار لكي تشجع دراسة علم المصريات. وتقوم الجمعية كل عام بدعوة أحد المشاهير لكي يلتقي بالطلاب وأهل المدينة في حلقة مناقشة عامة، وبعد ذلك يقوم الزائر بإلقاء محاضرة عامة لأهل المدينة. وعلى مدار الأعوام الماضية تم توجيه الدعوة للعديد من مشاهير السياسيين والمثقفين لكي يعرضوا خبراتهم وآراءهم ونظرياتهم، كلٌ في مجاله، الأمر الذي أثر بالفعل في ثقافة وتوجهات أهل المدينة وعشقهم لكل العلوم.. إن ثقافة التبرع والتطوع من أجل الثقافة والتعليم هي بحق سر من أسرار نجاح أمريكا وتفوقها في مجالات العلم.. أما عن محاضرة الفراعنة التي ألقيتها بالمدينة، فقد كانت بمثابة أمسية فرعونية كبيرة لم يجد المنظمون لها بداً سوى إقامة خيمة ضخمة لكي تستقبل هذا العدد الكبير من عاشقي مصر الفرعونية وكل ما هو مصري.. وكنت أرى وأنا أعرض على الحاضرين كنوز الفراعنة عيون الجالسين أمامي وقد أوشكت على الخروج من مآقيها لروعة فنون الفراعنة.. وهذا يجعلني أقول فعلاً: إن الفراعنة يعيشون الآن في أمريكا.



رأس نفرتيتي المصاحب لمعرض توت عنخ آمون بأمريكا

الفراعنة في اليابان



جزء من تابوت خنبي عثرت عليه البعثة اليابانية بسقارة



لم أكن أتصور أن يغزو الفراعنة اليابان، وأن يحمل اليابانيون كل هذا العشق للحضارة المصرية القديمة، ففي جامعة واسيدا اليابانية واحتفالاً بمرور 125 عامًا على إنشائها، حضرت افتتاح معرض صغير للآثار المصرية كجزء من احتفالية الجامعة، والتي يعمل قسم الآثار والحضارة بها في مصر منذ ما يقرب من أربعين عامًا، وقاموا بالعديد من الاكتشافات الأثرية المهمة في العديد من المناطق الأثرية من الأقصر جنوبًا إلى سقارة وأهرامات الجيزة شمالاً.. ومما لاشك فيه أن ياسوجي يوشيمورا هو واحد من أشهر علماء هذه الجامعة، بل إنه من الشخصيات المعروفة في المجتمع الياباني، يعرفه رجل الشارع من خلال اشتراكه وظهوره في العديد من الإعلانات التلفزيونية، وعندما يمشي في الشارع تجد اليابانيين ينحنون له في كل مكان احترامًا وتقديرًا. وقد اتجه إلى الإعلانات حتى

موقع حفرة المركب الثانية – الجيزة



المؤلف مع فريق بحث من جامعة واسيدا أثناء العمل بحفرة المركب الثانية

يتمكن من تمويل الحفائر التي يقوم بها في مصر.. وقد قابلته لأول مرة منذ سنين طويلة عندما كان يعمل في ترميم حفرة مركب الشمس الثانية التي تقع إلى الجنوب من هرم الملك «خوفو»، وإلى الغرب من متحف مركب الشمس. وقد اعترضت في ذلك الوقت على بعض الجوانب العلمية والتقنية في المشروع، وقدمت عددًا من الإجراءات التي يجب تنفيذها قبل البدء في أي عمل علمي؛ وذلك حماية للأثر في موضعه ولتأمين الكشف عنه دون أي مساس بحالته، وللأسف كان المسئول عن الآثار في ذلك الوقت مولعًا بالهدايا اليابانية؛ ولذلك لم يكن يهمه أو لم يكن يعرف ضرورة وضع خطوات علمية للمناقشة قبل بدء المشروع. ومن



المعروف أن الراحل كمال الملاخ هو الذي كشف عن هذه المراكب عام 1954، وقد تم فتح الحفرة الشرقية، واستطاع عبقري الترميم الحاج أحمد يوسف أن يعمل في ترميم المركب سنوات حتى فتحت للزيارة. وداخل الحفرة عثر على المركب مفككًا إلى 1224 قطعة خشبية موضوعة في 13 طبقة متراصة فوق بعضها البعض، تجاورها بقايا الحبال والحصير وأدوات الملاحة الخاصة بالمركب، ودائمًا ما أقول إن على كل من يحاول مناقشة كيفية بناء المصري القديم لهرم الملك «خوفو» أن يشاهد أولاً عبقرية بناء هذا المركب الضخم، الذي يبلغ طوله حوالي 45 مترًا وعرضه من المنتصف حوالي 9 أمتار، ولم يستعمل الفراعنة مسامير في تثبيت الأخشاب؛ بل استخدموا الحبال لربط الأخشاب، وكذلك استخدموا حشوات خشبية صغيرة في لحام أخشاب المركب بعضها ببعض. وأنا أعتقد أن هذا المركب لم يستعمل في حياة الفراعنة، بل كان عبارة عن مركب رمزي خاص برحلة النهار، والآخر غربي خاص برحلة الليل.

وقد دخل هذه الحفرة حشرات نتيجة لفتح ثقب في الجانب الشرقي عند الكشف عن المركبين. وجاءت الجمعية الجغرافية ووضعت كاميرا لتكشف تلف الأخشاب ووجود حشرات داخل الحفرة. وفي بداية المشروع الياباني تناولت الصحافة هذا الموضوع، ونشر على لساني بعض الكلمات التي لم تعجب يوشيمورا في ذلك الوقت، ورفع قضية ضدي. وصممت على تعديل المشروع، وفعلاً تم تعديله وسمح لهم بالعمل، واستطاعوا قتل الحشرات الموجودة بالداخل وغلق الحفرة وإقامة مبنى فوقها للحماية. ظلت علاقتي بيوشيمورا عادية حتى وجدته يومًا يدعو الدكتور أحمد قدري بعد إحالته للمعاش لكي يقوم بالتدريس بجامعة واسيدا ويتم علاجه كذلك من مرض سرطان الكبد.. وهو موقف نادر من أي أجنبي تجاه شخص ترك السلطة، يومها احترمت هذا الرجل ودعوته لمقابلتي لأقول له: «إنك رجل عظيم؛ لأنك دعوت إنسانًا بعد أن ترك المنصب ولم يعد بالسلطة!».

مصر واليابان



منظر تخيلي لواجهة المتحف المصري الكبير



أثناء زيارتي الأخيرة لليابان لحضور افتتاح معرض الفراعنة بجامعة واسيدا وجدت أن رجال السياسة هناك يحرصون على حضور المعرض لأنهم لمسوا حب الشعب الياباني للفراعنة، ويمكن أن يكسبوا أصوات اليابانيين عن طريق الفراعنة. وعلى الرغم من أن المعرض لا يضم قطعًا أثرية شهيرة أو مومياوات للفراعنة، إلا أن اليابانيين حرصوا على زيارته مصطحبين معهم أطفالهم ليشاهدوا آثار حضارة عظيمة نشأت على ضفاف نيل مصر الخالد. ويضم المعرض الآثار التي كشفت عنها البعثة اليابانية في دهشور، ومنها مقبرة هامة ترجع إلى عصر الدولة الحديثة (1550 – 1070ق.م)، وذلك بالتعاون مع مركز الاستشعار عن بُعد وبالصور الجوية التي تظهر موقع المقبرة، والتي يصل عمقها إلى حوالي 10 أمتار تحت سطح الأرض، وأيضًا تلك الآثار التي قاموا بالكشف عنها في أبو صير، حيث عثروا على استراحة بناها الأمير «خعمواس» ابن الملك «رمسيس الثاني»، وهو الأمير الذي يعتبر أول مرمم في تاريخ الإنسانية قام بترميم أهرامات ومعابد الفراعنة، واتخذ من هذه الاستراحة المشيدة على مكان مرتفع مكانًا لمشاهدة أهرامات أجداده في الجنوب سقارة ودهشور، وفي الشمال حيث أهرامات الجيزة.

ومن أهم الأعمال التي قام بها ساكوجي يوشيمورا مدير البعثة اليابانية في مصر ترميم مقبرة الملك «أمنحتب الثالث» القريبة من وادي الملوك بالتعاون مع اليونسكو، وسوف يتم افتتاح هذه المقبرة قريبًا للزيارة. وقام اليابانيون كذلك بصيانة المركب الثانية الخاصة بالملك «خوفو». وقريبًا يتم البدء في مشروعين للبعثة اليابانية؛ الأول يتمثل في وضع كاميرا داخل الحفرة تتصل بشاشة عرض تلفزيوني لكي يتمكن السائح من مشاهدة المركب المدفونة داخل هذه الحفرة منذ أكثر من 4500 سنة تقريبًا. وقد التقيت بالسفير المصري





الكاميرا الموضوعة داخل حفرة المركب الثاني



النشط هشام بدر الذي يتحدث اليابانية بطلاقة وبحضور المسئولين بوزارة الخارجية اليابانية، وذلك للموافقة على ترميم المركب الثاني المدفون، وهو من أضخم المشاريع الثقافية التي تضاف إلى مشروعات أخرى عملاقة قام بها اليابانيون على أرض مصر، مثل دار الأوبرا المصرية، وجسر مبارك للسلام والذي يربط بين قارتي إفريقيا وآسيا، وكذلك المشاركة بقرض بفائدة بسيطة في مشروع المتحف المصري الكبير، الذي يقام بجوار أهرامات الجيزة على مساحة 117 فدانًا، وأخيرًا مشروع الجامعة المصرية للعلوم والتكنولوجيا.. والغريب أن العلاقات الثقافية بين مصر واليابان تعود إلى نهايات القرن التاسع عشر عندما قام وفد من الساموراي الياباني بزيارة مصر عامي 1862 و 1864 بتكليف من إمبراطور اليابان «ميجى» في عصر التحديث الياباني لدراسة تجربة التحديث في مصر ونقل تجربة النهضة المصرية إلى اليابان. ومن الغريب أن الوفود انبهرت جدًا بمصر الحديثة وبشكل خاص بالقطار الذي شاهدوه لأول مرة في مصر في ذلك الوقت ونقلوا صورة كاملة عن مصر لليابان وجاء العديد من علماء اليابان لدراسة أحوال الشعب المصري تحت الاستعمار وتجربة المحاكم المختلطة... هل نتصور أن اليابان كانت تتعلم من الدول الأخرى، وانظروا ماذا حدث لليابان؟ وماذا حدث لنا؟!



الأقصر.. لاس فيجاس



فندق الأقصر بـ «لاس فيجاس»



في مدينة القمار بـ «لاس فيجاس» يوجد العديد من المباني الشاهقة خصصت لجميع أنواع القمار، وقد أقيمت وفق تصميمات مستوحاة من التاريخ فنجد كازينوهات على شكل مدينة ڤينيسيا بإيطاليا ومباني تحمل اسم قيصر وأخرى على الطراز الهندي والصيني وأخيرًا فندق الأقصر في لاس فيجاس. وقد لاحظنا في الشهور الماضية هجومًا كاسحًا على هذا الفندق، وكيف سمحت مصر بأن تقلد آثارها بهذا الشكل؛ بل وكتب البعض دون فهم أن الأقصر في لاس فيجاس يدخلها 350 مليون شخص سنويًا أما الأقصر في مصر فلا يزورها ربع هذا العدد. وللأسف الشديد لم يحاول أحد دراسة هذا الموضوع أو التحقق من المعلومات والأرقام قبل الكتابة. وسوف نجد أن هناك آلاف من المباني التي تقلد الآثار المصرية في العالم كله وأشهرها الهرم الموجود أمام اللوفر. وكذلك المعابد الفرعونية التي بنيت في مدينة دبي والعديد من المباني في اليابان وأستراليا والمدن الأوربية. وهناك القرية الفرعونية في مصر والمحكمة الدستورية العليا وكذلك المنتجع السياحي بخليج سومه في الغردقة. كل هذه المباني تأخذ روح الفراعنة فهي لا تقلد المعابد المصرية ولكنها تتأثر بالطراز الفرعوني دون محاولة محاكاته. أما فندق القمار الذي يحمل اسم الأقصر في لاس فيجاس فليس هناك أي صلة بينه وبين الأقصر بالوجه القبلي والتي يوجد بها أعظم ما تركه الفراعنة في العصر الذهبي لمصر من معابد الأقصر والكرنك ووادي الملوك ووادي الملكات والنبلاء. وهذا الفندق بني على شكل هرم من الخارج ليس بينه أي صلة مع أي هرم مصري وداخل الفندق رسوم لأعمدة ومناظر فرعونية لا تقلد أي معبد مصري بل عبارة عن لمحات من فنون الفراعنة. أما العدد الكبير الذي ذكر بعض الصحفيين أنه يزور هذا الفندق فهو في الحقيقة عدد الذين يزورون مدينة القمار أو لاس فيجاس وما بها من مئات الفنادق المنتشرة في كل مكان. ولا يوجد قانون مصري يمنع تقليد الآثار بما فيها قانون الآثار الأخير 117 لسنة 1983. فالقانون الحالي لم ينص على أي بند يحرم التقليد بل هناك الصين التي تنتج ملايين النماذج الأثرية الفرعونية وتباع في كل مكان بل لم يعد هناك منافسة مع منتجات خان







الخليلي نظرًا لرخص المنتج الصيني حتى إنني وبالمصادفة وجدت النماذج الصينية من القطع الفرعونية تباع في مصر. وقد شاهدت مقارنة بين المنتج المصري والمنتج الصيني ووجدت أن المنتج الصيني أرخص وفي نفس الوقت الصناعة أكثر إتقانًا.. وهنا تأتي الخطورة؛ فما الحل عندما يصدر القانون الجديد الذي سوف يمنع تقليد الآثار ويعطي هذا الحق فقط لمصر؟ في هذه الحالة لابد أن يكون المنتج المصري على مستوى عالٍ وفي نفس الوقت يكون سعره في متناول الجميع حتى نرى المنتج المصري معروضًا في متاحف العالم كما نرى الآن المنتج الصيني ونحن في انتظار قانون الآثار الجديد لكي يناقش في مجلس الشعب ويعطي لنا حق منع تقليد الآثار وفي هذه الحالة يمكن أن نلاحق أي جمعية أو أشخاص تقلد الآثار المصرية.. إن كل ما نحتاجه هو أن نعرف ونحترم حقوق الملكية الفكرية وأن نعطي الحق لأصحابه في إطار قانوني نتفق جميعًا عليه.



المكسيك..كوبا: المفاجأة



المؤلف بصحبة فاروق حسني وزير الثقافة أثناء افتتاح
معرض الآثار المصرية بالمكسيك



منذ ما يقرب من عشر سنوات كانت زيارتي الأولى للمكسيك، وقد وجدت النفايات والقاذورات تملأ الشوارع دون فرق بين شوارع رئيسية أو أخرى فرعية، ووجدت بالفعل أن الأمن يكاد يكون منعدمًا؛ فالعنف موجود في كل مكان لدرجة أن العادة انتشرت بين أهل المكسيك على قيام كل عدد من الأسر أو الجيران بعمل سور حول منازلهم ولا يسمح لأحد بالدخول إلا إذا كان لديه تصريح، يومها قلت سبحان الله فلقد أعطى للمكسيك كل شيء من سواحل رائعة لا يوجد لها مثيل في الدنيا كلها ومعادن كالفضة والبترول؛ ولكن أعطاها الإنسان المكسيكي غير القادر على الاستفادة من هذه المنح. ويبدو أني كنت مخطئًا؛ فلقد استيقظ المكسيكيون من سباتهم وتحولوا إلى أناس يعملون بجد وصدق ولديهم رغبة حقيقية في التغيير.

كانت هذه هي المفاجأة التي شاهدتها خلال زيارتي الأخيرة منذ أيام قليلة؛ لقد تحولت مدينة مكسيكو سيتي ذات الضوضاء والتلوث والتي كانت تتربع على عرش المدن الفوضاوية في العالم إلى مدينة جميلة جدًا؛ الزهور والخضرة في كل مكان وترى موظفي المدينة يجوبون الشوارع والطرقات بعربات محملة بفسائل الزهور والأشجار ليغرسوها في كل مكان. ليس هذا فقط بل تحولت أسطح المنازل إلى حدائق بديعة التنسيق وانعكس الجمال على سلوك البشر فالمرور في المدينة منظم جدًا يضارع المدن المتقدمة في العالم. لم يكن ما حدث في المكسيك ليمر عليَّ مر الكرام فظللت أسأل وأبحث عن السبب في هذا التغير حتى عرفت أن الحكاية بدأت بعمدة جديد للمدينة أحبَّه الناس ولمسوا فيه الصدق وروح التغيير فالتفوا حوله وكان ما رأيته من تحول شامل في المدينة العريقة. بالفعل يستطيع شخص واحد أن يفعل مالا تستطيعه الأجهزة والإدارات وعندنا في مصر الدليل على ذلك وهو ما حدث في مدن مثل قنا والمنيا والإسكندرية والأقصر وأسوان. ورغم ذلك أشعر بأسًى شديد وأنا أرى العديد من المسئولين لا يعيرون الجمال اهتمامًا وكل ما يهمهم هو المحافظة على



الوظيفة وهؤلاء يجب التخلص منهم فورًا.

والمفاجأة الثانية كانت مدينة هافانا بكوبا، فقد سافرت مع الفنان فاروق حسني وزير الثقافة المصري ضمن وفد مدعو من قبل الحكومة الكوبية وعلى الرغم من النظام الشيوعي الصارم الذي وضعه فيدل كاسترو منذ نصف القرن فإننا وجدنا أنفسنا في مدينة جميلة رائعة وخاصة المنطقة القديمة التي يرجع تاريخها إلى حوالي 500 عام ويشرف على ترميم المنازل مؤرخ المدينة الذي لا يتبع رئيس الآثار أو وزير الثقافة بل يتبع رئيس الجمهورية مباشرة واستطاع أن يخلق جيلاً من الشباب الرائع يقوم بترميم المنازل وتنظيم الحفائر داخل الشوارع وترميم القطع الأثرية الموجودة داخل المنازل. وكانت المفاجأة هو الاهتمام بالثقافة حيث بنوا 300 متحف في القرى والمدن لتصل الثقافة إلى كل بيت في كوبا. وعندما زرنا معهد الباليه وجدنا أنهم يحضرون الفتيات والشباب من القرى من سن الثامنة ويقومون على تعليمهم فن الباليه، وهناك درجات للتعليم حتى يصل إلى المستوى العالمي ويلتحق بالفرقة القومية للباليه، وقد شاهدنا لوحات رائعة من هؤلاء الشباب الصغار الذين نالوا التشجيع من كل الحاضرين حتى أن فاروق حسني قال لي تصور أن أساتذة الباليه في مصر لم يحاولوا خلق جيل ثان واع مثلما يحدث الآن وما نشاهده عبارة عن معجزة قد لا تجدها في أي بلد آخر.. هذا الحب والرغبة الحقيقية في التغيير كانت السبب الأول والأخير في مقاومة الحصار الاقتصادي الأمريكي.



المؤلف والوزير فاروق حسني أثناء زيارتهما لمعهد الباليه بكوبا

الإرهـــابي!



المؤلف أثناء افتتاح معرض الفرعون الذهبى بإحدى الولايات الأمريكية



هذا ليس عنوان فيلم لـ «عادل إمام»؛ لكنه عنوان قصة حقيقية حدثت بالفعل. أما الإرهابي هنا فاسمه: زاهي حواس وجواز سفره يؤكد أنه مصري الجنسية!! بداية القصة كانت عندما ذهبت إلى مدينة فونيكس Phoenix معقل مرشح الحزب الجمهوري جون ماكين وقد نزلت في الفندق الذي ينزل فيه الرئيس بوش ويلعب هناك الجولف مع ماكين وعمدة المدينة. وهذا هو الفندق الذي اختارته شركة IBM لعقد المؤتمر السنوي. وقد اعتادت الشركة أن يتم لقاء أغلب العاملين بها من كل دول العالم في مدينة من المدن الأمريكية، وقد كان اللقاء في العام الماضي بمدينة سان دياجو بكاليفورنيا. وخلال هذا اللقاء السنوي الذي يستمر ثلاثة أيام يتناقشون في أحدث الأفكار والمعلومات في عالم الكمبيوتر، وفي نفس الوقت يلتقون ببعض المحاضرين في المجالات المختلفة، وقد تم دعوة الكاتب والمؤلف المعروف Frans Johansson، والمطربة الإفريقية المشهورة Angélique Kidjo، وهي من بنين بإفريقيا وتغني بأربع لغات وأصبحت نجمة عالمية بعد نجاح ألبومها عام 1988. وكنت أنا المحاضر الثالث عن أسرار الفراعنة واكتشافاتي الأثرية. وبعد ذلك وفي الصباح الباكر ذهبت إلى مطار فونيكس، وبعد أن أدخلت حقائبي توجهت إلى منطقة الجوازات ووجدت سيدة ذات وجه جامد لا تدل ملامحها على أي ذكاء تفتح جواز السفر وعلى الفور ودون سابق إنذار قررت أن صاحب هذا الجواز إرهابي وقامت بوضع علامة حمراء على بطاقة الصعود إلى الطائرة Boarding pass. ودخلت إلى منطقة التفتيش وخلعت حذائي وحزامي، أخرجت الكمبيوتر من الحقيبة مثل كل المسافرين. وعندما دخلت من بوابة الأمن X-Ray وشاهد الموظف العلامة الحمراء عرف على الفور أن هذا الشخص إرهابي يجب أن يتم تفتيشه ذاتيًا وأشار لي بتعالٍ شديد أن أدخل القفص، وهو عبارة عن صندوق زجاجي وقفت داخله في الوقت الذي كان المسافرون يلوحون لي من بعيد؛ بعضهم سعيد بلقائي



والآخر يظهر إعجابه بالبرامج التلفزيونية التي يشاهدونني فيها. وللأسف الشديد لم يشفع لي ذلك عند هذا الموظف الذي يطبق القواعد بغباء شديد جدًا. وبعد حوالي سبع دقائق جاء إليَّ موظف آخر من الجمارك وأخذني إلى حجرة بعيدة عن الأعين وبدأ يفحص جواز السفر والكمبيوتر ويفتح كل شيء بدقة. وهنا تدخلت لكي أقول له أن يقرأ الخطاب الموجود معي من السفير الأمريكي بالقاهرة والذي يشير فيه إلى مكانتي في بلدي ويثبت أنني لست إرهابيًا دوليًّا مطلوب القبض عليَّ، وقال الموظف إن هذا الخطاب لن يغير شيئًا. أي إنني في نظرهم إرهابي لحين ثبوت عكس ذلك. وبعد أن اتضح أنني لا أحمل أسلحة وليس لدى غير معلومات عن الفراعنة، وللحقيقة ساعدني في ترتيب حقيبتي وبأدب أشار لي بالانصراف.. وهنا أنا لا أعترض على التفتيش مثل أي شخص ولكن اعتراضي أنهم عندما نظروا إلى جواز سفري لم يحاولوا معرفة الوظيفة أو العمل والتأكد من حقيقة صاحب الجواز حتى لا يصنف البشر تبعًا لألوان جوازات سفرهم وحتى لا يكون الأمر مخولاً لموظف محدود الذكاء ليقرر من هو الإرهابي؟! الشيء المؤكد أن موظفي الجوازات عندهم ليس لديهم أدنى قدر من الثقافة أو الوعي، ويتفننون في كسب عداء الآخرين لأمريكا وكأن ما يفعله ساستهم لا يكفي!



حتشبسوت في اليابان



رأس لتمثال الملكة حتشبسوت - المتحف المصري



لا أخفي حقيقة أنني ترددت كثيرًا قبل السفر إلى اليابان هذه المرة، وذلك لأنني دائمًا ما أحس في كل زياراتي لليابان بوجود حائط بيني وبين اليابانيين؛ لأنني لا أتحدث اليابانية، وهم أيضًا لا يتقنون أي لغات أخرى. وكنت ألقي محاضراتي وبجواري مترجم ينقل ما أقوله إلى الحاضرين بدون ترجمة فورية؛ وهو الأمر الذي يصيبني دائمًا بالملل لعدم وجود أي تجاوب بيني وبين الحاضرين. وفي زيارتي الثانية لليابان كان قد نُشر لي كتاب عن المرأة الفرعونية باللغة اليابانية وكانوا يحضرون ومعهم الكتاب لكي أوقعه ولا أجد أي تعبيرات موجودة على وجوه الحاضرين.. وللأسف الشديد معرفتي بالشعب الياباني.. عاداته وتقاليده ليست جيدة بالقدر الكافي، لذلك قررت عند سفري هذه المرة أن أقرأ عنهم كل ما تصل إليه يدي من كتاب أو مقال، لذلك وجدت نفسي أكثر قربًا منهم هذه المرة، وكنت سعيدًا بأنهم قد استطاعوا نشر ثلاثة كتب من مؤلفاتي بالترجمة اليابانية، وعرفت سر إصرارهم على نشر هذه الترجمات في كتب صغيرة الحجم تختلف عن الكتاب الأصلي؛ حيث إنهم يفضلون اصطحاب الكتاب معهم وقراءته في القطارات أو المطاعم أو المتنزهات العامة حيثما توفر لهم الوقت للقراءة. والحقيقة أن حركة الترجمة نشطة جدًا في اليابان ويقال إن عدد الكتب التي تترجم سنويًا يصل إلى أكثر من الكتب التي تترجم بالعالم العربي كله.

وهناك اهتمام شديد بالحضارة الفرعونية، خاصة ملوكها العظام وملكاتها الجميلات مثل «نفرتيتي» و«كليوباترا». ولم يكن لديهم علم بالملكة «حتشبسوت» حتى أعلن الكشف عن موميائها في أشهر المحطات التلفزيونية وأكثرها انتشارًا باليابان وكذلك تصدرت أخبار الكشف الصفحات الأولى في الصحف والمجلات اليابانية وظلوا يعلنون عن هذا الكشف ليلاً ونهارًا، وقد ألقيت محاضرة بالجامعة عن كشف مومياء «حتشبسوت» ولم أسمع يابانيًا واحدًا ينطق اسم الملكة بالطريقة الصحيحة، وهذا ليس عيبًا في اليابانيين، بل وجدت





نفس الشيء بين الناس في كل مكان حتى إنني كنت أحاول أن أقول للصحفيين والمذيعين أن ينطقوا كلمة «هوت تشيكن سوب Hot Chicken Soup» حتى يستطيعوا نطق كلمة «حتشبسوت»، ووجدت ولأول مرة التلفزيون الياباني يطلب مني حديثًا عن معرض الفراعنة وعن الملكة «حتشبسوت» و«كليوباترا»..

أنهم يشبهونني بصاحب هذه الشخصية القوية الذي يكتشف الكنوز ويطارد اللصوص في كل مكان.

وقد وجدت أن المحطات اليابانية الشهيرة سوف تنتج أفلامًا جديدة عن الملكة «كليوباترا» وكذلك عن «حتشبسوت» و«أسرار الأهرامات»، بل وقررت قناة NHK أن تذيع برنامجًا على الهواء مباشرة من مصر.. وعندما أعلنت أني تناولت العشاء مع چورچ لوكاس والذي اخترع أيضًا فكرة حرب النجوم وجدت اليابانيين يرددون اسم لوكاس حيث إن هذا الاسم لصق بعقلية اليابانيين للأثري المغامر أنديانا جونز وأفلام المغامرات.



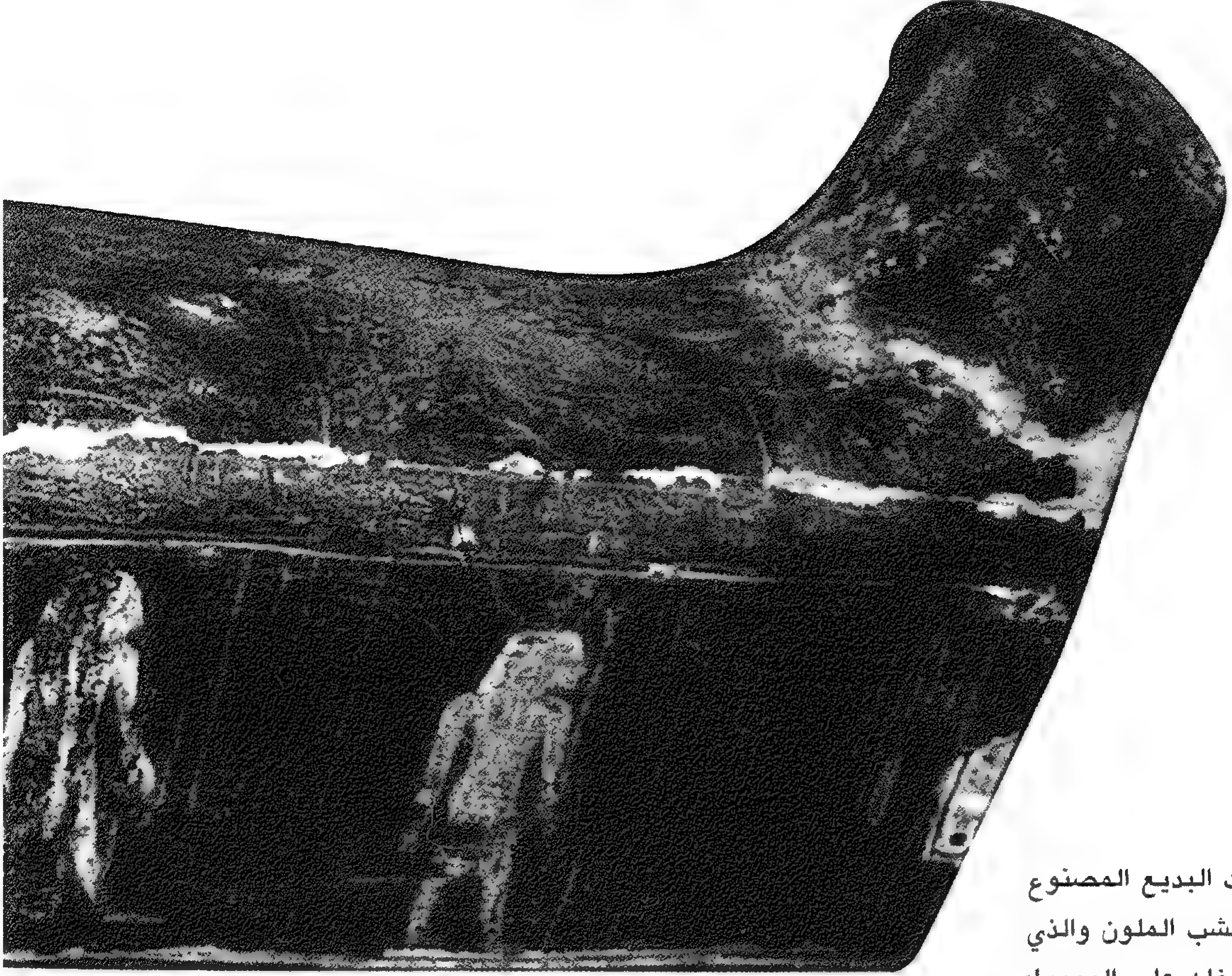
معبد حتشبسوت بالدير البحري

اغتيال مومياء



التابوت البديع المصنوع من الخشب الملون والذي عثر بداخله
على المومياء المغطاة بالقناع

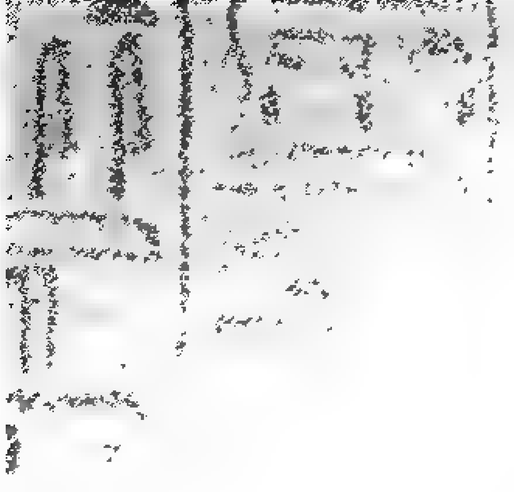


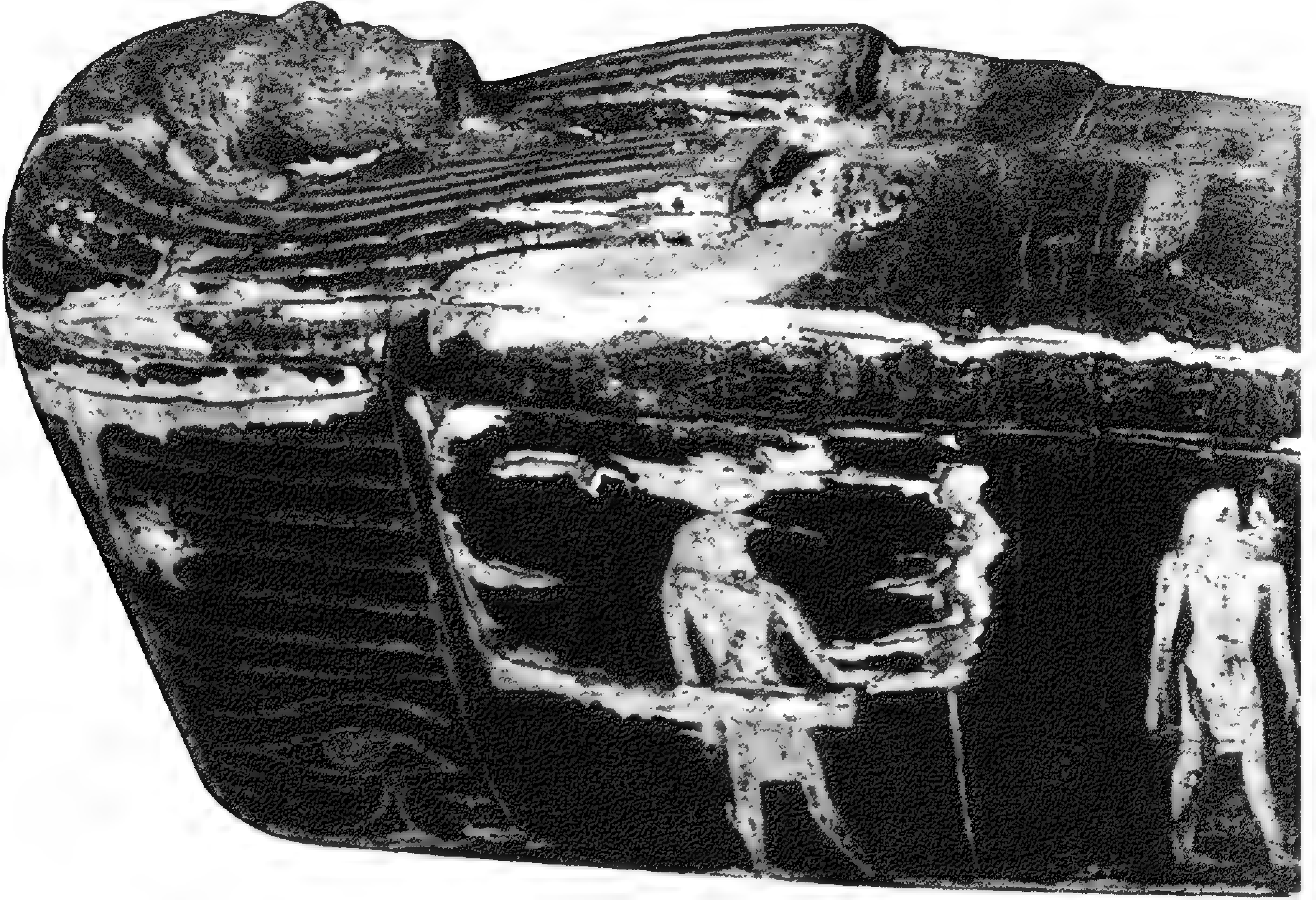


التابوت البديع المصنوع
من الخشب الملون والذي
عثر بداخله على المومياء
المغطاة بالقناع

ليس هذا عنوانًا لفيلم روائي أو مسلسل تلفزيوني، ولكنه عنوان القصة التي نشرت على صفحات المجلات والصحف عن بعثة الآثار اليابانية التي تعمل في منطقة آثار سقارة بمصر، وتشير إلى أن البعثة قد اغتالت مومياء فرعونية. وقد قرأت هذا الموضوع مثل كل من قرأه، حتى إن مضيفة الطائرة المصرية التي أقلعت من فرانكفورت كانت في غاية الحزن لما قرأته.. والقصة تعود إلى سفر المرممة نهى عبد الحفيظ ضمن الوفد المصري لحضور افتتاح معرض الآثار الذي يطوف بالعديد من المدن اليابانية. وشاهدت فيلمًا يعرض داخل المعرض عن طريق بعثة جامعة واسيدا اليابانية يصور عملية فك قناع جميل من على وجه







المومياء، التي كشفتها البعثة بسقارة. والحقيقة أن أي شخص غير أثري وغير ملم بعلوم الآثار عندما يشاهد هذا الفيلم فسوف ينزعج ويتأثر مثلما يحدث لنا جميعًا دون الجراحين عندما نشاهد عملية فتح قلب على شاشة التلفزيون.

وقد جاءت المرممة لمقابلتي وأعطتني نسخة من الفيلم واهتممت بهذا الموضوع خاصة أنه جاء من مرممة مصرية، وذكرت لي أن هذا هو اغتيال للمومياء مثلما حدث من هيوارد كارتر عندما دمر مومياء الملك توت عنخ آمون أثناء محاولته إزالة القناع الذهبي من على وجه مومياء الملك.



وقد طلبت التحقيق في الموضوع، وجاء لي تقرير مفصل من الدكتورة نادية لقمة وهي من أهم المرممين المصريين حاليًا، وفيه اتضح أن هذه المومياء لرجل يدعى «سنو» وترجع إلى حوالي 3700 سنة تقريبًا وعثر على المومياء داخل تابوت من الخشب الملون وطول المومياء 150سم ملفوفة بالكتان وترتدي قناعًا من الكرتوناج الملون المصنوع من طبقات من النسيج المضغوط والمجمع معًا بمادة لاصقة. والقناع مثبت على الرأس ويغطي جزءًا من الصدر والظهر.. ولأن الفراغ داخل تجويف القناع أكبر بكثير من حجم الرأس والكتفين اضطر المحنطون القدماء إلى ملء هذا الفراغ بين رأس المومياء وتجويف القناع بكرات من الكتان المشبعة بالزيوت الراتنجية، وما يشاهده الناس في الفيلم هو عبارة عن عملية إخراج هذه الكرات الكتانية من بين تجويف القناع والرأس لكي يتمكنوا من رفع القناع دون المساس بالمومياء. أما عن السبب الرئيسي الذي جعل البعثة تتخذ قرار رفع القناع عن المومياء فهو سوء حالة المومياء والذي أثر بدوره على حالة القناع الذي وصل إلى حالة شديدة من الجفاف أدى إلى فقدان بعض طبقات الحشو الملون خاصة من منطقة الوجه ووجود شروخ بالقناع، وكذلك وجود فراغ بين تجويف القناع وبين المومياء نتيجة ضمور المومياء، ولذلك كان لابد من رفع القناع لترميمه حيث وجد الأثريون والمرممون أن القناع مميز جدًا وفريد من نوعه سواء من الناحية الفنية أو الأثرية، ويعتبر من الأمثلة القليلة التي استخدم فيها اللون الرمادي في الوجه؛ لذلك فإن الحفاظ عليه وحمايته من التدهور حاليًا ومستقبلاً باستخدام أفضل الطرق العلمية المتاحة أمر مهم جدًا. ولم يكن على فريق العمل الحصول على تصريح بإنقاذ القناع، بل لهم الحرية الكاملة في اتخاذ القرار، وقد قاموا برفع القناع وترميمه وإعادته إلى حالته، وكذلك استطاع المرممون ترميم المومياء بعدما تم الكشف عليها باستخدام الـ X–Ray. وقد أخطأت البعثة اليابانية بعرض الفيلم على العامة، وكانوا يعتقدون أنهم بعرضهم يُظهرون للعامة كيف يقوم المرممون بالحفاظ على الآثار فتخيل العامة أنهم يغتالون مومياء.



وطفتُ ببيت اللّه الحرام (1)



المؤلف بملابس الإحرام مع الدكتور علي جمعة (يمينًا)
والدكتور علي رضوان



دائمًا ما كنت أصبر النفس بأن هناك ميعادًا مكتوبًا لذهابي إلى مكة المكرمة والطواف حول بيت الله وزيارة قبر نبيه ﷺ، وطال الميعاد وكان العام يمر تلو العام حتى إن كثيرًا من أصدقائي ومعارفي ظنوا أن عملي بالتاريخ والآثار الفرعونية قد شغل كل وقتي وأنني لم أعد أفكر إلا في مواصلة العمل والقراءة والكتابة عن حياة القدماء. كنت أحس بهذا على الرغم من أن أحدًا لم يبح به أمامي ولكنها الفكرة الخاطئة عن علماء تاريخ وآثار الحضارات القديمة بصفة عامة. أما الحقيقة فهي عكس ذلك تمامًا فأنا أؤمن أن هذه الطائفة من الناس هم أكثر البشر إحساسًا بقدرة مبدع الكون؛ الخالق العظيم الذي نرى بديع خلقه في كل مفردات الكون من حولنا، ولأهمية ذلك العلم – علم الآثار – دعانا المولى عز وجل في كتابه العزيز إلى السير في الكون لنرى ونتفكر في آثار من سبقونا. لقد بدأت فكرة التوحيد في مصر القديمة قبل عصر الملك «أخناتون» الذي أُعلن في عهده وجود إله خالق واحد لا شريك له. ونرى فكرة الوحدانية في مصر القديمة منذ أقدم عصورها عند التعرض إلى مفهومهم عن بداية الخليقة؛ ففي البدء كان هناك دائمًا الإله الخالق الذي أوجد نفسه بنفسه ولم يسبقه شيء هذا هو ما نراه في أساطير بدء الخليقة عند المصري القديم. وقد يسأل البعض إذا كان «أخناتون» قد دعا إلى عبادة الإله الواحد فلماذا لم تستمر دعوته كثيرًا؟! أما الإجابة فهي أن «أخناتون» قد جعل من نفسه وسيطًا بين الناس والإله الواحد وربما لم يسمح للناس أن يعبدوه مباشرة إلا من خلاله هو ولهذا انتهت الدعوة الجديدة تمامًا بموت هذا الوسيط – أخناتون، وعاد المصريون لعبادة آلهة مختلفة يرأسهم «آمون رع» الذي لقب بـ (سيد الآلهة). إننا ندرس الآثار لنتعلم من الماضي الذي ينير لنا الطريق إلى المستقبل. إنها متعة روحية معرفة تطور الفكر الإنساني والديانات القديمة وصولاً إلى الإسلام ونسأل أولئك المتشككين في العلوم التي ندرسها عن أثر ذلك الكم الكبير من القصص القرآني الذي نزل على سيد المرسلين ﷺ في أوقات عصيبة من حياته ﷺ، ألم تكن بهدف التسرية عنه ﷺ وإكسابه العلم بأخبار الأولين وما مروا به من خبرات؟! إن القرآن الكريم هو بحق

معجزة تحيا بيننا يجد فيه كل عالم في تخصص معين معجزات لا يقدرها إلا هو ومن هم في تخصصه، ونحن علماء الآثار أكثر الناس دراية بمدى الإعجاز القرآني عند التعرض لحياة الأنبياء ممن عاشوا بمصر أو زاروها.. وسنفرد بإذن الله لذلك حديثًا آخر.

لقد منَّ الله عليَّ هذا العام بنعمة الحج إلى بيته الحرام وأرجو أن يتقبل الله مني وممن أدوا فريضة الحج عملهم ويكتبه عنده في الأعمال الصالحات. وقد حدث في يناير الماضي أنني كنت أقوم بالحفائر في معبد قريب من مدينة الإسكندرية وأثناء العمل سقط على رأسي حجر كبير وكان من لطف الله أن سقوطه جاء من مسافة قريبة لا تتعدى المترين وقد غبت عن الوعي لدقائق معدودة، وبعد إجراء فحوصات طبية اتضح وجود ثقب في العين.. ولم يعرف أحد سبب وجود هذا الثقب وما إذا كان سقوط الحجر قد أدى إليه أم أنه كان موجودًا قبل الحادثة، ولم يكن من الممكن الكشف عنه لولا هذه الحادثة، وتقرر سفري إلى الخارج لإجراء الجراحة الدقيقة والتي تتطلب بعد إجرائها أن يظل المريض لمدة 24 ساعة ينظر إلى أسفل وبعد الجراحة اتضح أن الثقب لم يغلق وكانت صدمة للطبيب المعالج والذي نادرًا ما تفشل العمليات التي يُجريها وقد تقرر إجراء جراحة أخرى وحدث وأنا في طريقي إلى المستشفى ورأسي إلى أسفل أن دعوت الله أن يوفقني هذا العام لأكمل ركنًا مهمًا من أركان الدين وهو الحج إلى بيته الحرام وزيارة قبر نبيه ﷺ. وقد تقبل الله دعوتي ومنَّ عليَّ بالشفاء، وعندما وطئت قدماي أرض المدينة المنورة نظرت إلى السماء أتأملها وعجزت كل الكلمات أن تعبر عن شكري لله.



وطفتُ ببيت اللّٰه الحرام (2)

عندما وصلت إلى المدينة المنورة للمرة الأولى في حياتي أحسست فعلاً بقدسية هذه المدينة الجميلة وأحسست فعلاً بالمكان الذي عاش فيه الرسول ﷺ والمكان الذي دفن فيه.. وطاف بخاطري الأحداث التي مر بها الرسول ﷺ والصحابة، والمعارك التي انتصر فيها المسلمون وكيف استطاع هذا النبي الأمي أن ينقل أعظم رسالة في الوجود... وعندما وصلت العربة إلى مشارف المدينة أحسست بأنني أرى نور الرسول ﷺ في السماء وأحسست براحة غريبة لم أحس بها في حياتي، وبمجرد وصولي إلى الفندق ذهبنا مباشرة إلى المسجد النبوي وهنا أدركت أنني لن أستطيع السيطرة على المشاعر الموجودة داخلي في هذه اللحظة فقد كان قلبي يرتجف خوفًا ورهبة من هذا الموقف الرهيب. وكنت أذهب في مواقيت الصلاة ومعي ابني شريف وبعض الأصدقاء ونصلي الفروض داخل المسجد، وأجمل ما يشعر به الإنسان هو أن الكل يخصص الوقت في زيارة مسجد الرسول ﷺ والكعبة المشرفة في ذكر الله فقط ولا يوجد شيء آخر. كل ما يفعله الإنسان هو الابتعاد عن أي ذكر للدنيا وما فيها من شيء من الخيرين أو الشريرين أو الصالحين أو الطالحين وإنما ينحصر تفكير الإنسان في ذكر الله ورسوله ﷺ فقط، فهي أيام يزداد فيها القرب كثيرًا من الخالق سبحانه وتعالى، وقراءة القرآن الكريم داخل المسجد النبوي، ومحاولة الوصول إلى الروضة الشريفة بجوار قبر الرسول ﷺ كان مستحيلاً لأن هناك الآلاف من الحجيج الذين يجلسون بالساعات داخل الروضة الشريفة ولكن بعون الله استطعنا أن نصل ونصلي في هذا المكان... وفي المدينة قابلت شخصيات كثيرة من مختلف دول العالم وهناك العديد من الوزراء المصريين الذين قابلتهم ولكن أهم شيء هو أنه لا فرق بين وزير وخفير في هذا المكان المقدس فالكل سواسية عند الله حتى إنك تنظر إلى الجميع وهم يلبسون ملابس بيضاء ويدعون باسم الله الواحد القهار... وأجمل ما حدث داخل المدينة هو أن شابًا مسلمًا أمريكيًا جاء يصافحني وقال إنه يتابعني وهو من المعجبين بالاكتشافات التي نقوم بها ولكنه ازداد فرحًا عندما عرف أنني مسلم.. بعد ذلك انتقلنا بالعربة إلى مكة المكرمة وهنا وعلى الفور وضعنا أمتعتنا

بالفندق ونزلنا إلى الطواف بالكعبة وأداء العمرة وكان ابني شريف خائفًا عليَّ من الزحام لذلك كان يسير بجانبي طوال مدة الطواف وبعد ذلك قمنا بالسعي بين الصفا والمروة وعندما نصل إلى النور الأخضر نهرول جميعًا كما قامت بذلك السيدة هاجر حتى رزقها الله ورزقنا ببئر زمزم. وأذكر أنني في المرحلة الثانية من الطواف حول الكعبة حدث لي شيء غريب جدًا وهو أنني وجدت مجموعة من المسلمين تندفع نحو الكعبة ووجدت نفسي وبقدرة الله سبحانه وتعالى أُقَبِّلُ الكعبة وأنال هذا الشرف الذي لم ينله أحد من أصدقائي الحجيج وكنت فرحًا جدًا وسعيدًا بهذه اللحظة التي أعتبرها أهم لحظة من لحظات العمر.

وطفتُ ببيت الله الحرام (3)

مازلت أكتب عن التجربة الفريدة التي مررتُ بها في زيارة الكعبة الشريفة وقبر الرسول ﷺ.. أما الوقوف على عرفات فهو حدث إسلاميٌ جلل وهو ركن الحج الأعظم. كانت تجربة مفيدة؛ حيث كنا نجلس ساعات طويلة نتناقش في أمور الدين ونقرأ القرآن، وفي نفس الوقت نقابل الأحباب والأصدقاء، ومن المصادفات الجميلة مقابلة فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية، وهو رجل مستنير وكانت نصائحه لنا كثيرة وجلسنا معه جلسة ود وحب، وأنا شخصيًا أحترم هذا الرجل وأقدره وأثق في فتاواه وقد تجمع حوله الشباب، وبعد نزولنا من عرفات الله توجهنا إلى المزدلفة وأدينا صلاتي المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا اقتداءً بسنة الرسول ﷺ، ثم جمعنا الحصى ويبلغ عددها تسعًا وأربعين حصاة؛ استعدادًا لرميها وقد تملكني إحساس بالقوة والانتصار على الشر ونحن نقوم برجم الشيطان.

وبعد أن استكملنا باقي مناسك الحج جاءت لحظة طواف الوداع الذي حدث مع صلاة الفجر، وبفضل الله سبحانه وتعالى استطعتُ أن أصلي أمام الكعبة مباشرة ونجحت في أن أصل مرة ثانية بعد الصلاة لأُقبل الكعبة وأودع المكان والدموع تنهمر من عيني بغزارة.. وهناك بعض الملاحظات التي أود تدوينها أولاها أنني فوجئت بالتقدم الهائل الذي حدث بالمملكة



العربية السعودية، وهذا كله راجع إلى تفكير خادم الحرمين الشريفين ومساعديه في أن يبدءوا من حيث انتهى إليه العالم فاستطاعوا أن يقيموا الطرق المنظمة والمدن الجميلة، وقد انبهرتُ أكثر بمدينة جدة لجمالها ونظافتها، وهي تضارع أكثر مدن أوروبا وأمريكا جمالاً، وقد استطاعت المملكة العربية السعودية أن تنظم الحج هذا العام دون حدوث أي مشاكل، ولا يمكن أن أتصور أن هناك أي دولة أو أمن يستطيعون السيطرة على هذا الكم الهائل من البشر الذي يصل لحوالي ثلاثة ملايين حاج يذهبون إلى كل مكان في نفس الوقت واللحظة وبتنظيم علمي جاد، ولاشك أن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ.

ولكن الشيء الذي لم يعجبني هو تلك المباني المرتفعة التي تحيط بالكعبة، ورغم أن المساحة حول الكعبة صغيرة فكان من الممكن أن يتم التوسع العمراني خلف الجبال العالية، وهذه المباني رغم تناسقها وتناسبها المعماري فإنني أدرك أنه سوف يأتي اليوم الذي يجب أن يعاد تخطيط تلك الأماكن المحيطة بالكعبة، وهناك شيء آخر لم أستطع أن أصل لإجابة عنه، وهو: هل تم عمل مسح أثري للمناطق المحيطة بمسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة قبل بناء الفنادق القريبة بالمسجد النبوي؟ وهل تم نفس الشيء في المناطق العمرانية المحيطة بالحرم المكي للبحث عن أدلة في هذه الأماكن قد تساعدنا على فهم طبيعة هذا المكان المقدس قبل الإسلام وبعده؟

إنها تجربة فريدة بالنسبة لي أتمنى من الله سبحانه وتعالى أن تتكرر وأرجو أن يكون كل المسلمين شاكرين لما قامت به المملكة من حسن استقبال لضيوف الرحمن، وقد سعدت جداً وأنا أسمع خطاب الملك عبدالله بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين وهو يحيي ضيوف الرحمن ويندد بالإرهاب ويشيد بالجنود الذين يسهرون على راحة حجاج بيت الله الحرام.



الفصل الثالث

مومياوات الفراعنة

قصة اكتشاف مومياء الملكة حتشبسوت



المومياوات الأربع المرشحة لكون احداها مومياء
للملكة حتشبسوت



يعتبر الكشف عن مومياء الملكة حتشبسوت إحدى أعظم ملكات العالم القديم من أهم الاكتشافات الأثرية التي قمت بها في حياتي.. لقد كانت حقًا مغامرة مثيرة دامت لأكثر من عام ولم أكن أتخيل أنني سوف أعثر على مومياء حتشبسوت، لنكتشف أحد أسرار الحضارة الفرعونية.

بدأت قصة الكشف المثيرة منذ أكثر من عام عندما عرضت على قناة ديسكفري عمل فيلم عن الملكة حتشبسوت.. وبدأت أعد لهذا الموضوع.. وبالفعل قمت بزيارة مقبرة الملكة حتشبسوت رقم (20) بوادي الملوك بالبر الغربي بمدينة الأقصر وهي من المقابر الأولى التي تم بناؤها في الوادي الساكن، ولا أعتقد أن هناك أثرًا دخل هذه المقبرة بعد أن اكتشفها هيوارد كارتر عام 1903م.. ويصل طول المقبرة إلى حوالي 219 مترًا وتنزل بانحدار شديد داخل صخر الجبل المنحوتة به، ويمثل النزول إلى هذه المقبرة خطورة كبيرة ومصاعب جمة يتكبدها كل من يغامر بزيارة هذه المقبرة الفريدة في تصميمها وأنفاقها الخطيرة.

عثر داخل حجرة الدفن بمقبرة الملكة حتشبسوت على تابوت خاص بالملكة موجود بالمتحف المصري، بالإضافة إلى بقايا الأواني التي تحفظ الأحشاء ويطلق عليها الأثريون اسم الأواني الكانوبية، وكذلك قطع من الحجر الجيري تحمل بقايا نصوص من كتاب «ما هو موجود في العالم الآخر».

وبعد زيارتي لمقبرة الملكة قمت بزيارة خبيئة المومياوات الموجودة بالدير البحري بالقرب من وادي الملوك، وقد كشف عن هذه الخبيئة عائلة عبد الرسول الشهيرة عام 1881م. وعثر داخل هذه الخبيئة على (40) مومياء لفراعنة مصر، فضلاً عن مومياوين لامرأتين مجهولتي الاسم من الأسرة المالكة.. هذا بالإضافة إلى العثور على صندوق خشبي يحمل اسم العرش، الاسم المولودة به الملكة حتشبسوت، وبداخله توجد كبد الملكة التي تم وضعها داخل الصندوق أثناء عملية التحنيط.

وكان ظني في البداية أن إحدى هاتين المومياوين يمكن أن تكون للملكة حتشبسوت..





معبد الدير البحري

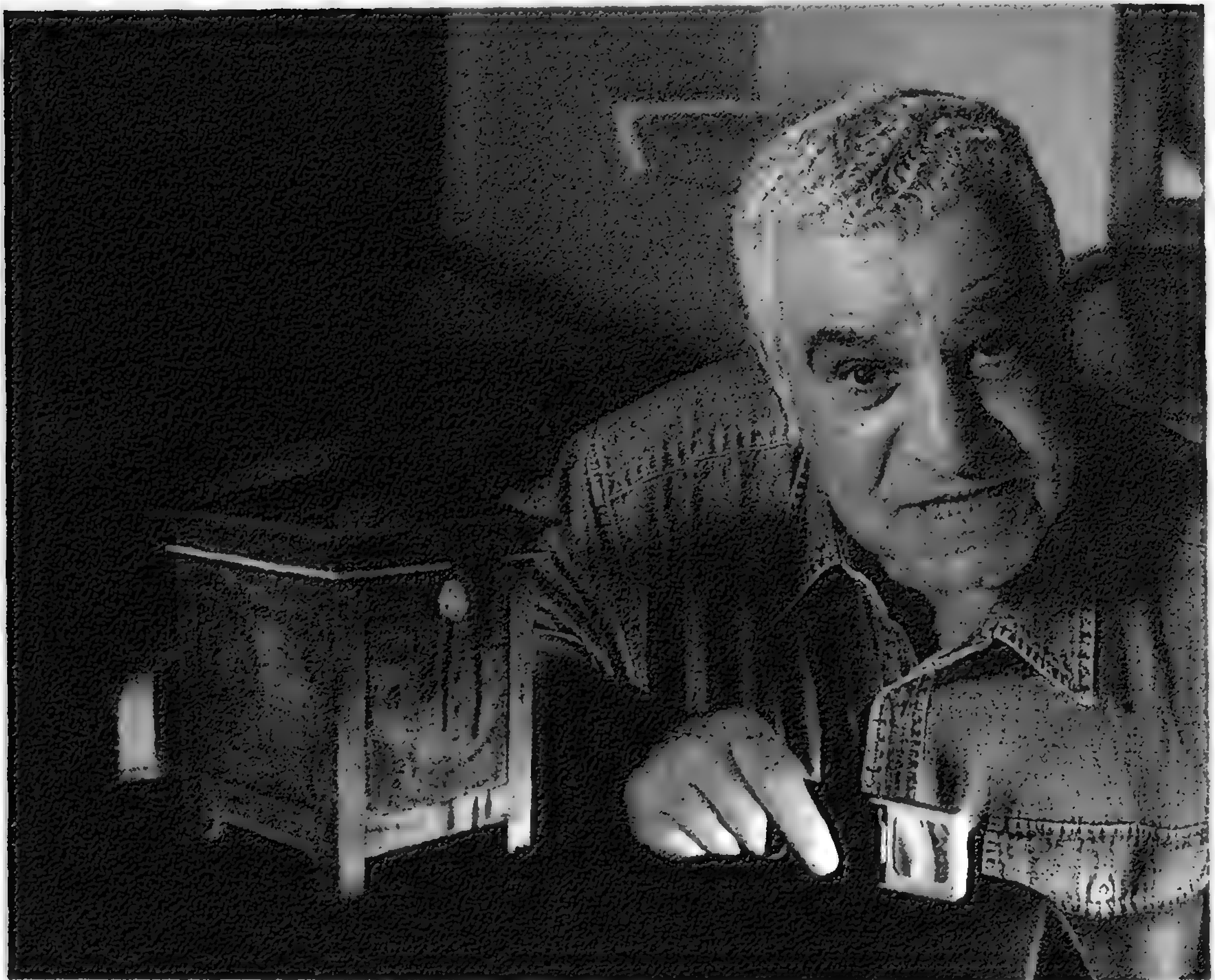


ووضعت المومياوين داخل جهاز الأشعة المقطعية، جيث اتضح أن واحدة منهما ماتت قتيلة؛ وذلك لأن فمها مفتوح حتى الآن.

أما السر فقد كان في انتظارنا بالمقبرة رقم (60) التي تقع أسفل مقبرة حتشبسوت مباشرة، وعثر عليها أيضًا هيوارد كارتر وقام في عام 1907م بنقل مومياء من هذه المقبرة كانت داخل تابوت خشبي يحمل آخر حرفين من اسم مرضعة الملكة حتشبسوت والمعروفة لدينا باسم «سات اين رع». وبدأت أبحث عن هذه المومياء في المتحف المصري، وعثرنا عليها داخل مخزن بالطابق الثالث، ووجدت أن طريقة التحنيط تمت على الطراز الملكي، ووقتها ظننت أن هذه المومياء يمكن أن تكون للملكة حتشبسوت، وكان ذلك هو بداية رحلة البحث عن مومياء الملكة حتشبسوت أعظم ملكات مصر، والتي حكمت في أزهى عصور مصر من تاريخها القديم.

لقد أقامت حتشبسوت أجمل العمائر الدينية والجنائزية على الإطلاق، ولا يزال معبدها بالدير البحري شاهدًا على جمال عمارتها، وكان أهم ثلاث شخصيات في حياة هذه الملكة هم المهندس المعماري «سننموت» الذي شيد لمليكته معبد الدير البحري وربما كان هو الحبيب الخفي للملكة، وحرصت على أن يدفن أسفل معبدها، أما الشخصية الثانية فهي مرضعتها الخاصة، وبالطبع كانت الشخصية الثالثة في حياة هذه الملكة هي ابنتها الأميرة «نفرو رع».

السر داخل الصندوق



المؤلف مع الصندوق الخشبي الذي يحتوي
احشاء الملكة حتشبسوت



لم أكن أتصور أن سر مومياء الملكة حتشبسوت يوجد داخل الصندوق الخشبي المحفوظ بالمتحف المصري والمكتشف منذ عام 1881م بخبيئة الدير البحري، ولم يصل أحد من قبل إلى هذا السر.

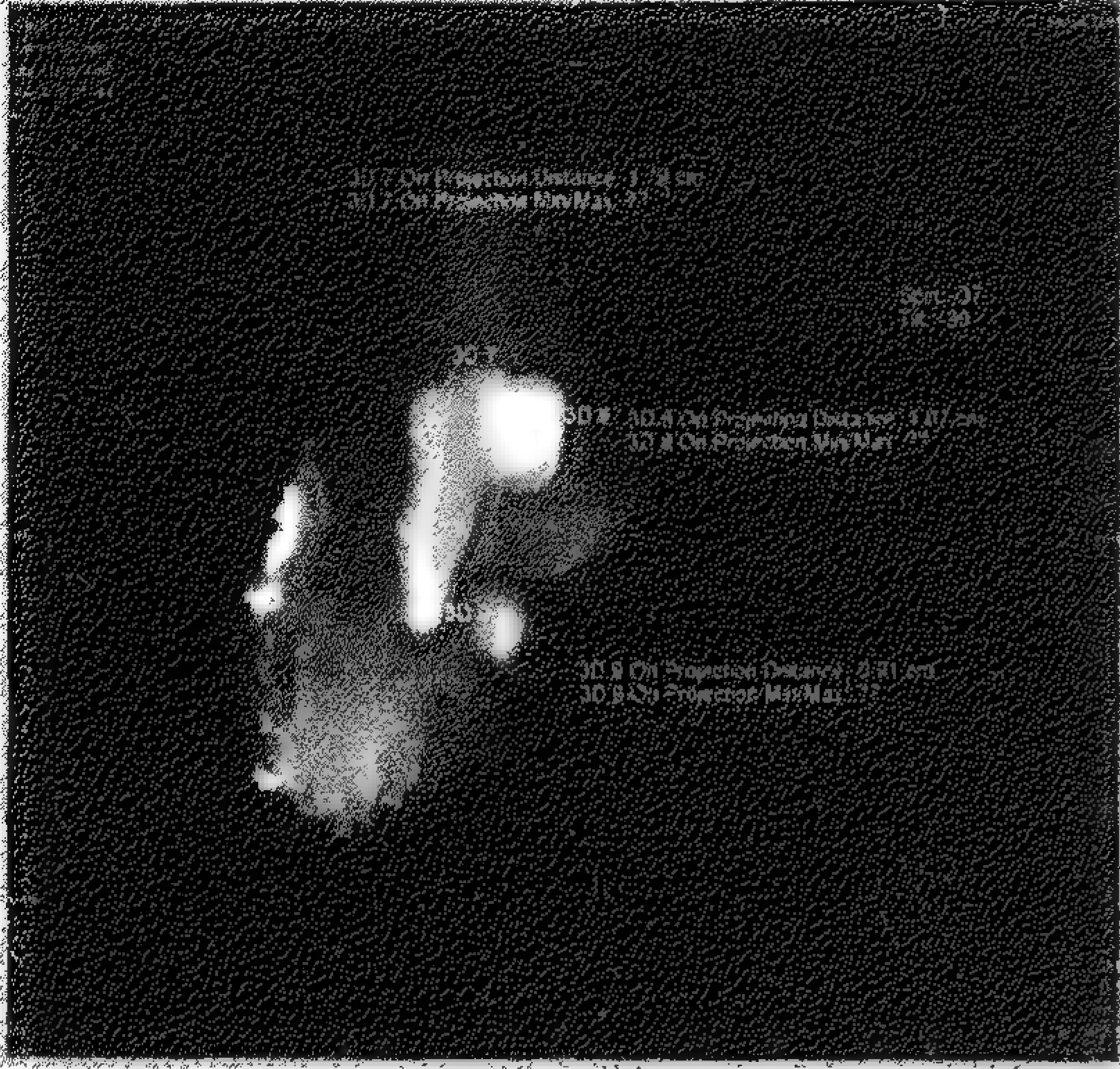
أما الكشف عن سر الصندوق، فقد حدث أن كنت أعمل ليلاً بالمتحف المصري منذ بضعة أشهر وقررت القيام بفحص المومياوات الأربع الخاصة بالملكات غير المعروفات، بالإضافة إلى مومياء الملك تحتمس الأول أبي الملكة حتشبسوت، ومومياء الملك تحتمس الثاني زوجها، وكذلك مومياء الملك تحتمس الثالث الذي كانت الملكة هي الوصية عليه، كما كانت عمته بوصفها أخت أبيه تحتمس الثاني وأيضًا حماته بوصفها أم زوجته الأميرة نفرو رع.



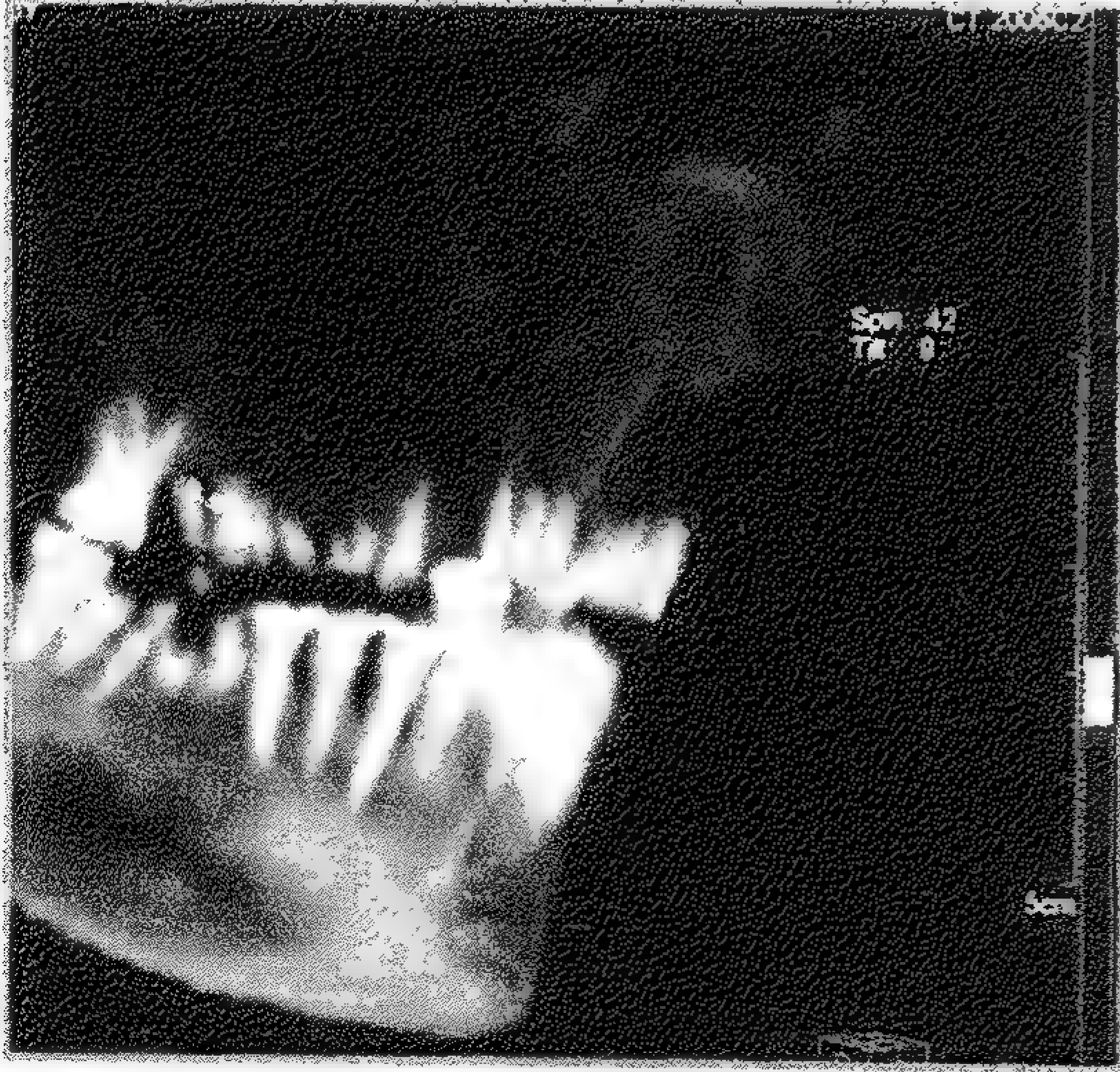
المؤلف أثناء فحص مومياء حتشبسوت

وبينما أنا جالس بجوار ماكينة الأشعة، طلبت من مساعدي هشام الليثي أن يحضر الصندوق الخشبي الموجود بالمتحف؛ حتى نجري عليه كشف الأشعة، وذلك للتأكد مما يحويه بداخله وهل هي فعلاً كبد الملكة حتشبسوت أم لا؟ خاصة أنه كان هناك من قاموا بفحص الصندوق بأشعة الـ X-Ray وأكدوا وجود الكبد.

وقـام د. هـانـي عبـدالرحـمـن بوضـع الصندوق على جهاز الأشعة، وما هي إلا دقائق معدودة إلا ووجدنا أنفسنا أمـام مفاجأتين لم نتوقعهما؛ الأولى أن الصندوق به أيضًا أمعاء الملكة، بالإضافة إلى وجود ضرس صغير داخل الصندوق، أما الكبد فقد ظهرت منكمشة داخل الصندوق والأمـعـاء عبارة عن تكوين رفيع على شكل شريط متعرج.. وبعد أن قام د. هاني عبدالرحمن بتكبير السن التي عثر عليها داخل الصندوق اتضح لنا أنها ضرس فاقد أحد جذوره، ويصل طوله الكلي إلى نحو 1.8سم وعرض التاج يصل إلى 1.1سم، في حين أن طول الجذر يصل إلى سنتيمتر واحد. لقد برقت عيناي برؤية صورة الأشعة التي تصور الضرس؛ لأنه لابد أن يكون خاصًا بالملكة، وقد سقط أثناء تحنيط موميائها وقـام المحنطون بوضعه داخل الصندوق. وقد عرفنا من خلال فحص المومياء أن أسنانها كانت في حالة سيئة جدًا؛ ولذلك أصبح من السهل



الضرس المكتشف داخل صندوق الأحشاء الخاص بالملكة حتشبسوت

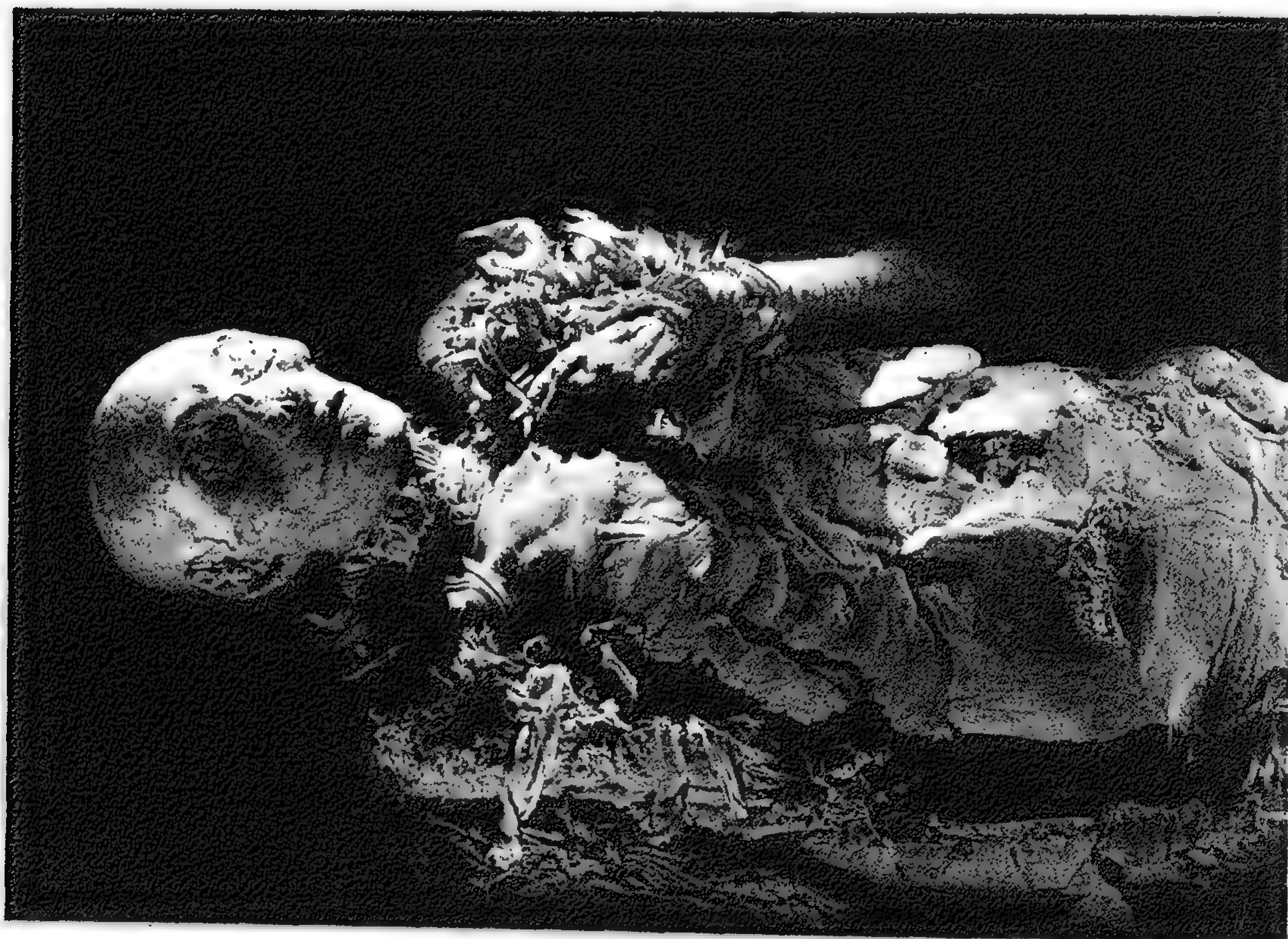


صورة مقطعية توضح أسنان الملكة ومكان الضرس المفقود



سقوط أسنان الملكة أثناء عملية التحنيط، ولم نستطع الصبر حتى الصباح بل رجع د. هاني إلى الأشعة المقطعية لكل المومياوات الخاصة بالسيدات الأربع ووجدنا أن المومياء التي كانت موجودة داخل المقبرة رقم (60) بوادي الملوك والتي قمت بنقلها إلى المتحف المصري يوجد بها جزء مفقود في أعلى الفك، وفي اليوم الثاني قام د. أشرف سليم أستاذ الأشعة الذي يقوم لنا بكل القراءات الخاصة بالمومياوات –بإحضار أستاذ من طب الأسنان بجامعة القاهرة وهو د. جلال البحيري الذي استطاع أن يؤكد أن الضرس الذي عثر عليه بالصندوق الخشبي ينطبق تمامًا على الفك العلوي للمومياء وخاصة بعد التأكد من وجود أحد جذور هذا الضرس في موضعه بالفك.. هذه النتائج حصلنا عليها بعد أن قمنا بعمل مسح شامل للأسنان، وفي هذه اللحظة تأكدنا أن المومياء الموجودة أمامنا، والتي تُظهر سيدة تضع يدها اليسرى فوق صدرها على الطريقة الملكية – مومياء خاصة بالملكة حتشبسوت –أعظم ملكات مصر– والتي حكمت خلال العصر الذهبي منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام.

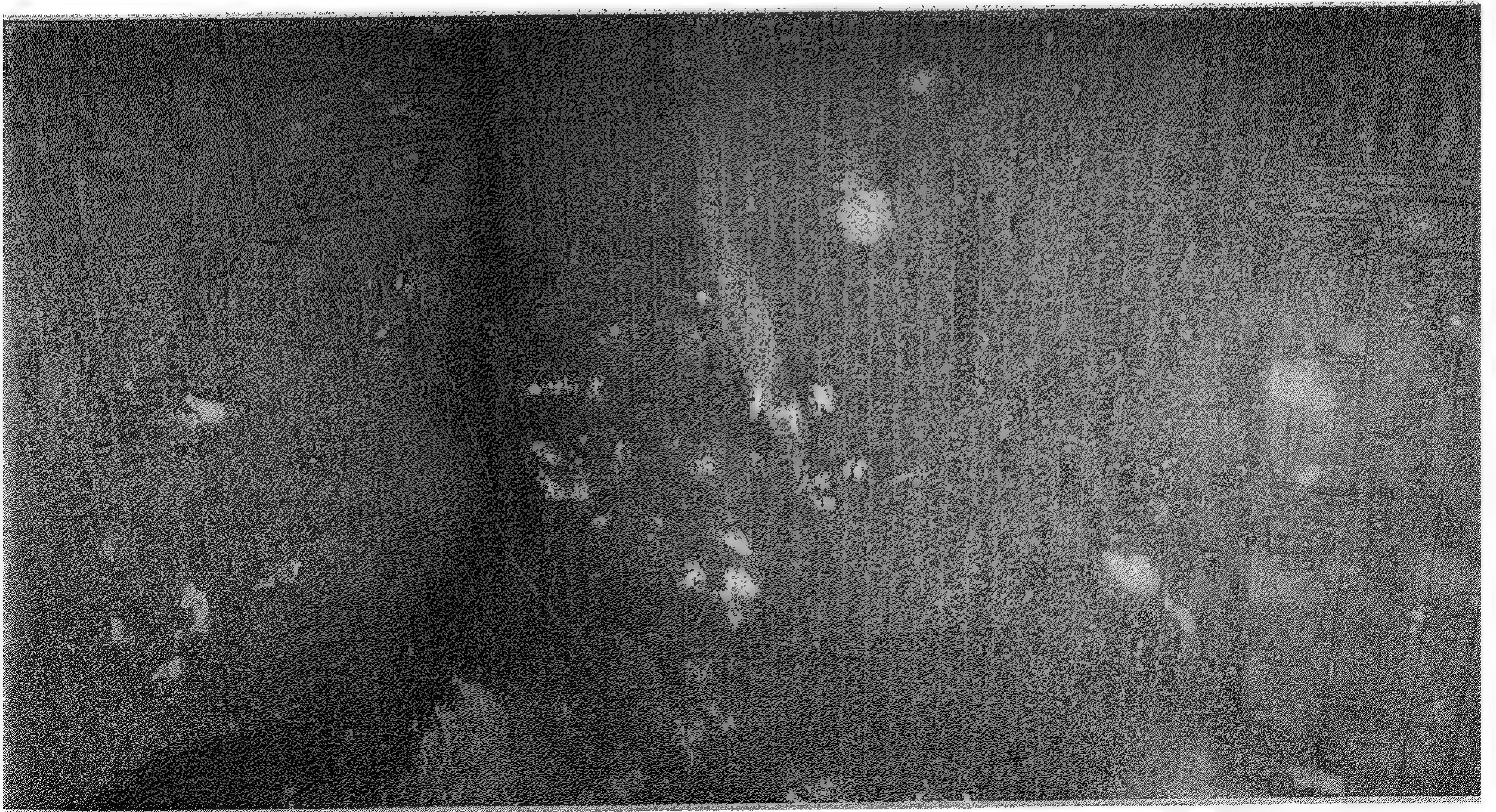
حتشبسوت الملكة البدينة



مومياء الملكة حتشبسوت



هل يمكن لمشروع دراسة المومياوات المصرية أن يعيد كتابة التاريخ الحقيقي للفراعنة؟! أعتقد أن إجابة هذا السؤال هي نعم، خاصة بعد اكتشافنا مومياء الملكة «حتشبسوت»؛ هذا الكشف المذهل الذي صدم العالم كله ووصفته وكالات الأنباء الأجنبية بأنه أعظم كشف أثري تم بعد الكشف عن مقبرة الملك «توت عنخ آمون»، وتصدر الخبر الصفحات الأولى بكل الصحف، ومنها الـ «نيويورك تايمز»، وكذلك المجلات العالمية مثل الفيجارو وغيرها. وقد اتصل بي صديق من شيلي يقول لي إنها المرة الأولى التي يجد فيها خبرًا خاصًّا بأي دولة عربية على الصفحة الأولى لصحيفة شيلي. وأعرب لي العديد من الأصدقاء عن مدى دهشتهم من أن الملكة «حتشبسوت» كانت بدينة كما أظهرت مومياؤها. أما الوزيرة المثقفة فايزة أبوالنجا وهي من أشد المعجبين بهذه الملكة التي حكمت أكبر إمبراطورية في العالم القديم كله عندما كانت مصر تجني ثمار عصرها الذهبي؛ فكانت أكثر الناس دهشةً عندما أعلنا أن الملكة «حتشبسوت» كانت على شيء من البدانة، على الرغم من عدم وجود أي دليل يشير إلى أن الملكة لم تكن جميلة، بل إن البدانة قد تعطي المرأة جمالاً خاصًّا؛ ولذلك أؤكد أن «حتشبسوت» كانت إحدى ملكات مصر



مقبرة سننموت بالدير البحري



الجميلات التي جذبت بأنوثتها أهم المهندسين المعماريين في عصرها «سننموت» الذي أصبح من عشاقها، وبنى لها أجمل معبد جنائزي بُني لملك أو ملكة في مصر، وهو معبد الدير البحري الشهير، وسمحت له «حتشبسوت» بأن يُدفن بجوار معبدها المقدس. بل كان «سننموت» أيضًا هو مربي ومعلم ابنة الملكة الأميرة «نفرو رع».

والمؤكد أن «حتشبسوت» لم تكن بدينة بالمعنى المفهوم للكلمة؛ حيث إنها سمحت لفنانيها بأن يصوروا على جدران معبدها بالدير البحري ملكة بونت بهذه الصورة التي تصورها كملكة قصيرة وبدينة جداً ومن ورائها صور الحمار الذي كان يحملها كما لو أن المصري القديم كان يشعر بالأسى لمعاناة هذا الحمار الذي جاء تصويره صغيرًا جدًا إلى جانب حجم الملكة؛ فلم تكن لهذه الروح المرحة أن تظهر لو أن «حتشبسوت» صاحبة المعبد كانت بدينة، ففي هذه الحالة كان الفنان خليقًا بأن يشعر بالحرج الشديد من تصوير مثل هذا المنظر.

وقد أثبتت نتائج الأشعة المقطعية أن «حتشبسوت» ماتت في الخمسين من عمرها بعد معاناة من التهابات بعظْمة الظهر وأيضًا من مرض السكر الذي عجَّل بموتها، كذلك ثبت أن مرض



مومياء حتشبسوت



السرطان قد تمكن من الدم وقضى عليها تمامًا.. إن التهابات أسنان الملكة هي التي جعلتنا نكتشف السر الذي كان موجودًا داخل الصندوق بعد قيام المحنط بوضع السنٍّ الساقطة من أسنان الملكة في صندوق الأحشاء حتى قادنا الحظ إلى العثور على هذه السنٍّ التي أظهرت لنا حقيقة مومياء الملكة «حتشبسوت». وقد ظهر أشخاص من أصدقاء الإله «ست» – إله الشر عند المصري القديم – ليس لهم صلة بالآثار ولكن الحقد يدفعهم إلى التشكيك، وهذه عادة موجودة للأسف في البعض منا من الكسالى الذين لا يعملون ويغيظهم أن يروا العالم كله يتحدث عن المصريين الذين كشفوا هذا السر.

ومن أهم النتائج أيضًا أن الأدلة أثبتت أن الملكة لم تقتل كما ادعى البعض نتيجة الاعتقاد بأنها قد اغتصبت العرش من ابن زوجها الملك «تحتمس الثالث»، لكن الملكة ماتت بالسرطان بعد حياة حافلة قويت فيها الإمبراطورية المصرية التي كانت في حاجة إلى حكمها وليس إلى حكم صبي، واستطاعت أن تحكم ما يقرب من عشرين عامًا حافلة بالبناء والتعمير وتوسيع الإمبراطورية.. ولاتزال الأسرار والألغاز الخاصة بالمومياوات يتم الكشف عنها لمعرفة معلومات جديدة عن الفراعنة الذين حكموا العالم القديم بالعلم والمعرفة.



لغز المومياء المجهولة



المولف ينزل الى خبيئة الدير البحري



بعد الإعلان عن اكتشاف مومياء الملكة «حتشبسوت» توالت المفاجآت التي لم نتوقعها، فعندما قمنا بفحص المومياء المعروفة بأنها للملك «تحتمس الأول» والموجودة بالمتحف المصري بعد أن نقلت من متحف بولاق الذي استقرت به منذ عام 1881م –وجدنا أنها ليست مومياء هذا الملك.

وتبدأ القصة عندما كشفت عائلة عبد الرسول عن هذه المومياء ضمن أربعين مومياء ملكية بخبيئة الدير البحري، وذلك عندما كان أحمد عبد الرسول يرعى الأغنام بالبر الغربي وشردت منه شاة، فما كان منه إلا أن صعد الجبل وراءها ليعثر على بئر عميقة، وبخفة أهالي القرنة نزل البئر ليعثر على المومياوات وكنوز من الذهب والفضة. وخرج ليخبر عائلته بالسر الذي أقسموا على عدم إفشائه لأحد ودخلوا الخبيئة ثلاث مرات خلال عشر سنوات أخذوا منها ما خف حمله وباعوه لمصطفى أغا قنصل إنجلترا المختص في سرقة الآثار. وعندما وردت معلومات إلى ماسبيرو وكان في ذلك الوقت مساعدًا لأول رئيس لمصلحة الآثار أوجست مارييت – بأن هناك قطعًا أثرية ملكية تباع في أسواق أوروبا، فطِن ماسبيرو إلى أنه لا بد أن يكون مصطفى أغا وراء ذلك، وأبلغ السلطات التي ظلت تراقبه حتى توصلوا إلى أن عائلة عبد الرسول هي التي وراء هذه السرقة وقاموا بالقبض على أحد أفرادها الذي ظل في السجن نحو ستة أشهر دون أن يعترف، وعندما عاد لأسرته طالب بنصيب أكبر من الكنز؛ يعوضه عن أهوال السجن، إلا أنهم رفضوا وظلوا يتشاحنون إلى أن ذهب إلى مديرية شرطة قنا ليفشي سر الخبيئة.

وحضر إلى الأقصر أحمد باشا كمال ومعه ماسبيرو ليقوما بنقل أربعين مومياء ملكية وكنوز أثرية لا يمكن وصفها إلى القاهرة في موكب مهيب، ودَّعه الأهالي كما لو كانوا يشيعون موتاهم، وصور كل هذا العبقري شادي عبدالسلام في فيلم «المومياء» –أحد





خبيئة الدير البحري



علامات السينما المصرية– وعندما وصلت المومياوات إلى ميناء القاهرة ببولاق عجز موظف الجمارك عن كيفية تسجيل دخولها؛ حيث لا يوجد في دفتر التصدير والاستيراد كلمة مومياء؛ لذلك وافقوا على دخولها تحت مسمى سمك مملح.

ونعود إلى المومياء المعروفة بأنها مومياء «تحتمس الأول» فقد عثر عليها داخل تابوتين؛ الأول يرجع إلى الأسرة الـ21، والثاني للأسرة الـ 18، وذكر عالم الآثار دارسي أنه قرأ خرطوش «تحتمس الأول» على تابوت الأسرة الـ18، وظل العلماء في حيرة من أمر هذه المومياء.

وبفحص المومياء بالأشعة المقطعية تبين الآتي: أن وضع اليدين ليس وضعًا ملكيًّا حيث الذراعان لا تتقاطعان على الصدر كما هو الحال في المومياوات الملكية، إضافة إلى أن المومياء لرجل مات في العقد الثالث من عمره؛ أي أنه لكي ينجب «حتشبسوت» التي ماتت وهي في الخمسين من عمرها كان لابد أن يكون في عمر الخامسة عشرة. أما المفاجأة المثيرة فهي العثور على رأس سهم داخل صدر المومياء، الأمر الذي قد يشير إلى أنه قتل في معركة حربية، ولا يوجد أي دليل تاريخي على أن الملك «تحتمس الأول» مات في معركة حربية؛ ولذلك فإن هذه المومياء الموجودة في المتحف المصري ليست هي مومياء الملك «تحتمس الأول».

سر مومياء الأميرة الفرعونية



مومياء الأميرة المجهولة



من ضمن المومياوات التي عثر عليها داخل خبيئة المومياوات مومياء لأميرة مجهولة الاسم، وقد لفتت الأنظار؛ نظرًا لاختلافها عن جميع المومياوات التي عثر عليها، فعندما كشفت الأربطة أو الأكفان الكتانية عنها ظهر وجه الأميرة وفمها مفتوح كما لو كانت تصرخ من الفزع أو الألم، وترتسم على ملامح الوجه مظاهر الفزع، وباتت مومياء الأميرة التي تصرخ والتي عُرفت بهذا الاسم وفي المراجع الأجنبية سميت بـ The Screaming Lady إحدى أسرار المومياوات الفرعونية التي تبارى العلماء من كل تخصصات الطب والآثار في بحث سرها والخروج بالعديد من النظريات التي لم يثبت بالدليل القاطع حتى الآن صحتها من عدم صحتها.

والمعروف أن خبيئة المومياوات التي وجدت بها مومياء الأميرة كانت قد كشفت بواسطة أحد أفراد عائلة عبد الرسول –إحدى العائلات التي سكنت بالقرنة في البر الغربي لمدينة الأقصر– ففي عام 1875م وفي أحد أشهر الصيف كان محمد عبد الرسول يرعى أغنامه بمنطقة الدير البحري فإذا بشاة صغيرة تترك القطيع وتختفي خلف الجبل، وذهب الرجل يبحث عن الشاة وقد تسلق الجبل وكاد أن يسقط في بئر عميقة أحس بخبرته أنها بئر أثرية وقام بالنزول إلى داخلها، ومنها إلى مكان الخبيئة فوجد نفسه أمام مومياوات وتوابيت وكنوز ذهبية يعجز اللسان عن وصفها.. وظل سر الخبيئة دفينًا بين أفراد العائلة وكانوا يبيعون قِطعًا من الآثار إلى مصطفى أغا الذي كان يعمل قنصلاً لإنجلترا ومعروفًا كأحد تجار الآثار المسروقة، واستطاع تهريب القطع لتباع في أسواق أوروبا وتصل أخبار هذه الآثار المسروقة إلى ماسبيرو وكان في ذلك الوقت يعمل مساعدًا لـ «مارييت» باشا مدير مصلحة الآثار في مصر. وقام البوليس المصري بالتعاون مع مصلحة الآثار بتتبع مصطفى أغا وأسرة عبد الرسول حتى تم القبض على أحد أفراد الأسرة ورغم التعذيب الشديد الذي لاقاه في السجن لم يُبِح بسر الخبيئة، وبعد أن خرج من السجن طلب أن يكون له النصيب

الأكبر منها؛ نظرًا لما لاقاه من تعذيب، فرفض إخوته وظل الصراع بينهم مستمرًا، ثم انتهى بذهاب أحدهم إلى مديرية قنا ليبوح بسر الخبيئة وكان ذلك عام 1881م؛ حيث تم نقل كل ما بها إلى المتحف المصري عبر نهر النيل، وفي ذلك الوقت كانت هناك منطقة جمارك عند مدخل بولاق التي اعتبرت بوابة الدخول إلى القاهرة، وكان لدى موظف الجمارك سجلات لكل أنواع البضائع التي يمكن أن ترد إلى القاهرة وقيمة الجمارك عليها وعندما أخبروه بأنهم يحملون مومياوات لم يجد هذه الكلمة في سجلاته وبعد مفاوضات تم تسجيلها تحت مسمى سمك مملح!

نعود إلى مومياء الأميرة التي قمنا مؤخرًا وبعد أكثر من 125 عامًا بالكشف عنها بفحصها باستخدام جهاز الأشعة المقطعية CT-Scan الذي أخذ 1700 صورة منها من جميع أجزائها من الداخل والخارج، والتي تعطينا أدلة واضحة حول عمر الأميرة عند وفاتها وسبب الوفاة فقد ظهر أن الأميرة ماتت وهي تبلغ من العمر 25 عامًا، وأنها تعرضت للقتل وأن هذه الصرخة حدثت أثناء قتلها.. وما زلنا في انتظار معلومات أكثر، سوف تؤدي بإذن الله إلى الكشف عن شخصية هذه الأميرة، وذلك باستخدام تحليل الـ DNA ومقارنته بتحاليل المومياوات الأخرى المعروفة، ومنها عائلة «توت عنخ آمون».



مومياء الأميرة المجهولة أثناء فحصها

القناع الذهبي



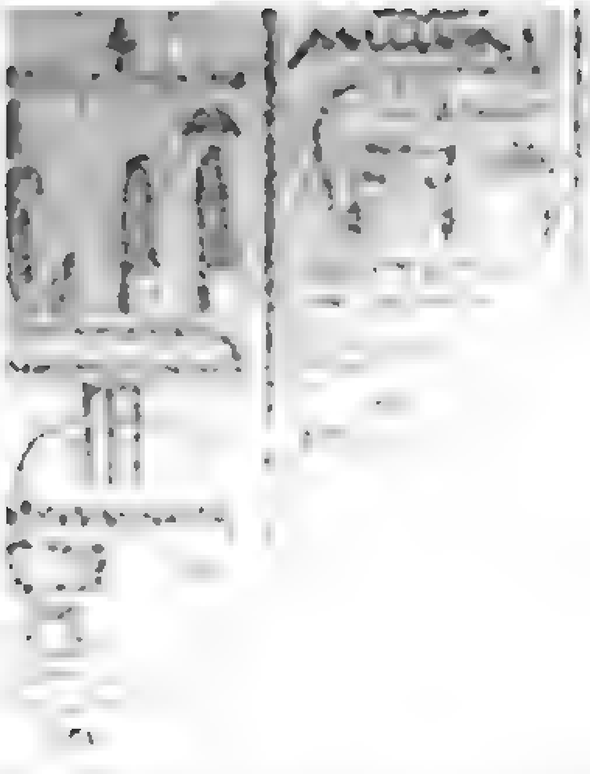
القناع الذهبي للملك توت عنخ امون



سألني مذيع تلفزيوني شهير بإحدى المحطات التلفزيونية الأمريكية عن القطعة الأثرية التي أعتبرها أجمل قطعة فنية عثر عليها حتى الآن.. والقطعة التي أعتبرها لا تقارن بأي عمل فني آخر.. وبلا تردد قلت: القناع الذهبي للملك «توت عنخ آمون».. أما عن سبب كتابة هذا المقال فهو أن المعلق التلفزيوني الإيطالي الشهير ميلا أنجلا جاء إلى مصر وطرح عليَّ نفس السؤال وقلت له: قابلني في المساء بالمتحف المصري. وهناك وقفنا أمام هذا القناع الفريد الذي يعتبر أروع قطعة فنية، بل أجمل عمل فني ضمن الأثاث الجنائزي للملك «توت».. وكلما وقفت أمام هذا القناع أحسست بالذهول يملأ عقلي ويشل تفكيري؛ إذ وصل إتقان الفنان المصري القديم إلى حد الإبداع المتقن وهو حدٌّ يستحيل تخيل الوصول إليه، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار عامل الزمن أو القدم ومدى دقة وبراعة الفنان المصري القديم في التعامل مع الذهب وتطعيمه بالأحجار نصف الكريمة وبهذه الدرجة الفنية العالية.. كنت أتحدث إلى مرافقي وعيناي معلقتان على القناع وعندما التفتُّ وجدت أنجلا واقفًا مذهولاً أيضًا وهو يتأمل القناع ويقول: «رأيته في العديد من الصور ولم أتصور أنه بهذا الجمال والروعة!».. ولم يتحدث بعد ذلك لكنه طلب مني فجأة أن أحكي له قصة الكشف عن هذا القناع.

ونعود إلى لحظة اكتشاف مقبرة «توت عنخ آمون» في نوفمبر 1922 وبعد ثلاث سنوات من العمل داخل المقبرة، قام هيوارد كارتر المكتشف بفتح التابوت عام 1925 ووجد أن المومياء داخل ثلاثة توابيت ذهبية، وعندما وصل إلى المومياء وجد أن هذا القناع الرائع يغطي وجه الملك، بالإضافة إلى 150 قطعة ذهبية داخل وخارج المومياء عبارة عن تمائم وحلي.. وحاول كارتر نزع القناع ولم يتمكن رغم أنه وضع المومياء تحت الشمس لفترة طويلة إلا أن المومياء ظلت ملتصقة بالقناع وصندوق التابوت الداخلي؛ لأن الفراعنة غطوا المومياء بمادة صمغية غريبة، لا نعرف حتى الآن لماذا تم ذلك بمومياء الملك «توت» فقط ولم يحدث مع مومياء أخرى.. وقام هيوارد كارتر بإحضار آلات حادة مثل السكاكين وبعد تعريضها للنار قام بنزع القناع وعرَّض المومياء لتلف شديد.. هنا كان المذيع الإيطالي ينصت إليَّ طالبًا المزيد، وبدأت بالفعل أصف القناع الذي يمثل





كارتر أثناء فحصه تابوت
توت عنخ آمون

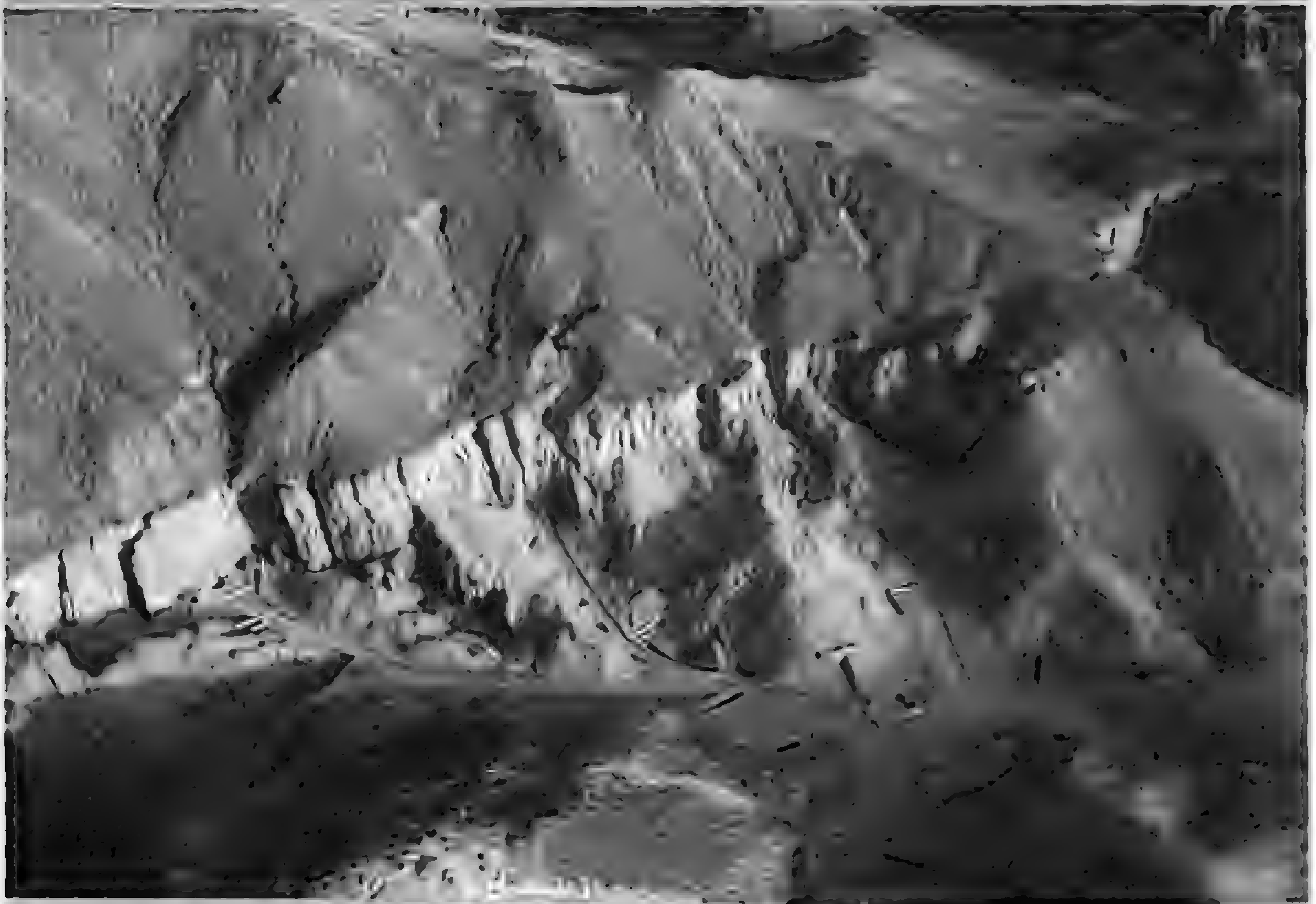


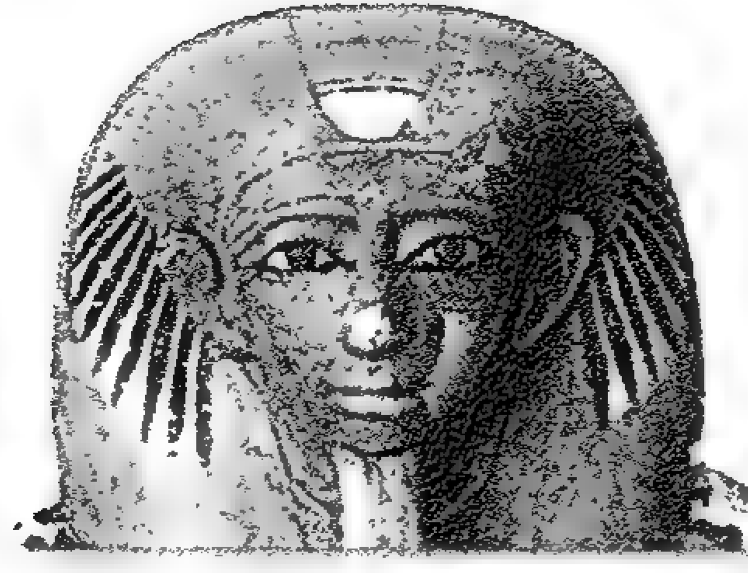
رأس الملك «توت» مرتديًا غطاء الرأس الملكي المعروف باسم «النمس» المزخرف بخطوط عرضية من الذهب واللازورد وكذلك اللحية المعقوفة التي نفذت بشكل رائع ومذهل من الذهب وعجائن الزجاج، وفوق رأس الملك نجد كلاً من رمزي قطري مصر الشمالي والجنوبي، الإلهتين «وادجت» و«نخبت»، وكلتاهما من الذهب الخالص، وعلى الصدر قلادة واسعة مكونة من 12 صفًا من القطع الصغيرة المغطاة بالعديد من الأحجار نصف الكريمة وطرفاها مشكلان على هيئة الصقر. أما العينان فتبدوان وكأنهما حقيقيتان على الرغم من أنهما من الكوارتز الأبيض، وسواد العين من حجر الأوبسديان الأسود، والعينان والحاجبان محددة باللازورد.. أما عن سر هذا القناع فإنه كلما نظرت إلى عيني الملك شعرت وكأني أنظر إلى حضارة عاشت آلاف السنين، وشعب ملأ الأرض سعيًا وبناءً، وأحس وكأنني أسمعهم وهم يعملون!



الفصل الرابع

وادي الفراعنة

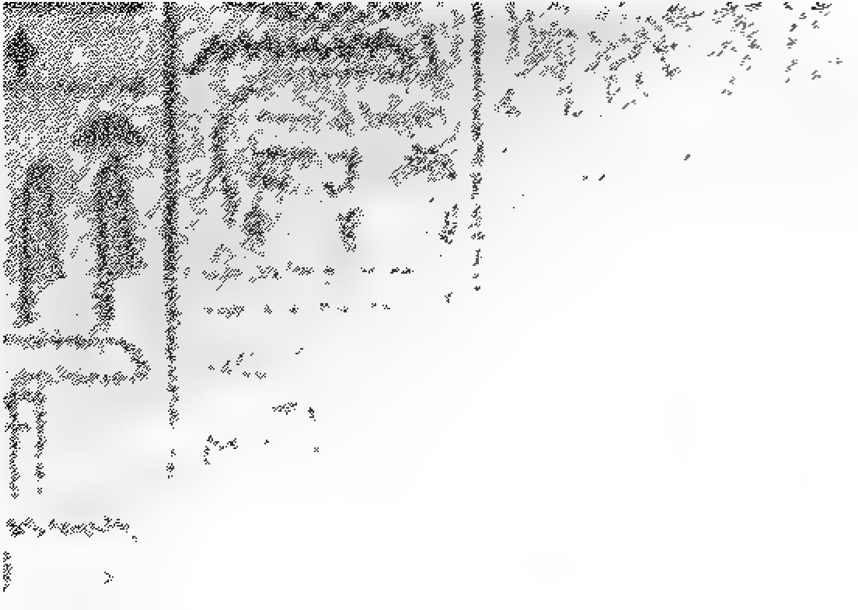




وادي الملوك: المكان الوحيد في الدنيا الذي دفن فيه 26 ملكًا، حكموا مصر في عصرها الذهبي: أي منذ حوالي ثلاثة آلاف عام. وهذه المقابر يختلف بعضها عن البعض الآخر، فليست هناك مقبرة تشبه الأخرى؛ وهذا هو فكر الفراعنة عن العالم الآخر، الذي يوجد فيه «أوزوريس» سيد العالم الآخر، وقد وصل عدد الكتب التي ضمنها المصري عقيدته وفكره عن العالم الآخر وما يحتويه من أهوال وصعاب تواجه المتوفى الذي يستعين في مواجهتها بكل عمل خير أو صنيع طيب قام به في حياته الدنيا؛ وصل عدد هذه الكتب إلى سبعة، أهمها كتاب البوابات الذي يتحدث عن وجود 12 بوابة تشير إلى ساعات الليل الاثنتي عشرة، ويقوم على حراسة كل بوابة ثعبان ضخم ويجب على الملك حين اجتياز هذه البوابات أن



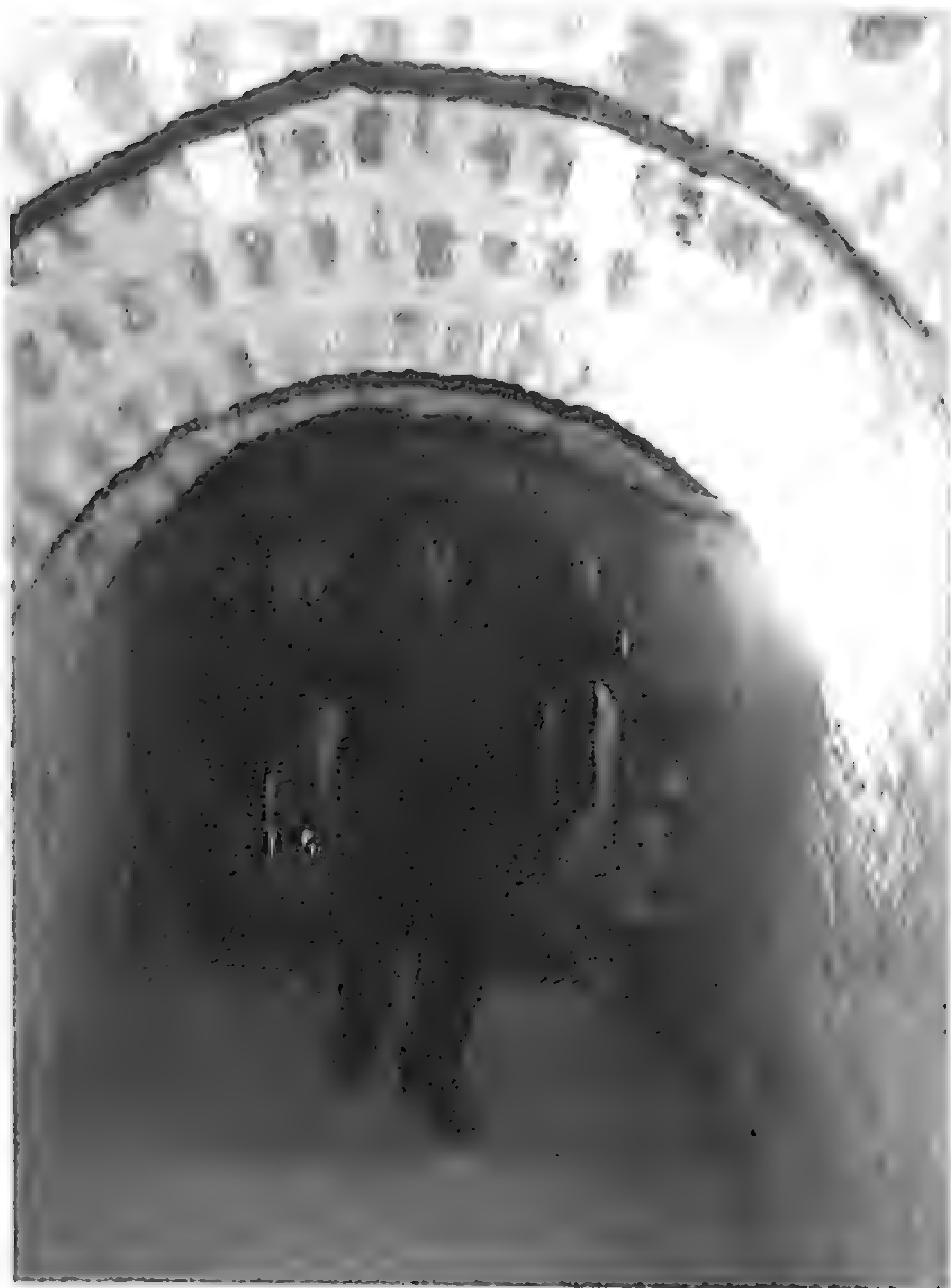
أحد النقوش الرائعة من مقبرة سيتي الأول



يعرف اسم البوابة واسم الثعبان الذي يقوم على حراستها، وكذلك اسم المكان الذي يسير فيه المركب الذي يستقله الفرعون في رحلته للعالم الآخر.. ومن أجمل وأروع مقابر وادي الملوك عمارة وفنًا مقبرة الملك «سيتي الأول» التي يدخلها الزائر ويرى النقوش الجميلة التي تغطي حجرة الدفن والتي هي في حد ذاتها معجزة من معجزات الفن المصري القديم. ويرتبط وادي الملوك وأسراره بقصة الشيخ على عبد الرسول سليل العائلة التي عرفت أسرار وادي الملوك ومنهم من دل الأثري الشهير هيوارد كارتر عن مكان مقبرة «توت عنخ آمون»، ويقال إن الولد الصغير الذي كان يحضر المياه ليسقي العمال وكانت المياه داخل إناء يطلق عليه في الريف الآن اسم «الزير» عندما همَّ بوضعها على الأرض عثر على مدخل المقبرة وجرى إلى الخيمة التي يجلس فيها هيوارد كارتر، يراقب العمال الذين يبحثون عن مقبرة الفرعون الذهبي «توت عنخ آمون» في عامه الخامس منذ بدء البحث وكان كارتر على يقين من العثور على هذه المقبرة حتى إن لورد كارنارفون ملَّ الانتظار وخاصة أنه ممول المقبرة، وكان هذا العام هو المهلة الأخيرة التي أعطاها اللورد للأثري الإنجليزي.. وقد أطلق العالم كله على هذا الصبي الذي عثر على مدخل المقبرة اسم The Water Boy ومن الغريب أنني لم أستطع حتى الآن أن أعرف من هو هذا الصبي الذي عثر على مقبرة الفرعون الذهبي. أما الموضوع الثاني الذي التصق بعائلة عبد الرسول فهو العثور على خبيئة المومياوات بالدير البحري وذلك عام 1881، واستطاعت الحكومة المصرية أن تقبض على أحد أفراد العائلة وعرفَتِ سر الخبيئة وبعد ذلك استطاعوا دخول الخبيئة التي كان يوجد بها حوالي أربعين مومياء ملكية. أما القصة الثالثة فهي العثور على خبيئة كهنة «آمون» عام 1891 وكذلك خبيئة مقبرة «أمنحتب الثاني» عام 1898 التي عثر بداخلها على أربع عشرة مومياء ملكية.. أما الشيخ علي فقد كان آخر أفراد هذه العائلة وهو الذي أفضى إليَّ بالسر الخاص بمقبرة الملك «سيتي الأول» وأن حجرة الدفن الحقيقية للملك «سيتي» لا تزال موجودة في نهاية السرداب السري الموجود داخل المقبرة والذي يصل عمقه إلى حوالي 136 مترًا.



مغامرة في وادي الملوك (2)

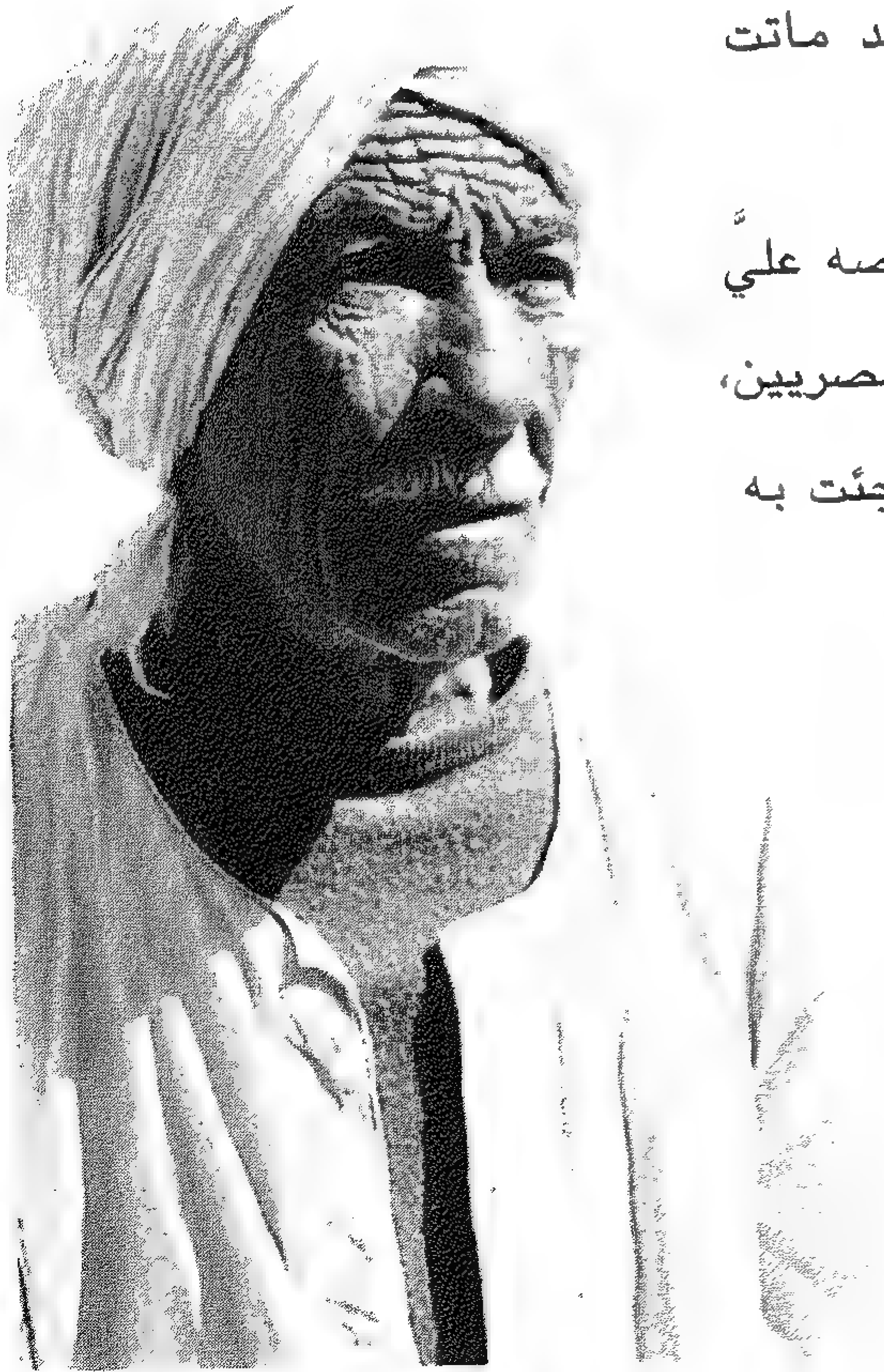


المؤلف اثناء خروجه من سرداب مقبرة سيتي الاول
بعد سقوط أحد الأحجار على قدمه اليمنى



قابلت الشيخ علي عبد الرسول منذ 35 عامًا بالبر الغربي بمدينة الأقصر الشهيرة، حيث كان يمتلك الفندق المعروف بفندق «المرسم» بالقرب من تمثالي «ممنون» العملاقين، والشيخ علي رحمه الله توفي في 1983، وهو أحد أفراد العائلة الشهيرة – أولاد عبد الرسول– التي عرفت أسرار وادي الملوك وأهم ما ينسب من أعمال لهذه العائلة هو العثور على خبيئة المومياوات الشهيرة عام 1881، تلك القصة التي جسدها العبقري الراحل شادي عبد السلام في فيلمه الشهير «المومياء» ولعبت بطولته صديقتي الفنانة الجميلة نادية لطفي، وسيظل مشهد رحيل المومياوات الملكية من وادي الملوك إلى القاهرة على متن المركب «المنشية» الذي يسير بالبخار ويتبع مصلحة الآثار آنذاك من المشاهد التي لا تنسى، حيث خرج أهل القرنة وهم يودعون أجدادهم الملوك في مشهد حزين وكأن تلك الأجساد قد ماتت بالأمس القريب وليس منذ آلاف السنين.

وقد صادقت الشيخ عليًا واستأنست بما كان يقصه عليَّ من قصص وحكايات عن الأثريين الأجانب والمصريين، والغريب أن هذا الرجل في اللقاء الأول بيننا فوجئت به يقول لي إنه سوف يكون لي شأن ومستقبل في عالم الآثار! وحدث ذات يوم أن أخذني معه ودخلنا إلى مقبرة الملك «سيتي الأول» أجمل وأشهر مقابر وادي الملوك على الإطلاق، ونحن بحجرة الدفن الجميلة وجدته يشير إلى سرداب عميق كان مختفيًا أسفل التابوت المرمري الجميل الذي باعه بلزوني مكتشف المقبرة لأحد المتاحف الخاصة



الشيخ علي عبد الرسول



بإنجلترا. وقال لي الشيخ علي إن بلزوني قد دخل هذا السرداب، وبعد ذلك حصل هو نفسه على تصريح من مصلحة الآثار للعمل ورجاله على كشف أسرار السرداب وذلك في 1960، واستطاع أن يحصل على تمويل مادي قدره 300 جنيه مصري كانت كافية لكي يقوم الشيخ علي ورجاله بتنظيف معظم السرداب حتى وصل إلى أكثر من 100متر، وكان يقسم في كل ليلة أن هذا السرداب يحتوي على حجرة دفن مخبأة للملك «سيتي الأول» وأنه سيقيم الأفراح لمدة ثلاثة أيام متتالية في البر الغربي كله عندما يعثر على هذا الكنز. ورغم ذلك لم تتحقق أمنية الشيخ علي حيث نفذ المال ولم يستطع رجاله تحمل الجو الخانق داخل السرداب فاضطر إلى وقف العمل.

ودخلت هذا السرداب مرتين عندما أصبحت رئيسًا للآثار وقررت معرفة أسراره وبدأت البعثة المصرية في العمل لتكشف لنا أن طول السرداب أكثر من 136مترًا، ولايزال أمامنا الكثير لنكشفه من أسرار داخل هذا السرداب بعد أن عثرنا على تمثال أوشابتي من الفيانس وآخر من الخشب يرجع إلى نفس عصر الملك «سيتي الأول» ثاني ملوك الأسرة 19 من الدولة الحديثة، وكذلك عثرنا على أوانٍ فخارية وقطع حجرية منقوشة واحدة منها تحمل اسم الملك «سيتي الأول»؛ مما يؤكد أن السرداب يوجد به الكثير من الأسرار. أما في آخر زيارة لي للسرداب، فقد حدث أن سقط حجر على قدمي مازلت أعاني آلامه، والحمد لله أنني خرجت من السرداب دون كسور.



المؤلف يكمل مغامرته داخل السرداب

مغامرة في وادي الملوك (3)



تمثال الوزير والمهندس الملكي سننموت والأميرة نفرو رع
- ابنة الملكة حتشبسوت



من أكثر المقابر غموضًا بوادي الملوك... مقبرة الملكة «حتشبسوت» وتحمل رقم 20 بين مقابر الوادي ويعتقد البعض أن صاحب هذه المقبرة في الأصل هو الملك «تحتمس الأول» أبو الملكة «حتشبسوت»، ولكن التابوت الذي عثر عليه داخل المقبرة يخص الملكة وعليه أسماؤها وألقابها وهو موجود حاليًا بالمتحف المصري بالقاهرة، إضافة إلى تابوت آخر للملك «تحتمس الأول» معروض حاليًا بمتحف الفنون الجميلة ببوسطن؛ وأعتقد أن المقبرة رقم 20 قد نقرت في صخر الوادي للملكة «حتشبسوت» وبواسطة المهندس الملكي العبقري «سننموت» الذي كان بينه وبين الملكة قصة حب وإخلاص لا مثيل لها، جعلته يشيد لمليكته

المؤلف محاولاً استكشاف المقبرة وسط الظلام

أروع أثر صنع لملكة في التاريخ وهو معبد «حتشبسوت» بالدير البحري وقد كرمته الملكة أعظم تكريم، حيث سمحت له بحفر مقبرة لنفسه داخل حرم معبدها حتى يظل بجوارها إلى الأبد، لعل ذلك كان السبب فيما انتشر من قصص وحكايات عن عشقهما بعضهما لبعض بعد وفاتهما بمئات السنين.

ويصل طول المقبرة رقم 20 إلى حوالي 219متراً، وقد اكتشفها هيوارد كارتر مكتشف مقبرة الفرعون الذهبي «توت عنخ آمون»، ويذكر لنا كارتر في يوميات حفائره ما عاناه من رائحة الوطاويط التي كانت موجودة داخل الممر وصعوبة التنفس داخل المقبرة، بل وأهوال المشي والنزول إلى عمقها. ولم يحاول الأثريون دخول هذه المقبرة نظراً لما تحدث عنه كارتر في يومياته حتى إن أحد علماء الآثار الأجانب رجع بعد أن دخل لمسافة ثلاثة أمتار فقط داخل المقبرة. وعندما عزمت على الدخول إلى هذه المقبرة استعنت بحبل مربوط في البوابة الحديدية التي تغلق مدخل المقبرة.. وكان الدخول إلى مقبرة الملكة الجميلة «حتشبسوت» من أكثر المغامرات إثارة في حياتي كأثري، ولم أصدق نفسي عندما وصلت إلى نهاية المقبرة والغبار منتشر من حولي والظلام يلف المكان سوى ما يقع عليه ضوء الكشاف الذي كان في يدي. يبدو أنني اعتقدت أن دخول هذه المقبرة قد أصبح أمراً يسيراً؛ لذلك فقد حاولت الدخول مرة ثانية وقلت لزملائي إنني لن أستعمل الحبل هذه المرة وبينما أنا أنزل الممر الهابط داخل مقبرة الملكة فإذا بي أنزلق لعدة أمتار وأنا مستلقٍ على ظهري في مشهد لو عرض على أحد لاعتقد أنه من أفلام أنديانا جونز التي يقوم ببطولتها هاريسون فورد.

والمقبرة على الرغم من خلوها من النقوش تمثل أحد أسرار وادي الملوك التي لم يكشف عنها تماماً، فعلى الرغم من أننا استطعنا الكشف عن مومياء الملكة «حتشبسوت» التي قام كهنة الأسرة 21 بنقلها من مكانها الأصلي إلى مقبرة فرعية خوفاً عليها من السرقة التي كانت قد انتشرت في ذلك الوقت وتعرضت مومياوات الفراعنة ومقابرهم لغزو لصوص المقابر، لانزال نجهل على وجه اليقين لماذا لم يكتمل العمل بمقبرة الملكة أو هل كانت المقبرة منقوشة وأُزيلت نقوشها بالكامل لسبب ما، وذلك على الرغم من شبه اكتمال معبدها الفخم بالدير البحري.



مغامرة في وادي الملوك (4)



المؤلف داخل المقبرة KV63



يحتوي وادي الملوك على 26 مقبرة ملكية و 37 مقبرة أخرى غير ملكية، وعلى الرغم من ذلك فإن كل هذه المقابر قام بالكشف عنها إما مغامرون أجانب وإما علماء آثار أجانب أيضًا، ولم يحدث أن قام مصري بالحفر في هذا الوادي، والسبب هو أن الأثريين المصريين -كان الله في عونهم- مشغولون بالهجوم على بعضهم البعض ونقد بعضهم البعض! فكيف لهم بالوقت الكافي لإجراء البحث والاستكشاف بهذا الوادي الساكن الذي يحفظ أسرار الفراعنة؟

أما بالنسبة لي فكان الأمر مختلفًا تمامًا، حيث انشغلت عن وادي الملوك لأنني قضيت حياتي أحفر بجوار الأهرامات وكشفت عن مقابر العمال بناة الأهرام والتي أكدت للعالم كله أن المصريين هم بناة الأهرامات وأنها لم تبن بالسخرة وأن هؤلاء الذين اشتركوا في بنائها لم يكونوا عبيدًا بل عمالاً وفنانين وصناعًا أخلصوا في عملهم، فكان من مات منهم أثناء العمل يدفن في مقبرة في ظلال الأهرامات...



منظر عام لمقابر العمال بناة الأهرام بالجيزة

وكان من آخر أسرار وادي الملوك التي باح بها أخيرًا الكشف عن المقبرة رقم 63 وذلك بعد 84 عامًا من كشف مقبرة الملك «توت عنخ آمون» وترجع القصة إلى مشروع الحفاظ على الوادي من الفيضانات والذي كان يتطلب إجراء بعض التنظيفات أمام المقابر ولم يكلف الأثري المسئول عن وادي الملوك نفسه القيام بهذه التنظيفات، بل قام بالاتصال بأثري أمريكي وهو رجل طاعن في السن كان يعمل منذ سنوات طويلة داخل مقبرة الملك «آمون مس» وهو





المؤلف أمام مدخل مقبرة kv63

متخصص في اللغة المصرية القديمة ولم يكشف عن شيء في حياته وطلبوا منه أن يقوم بهذا العمل ولم يصدق الرجل أنه سوف يحفر في وادي الملوك ولذلك بدأ في التنظيف أمام المنطقة المواجهة لمقبرة الملك «توت عنخ آمون»، وكانت المفاجأة العثور على المقبرة رقم 63 وهي المقبرة التي اتضح أنها عبارة عن مخزن لأدوات التحنيط وعثر داخلها على سبعة توابيت وحوالي 28 إناءً فخاريًا ضخمًا مغلقًا تمامًا منذ أيام الفراعنة. وقد أشرت وقتها إلى أن هذه المقبرة أصلاً خصصت لأم الملك «توت عنخ آمون» – «كيا» – والتي ماتت أثناء ولادتها للفرعون الذهبي الصغير.. وحينما جاءتني الفرصة لتشكيل أول بعثة مصرية برناستي للعمل في وادي الملوك لم أتردد لحظة، وكل ما أتمناه هو أن يسجل التاريخ للمصريين اكتشافات



الجرافيتي الخاص بـ«وسرحات» بوادي الملوك

بهذا الوادي العظيم وتقوم البعثة بالبحث عن مقبرة الملك «رمسيس الثامن» ونعتقد أنها موجودة إلى الجنوب من مقبرة الملك «مرنبتاح» ومقبرة الملك «رمسيس الثاني».. وبدأت المفاجآت بالعثور على مجموعة سلالم لم نصل إلى نهايتها بعد وقمنا بإزالة أحجار ضخمة عثرنا أسفلها على أدلة لوجود مقبرة بعد أن قادتنا نصوص تركها «وسرحات» يقول فيها: إنه بنى مقبرة لأبيه الوزير «آمون نخت» وعثر على أكواخ العمال ونقوش على الصخور تدل على نشاط العمال المكثف في المنطقة.. وجاء الصيف بحرارته فتوقف العمل على أن نبدأ مرة أخرى بإذن الله في الموسم القادم لكي نعلن للعالم كله عن مفاجأة بأيدٍ مصرية في وادي الملوك. وساعتها سوف أنقل مكتبي إلى الوادي الساكن.

مغامرة في وادي الملوك (5)



مجموعة تماثيل للإلهة سخمت المكتشفة حديثا -
معبد أمنحتب الثالث.



كان عمري 17 عامًا عندما زرت وادي الملوك لأول مرة ضمن رحلة جامعية في ذلك الوقت ولم تهتم بمقابر الفراعنة وأسرار هذا الوادي لأن أغلب الرحلات الطلابية للأسف تركز على النشاط الترفيهي أكثر من المعلومات العلمية، ولكني مازلت أذكر رهبة المكان الذي دفن فيه ملوك مصر الذين بنوا مجدها وحكموا العالم القديم بالعلم والحق والعدل أو كما هو معروف بين علماء الآثار المصرية بمبادئ الـ «ماعت»؛ رمز الحق والعدل والنظام في مصر القديمة.. ولكل ملك –ممن دفن في وادي الملوك– قصة خلدتها آثاره وآثار من عاصروه من وزراء وحكام أقاليم وموظفين وحكماء وأدباء؛ كان من هؤلاء الملوك من اهتم بالفتوحات وتوسيع الإمبراطورية، يأتي على رأسهم جميعًا الملك «تحتمس الثالث» الذي يسمى بـ «نابليون العصر القديم»، وإلى جانب الخبرة العسكرية التي تمتع بها «تحتمس الثالث» نعرف أنه كان عاشقًا للطبيعة محبًا للنباتات والحيوانات، فسجل على جدران إحدى قاعات معبد الكرنك –التي أقامها تخليدًا لذكرى فتوحاته وتعظيمًا لشأن «آمون» رب المعبد– أنواع الزهور والحيوانات المختلفة التي جلبها من البلاد التي أخضعها لحكم مصر في آسيا، وتعد مرجعًا هامًا لدارسي علم النبات وعلم الحيوان. وكان على النقيض من هذا الملك الذي شغل نفسه بالفتوحات وتوسيع جوانب الإمبراطورية الملك «أمنحتب الثالث» الذي أطلق عليه لقب الـ «باشا» نظرًا لحياة البغددة والترف التي عاشها جانيًا ثمار فتوحات أجداده العظام فامتلأ قصره وقصور ومعابد طيبة بخيرات العالم القديم من كل شكل ولون.. وعلى الرغم من تعدد زوجات وحريم «أمنحتب الثالث» فإن زوجته الملكية «تي» ظلت مسيطرة على أمور القصر، وأقام لها زوجها عددًا من المنشآت التي خلدت اسمها، من أجملها بحيرة صناعية جميلة لكي تتنزه بها في قارب صنع خصيصًا لها، وكان أيضًا من نواحي تكريم الملك لها أن أمر بدفن والديها «يويا» و«تويا» في وادي الملوك. وفي أواخر أيام «أمنحتب الثالث» تكالبت عليه الأمراض التي ربما تكون حياة الترف سببًا فيها وعندما عجز الأطباء عن



شفائه أمر بأن توضع مئات من التماثيل للإلهة «سخمت» ربة الشفاء داخل معبده الجنائزي الذي كان يتقدمه التمثالان المعروفان باسم تمثالي «ممنون»، وكشفت بعثة ألمانية بجوار هذه التماثيل عن تماثيل أخرى ضخمة للملك «أمنحتب الثالث» والملكة «تي» بالإضافة إلى أكثر من 80 تمثالاً لـ «سخمت».

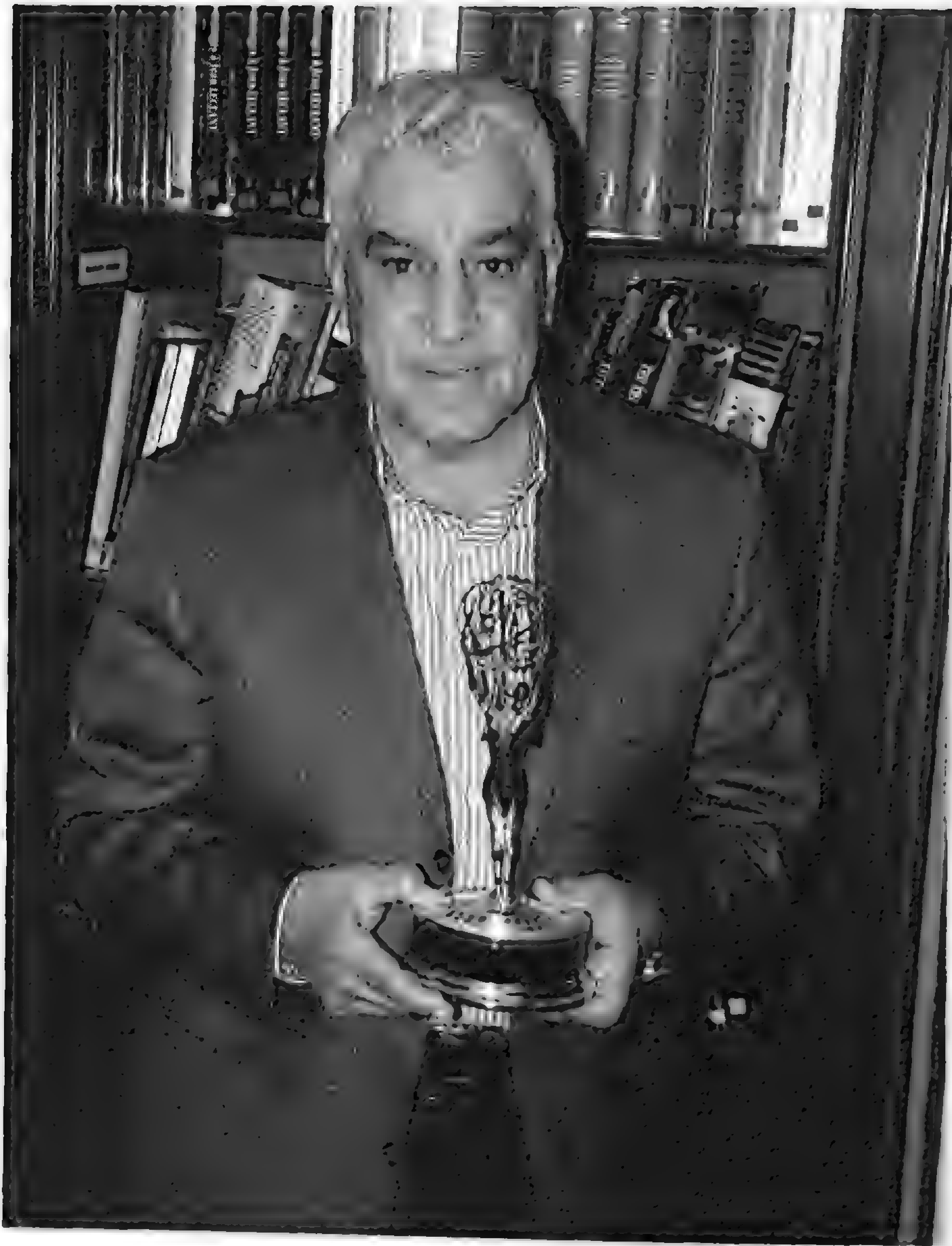
وتظل قصة كشف مقبرة «توت عنخ آمون» أهم قصص الوادي إثارة وتشويقًا حيث كُشفت المقبرة كاملة وكنوزها التي لا يوجد على الأرض مثيل لها تفصح عن مدى ما تمتع به المصريون القدماء من ثراء مادي وفني مذهل، وقد نتج عن كشف المقبرة عدد من القصص عن لعنة الفراعنة خاصة بعد وفاة اللورد كارنارفون ممول الكشف بحوالي ثلاثة أشهر. وقبل الكشف عن مقبرة الفرعون الذهبي كان وادي الملوك قد أباح بسر مقبرة الملك «أمنحتب الثاني» والتي عثر بها على 12 مومياء مخبأة خلف جدار منقوش بالنصوص الهيروغليفية والمناظر.

لم أكن أتخيل وأنا طالب جامعي يزور وادي الملوك لأول مرة أنني سوف أعود إلى هذا المكان وأقوم بالحفائر فيه وأدخل أنفاق مقابر الفراعنة لأكشف عن المزيد من أسرارهم ومعجزات عصر شهد قيام أعظم حضارة إنسانية.



الملك أمنحتب الثالث وزوجته الملكة تي - المتحف المصري

مغامرة في وادي الملوك (6)



المؤلف يحمل جائزة إيمي



دخلت إلى مقبرة الملك «سيتي الأول» ثاني ملوك الأسرة التاسعة عشرة والموجودة بوادي الملوك بالأقصر مرات عديدة، لكن هذه المرة تختلف عن كل المرات السابقة.. والمقبرة بها سرداب كشفه ودخله لأول مرة المغامر الإيطالي بلزوني، وبعد ذلك بسنين عديدة وفي عام 1960 كان الشيخ علي عبد الرسول يعمل هو ورجاله لصالح مصلحة الآثار في استكمال كشف وتنظيف هذا السرداب وكله إيمان أن حجرة دفن الملك «سيتي الأول» لاتزال في مكان ما بداخله. وعندما دخلت هذا السرداب لأول مرة لم تكن عملية مسألة الدخول سهلة على الإطلاق فالظلام يلف المكان لا يجرحه سوى ضوء المصباح الصغير الذي أحمله في يدي والأتربة والصخور المنهارة من سقف السرداب تملأ المكان ارتفاعًا وهبوطًا ولا تترك إلا مساحة ضيقة للغاية لكي نمر من خلالها، وقطعت أول مرة مسافة 80 مترًا داخل عمق السرداب.. كانت مغامرة مخيفة ورائحة التاريخ هي التي تدفعني بكل قوة للاستمرار في تتبع نهاية هذا السرداب التي لا تعرف حتى الآن..

لقد كنت سعيدًا عندما عدت مرة أخرى إلى سرداب الملك «سيتي الأول» ومعي بعثة مصرية لحفر وترميم السرداب واستطاعت البعثة ترميم الجزء الأول من السرداب بعد أن كشفت عن العديد من القطع الأثرية المهمة داخل السرداب. والغريب أن هذا السرداب لايزال مستمرًا حتى بعد مسافة 136مترًا وحدث وأنا أتقدم إلى داخل هذا الجزء العميق من السرداب وكنت تقريبًا أحبو على ركبتي وفجأة سقط حجرٌ ضخم من السقف على قدمي وسقطت على الأرض من شدة الألم وحاولت بصعوبة الخروج من هذا السرداب. حدث هذا في بداية اليوم وكان عليّ أن أستكمل العمل داخل إحدى المقابر الأخرى، وكذلك زيارة موقع حفائر معبد الكرنك، كل هذا والألم يزداد وما إن وصلت إلى المنزل عائدًا من الأقصر وخلعت حذائي وجدت قدمي وقد نزفت بشدة وأصبح لونها شديد الزرقة ونصحني الطبيب بضرورة عمل الأشعة والحمد لله لم يكن هناك كسور ولكني كنت مضطرًا إلى وضع قدمي في الأربطة لمدة أسبوعين، وعلى الرغم من ذلك فإن الإحساس بالمغامرة وأنا داخل هذا السرداب يزداد ليمحو ذكرى أي ألم. فهل سيبوح لنا «سيتي الأول» بسر مقبرته الجميلة بوادي الملوك؟ ولماذا حفر هذا السرداب؟ وما هي الأشياء الثمينة التي خبّأها بداخله؟

مغامرة ثانية تشابهت مع الأولى تمامًا داخل هذا السرداب لكنها هذه المرة كانت مسجلة عن طريق إحدى القنوات الأمريكية بمناسبة زيارة الفرعون الذهبي «توت عنخ آمون» إلى لوس أنجلوس، وقد قام مخرج البرنامج بالتقدم إلى مهرجان التلفزيون الأوسكار الأمريكي الذي يطلق عليه جائزة (إيمي)، وقد وجد المحكمون أن المخرج يستحق فعلاً الجائزة؛ ولكن وجدوا أيضًا أنني أستحق نفس الجائزة. وأعتقد أنها المرة الأولى التي تُقدم إلى شخص غير تلفزيوني؛ حيث تمنح في الغالب لمخرجي الأفلام التسجيلية.

مغامرة في وادي الملوك (7)



الأثاث الجنائزي داخل مقبرة الملك توت عنخ آمون لحظة الكشف عن المقبرة



أصدرت الحكومة المصرية تحت وطأة حرب 1973 قرارًا بمنع التصريح للبعثات الأجنبية بالعمل في مصر. وقد استثنت من هذا القرار منطقتين هما منطقة آثار الأقصر ومنطقة آثار الجيزة. ولذلك تصادف وجود أكثر من 130 أثريًا مصريًا بمنطقة وادي الملوك يعملون مع بعثات مختلفة وكان معظمنا من خارج مدينة الأقصر، وكان هناك أكثر من استراحة لمفتشي الآثار نقيم فيها، ومازلت أذكر هذه الأيام وأنا مفتش صغير، حيث كنا نجتمع لنتناقش في أمور الآثار وكلٌ يحكي عن المنطقة الأثرية التي يعمل بها، وقد ساعدتني تلك الأيام على الإلمام بالكثير من الأمور الهامة عن مناطق الآثار في مصر وأنا مقيم باستراحة مفتشي الآثار بالبر الغربي بمدينة الأقصر.

وكثيرًا ما كنا نجتمع بفندق الشيخ علي عبد الرسول بعد انتهاء أعمالنا مع البعثة، وكان شيخ خفراء منطقة القرنة القريبة من وادي الملوك – الشيخ نجدي رحمه الله – من أحب الشخصيات إلى قلوبنا؛ يمتلك معرفة واسعة بآثار الأقصر وعمل مع أكثر من بعثة أجنبية وكان يطيب له أن يحكي عن الوادي وعن العلماء الذين عمل معهم وعن والده الشيخ عبد المعبود الذي يعتبر من مشايخ الخفراء الذين اشتغلوا مع البعثات الأولى في وادي الملوك. وقد كان الشيخ نجدي شخصية قوية جدًا يرتدي جلبابًا طويلاً وعمامة ويمسك في يده عصا استطاع بها أن يحرس هذا الوادي بل لم يجرؤ لص من لصوص الآثار أن تمتد يده لسرقة مقبرة كان الشيخ نجدي مسئولاً عنها، وقصص سرقات الآثار في الوادي تمتد إلى العصور الفرعونية، حيث كان لصوص المقابر قديمًا يأتون ليلاً إلى الوادي يبحثون عن الذهب والكنوز المخبأة داخل المقابر، وكانوا يهربون عندما يحسون بوجود حراس الوادي، ولدينا دليل أنهم دخلوا إلى مقبرة «توت عنخ آمون» وأعدوا العدة للسرقة وعندما هموا بالرحيل بكنوز المقبرة سمعوا صوت شرطة الوادي في الخارج؛ ولذلك تركوا كل شيء داخل المقبرة وفروا هاربين وقام حراس الجبانة بختم المقبرة وغلقها مرة أخرى..

وطلبت من الشيخ نجدي أن يأخذنا إلى وادي الملوك ليلاً وكان الوادي مضاء بضوء القمر في مشهد لم أر أجمل منه في حياتي، وعندما وصلنا إلى الوادي أخذنا إلى أعلى نقطة بالجبل المهيمن على وادي الملوك، وطلبنا من الشيخ نجدي أن يتركنا ويعود إلى منزله لأن الليل كان قد انتصف إلا أنه قرر أن يمر على مقابر النبلاء في القرنة وجاء بعد ذلك إلى الوادي ونام بجوار إحدى المقابر الملكية منتظرًا نزولنا من أعلى الجبل، وكنت قد نمت بجوار القمة الهرمية ورغم أننا كنا في أيام الصيف، إلا أن الجو كان يأتي بهواء بارد يوقظني من أحلامي وأنا أتخيل نفسي وقد صِرْتُ رئيسًا لبعثة أثرية يأتي للعمل بوادي الملوك كأول بعثة مصرية خالصة بالوادي المليء بالأسرار. أسرار ملوك وفراعنة بنوا حضارة عظيمة أضاءت للإنسانية طريق العلم والمعرفة، وتحقق الحلم وبدأنا فعلاً كأول بعثة مصرية تحفر في وادي الأسرار.

مغامرة في وادي الملوك (8)



المؤلف أثناء إجراء الأشعة المقطعية CT
لمومياء الملك توت عنخ آمون



عندما التقيت بالفرعون الذهبي «توت عنخ آمون» للمرة الأولى في يناير 2005 لم أكن أتصور أن هذا اللقاء سوف يجعلني أهتم بهذا الملك اهتمامًا خاصًا محاولاً إلقاء المزيد من الضوء على حياته ومماته.. وللأسف هناك بعض الأثريين من حزب أعداء النجاح، هؤلاء لم يفعلوا شيئًا في حياتهم سوى تدبير المكائد لكل من يعمل. فما إن علموا بإعدادي لمشروع دراسة مومياء الملك بأحدث التقنيات العلمية الحديثة وباستخدام أجهزة الـ Ct–Scan حتى هبوا مهاجمين لهذا المشروع، على الرغم من أن مومياء الملك خضعت لدراسات عديدة باستخدام أشعة إكس وعلى أيدي علماء أجانب ولم نر أحدًا من هؤلاء يهاجم أو يعترض. فهل المشكلة لاتزال في عقدة الخواجة، حيث نساعد ونحترم عمل الأجنبي دون المصري؟! ربما! أو ربما هو الحقد والحسد ممن يفتقدون القدرة على العمل والنجاح.المهم أن دراساتنا على مومياء الملك «توت عنخ آمون» أثبتت وبالأدلة العلمية أنه مات وهو في سن التاسعة عشرة، وأنه لم يقتل كما أكد ذلك الخبراء الأجانب لأن الفتحة التي كانت موجودة خلف الرأس لم تكن بسبب ضربة فأس ولكن قام المحنطون بفتحها لكي تستعمل لوضع السوائل الخاصة بالتحنيط.

وكانت المفاجأة الكبيرة بالنسبة لنا هي الحالة التي وجدت عليها المومياء داخل مقبرة الملك حيث وجدت مفتتة إلى حوالي 18 قطعة؛ وذلك بسبب قيام هيوارد كارتر مكتشف المقبرة بفتح التابوت بعد حوالي ثلاث سنوات من اكتشاف المقبرة ووجد أن القناع الذهبي ملتصق بالصدر والوجه وحاول أن يزيل القناع ووجد أن مادة الراتنج الأسود جعلت القناع ملتصقًا تمامًا بالجسم ولم تفلح محاولاته لنزع القناع دون تلف المومياء، حيث عرض المومياء للشمس لمدة شهر على أمل أن تذاب الراتنجات ويسهل تخليص المومياء والقناع من التابوت الداخلي، وبعد أن أعيته الحيلة نقل المومياء إلى مقبرة «سيتي الثاني» وقام باستخدام السكاكين والأدوات الحادة بعد تسخينها على النار ونزع بالقوة القناع الذهبي وخلص المومياء من قاع التابوت ولذلك تفتتت المومياء، ولم يحاول كارتر أن ينقل المومياء إلى المتحف المصري ربما لكي لا يكتشف أحد ما فعله بالمومياء، على الرغم من

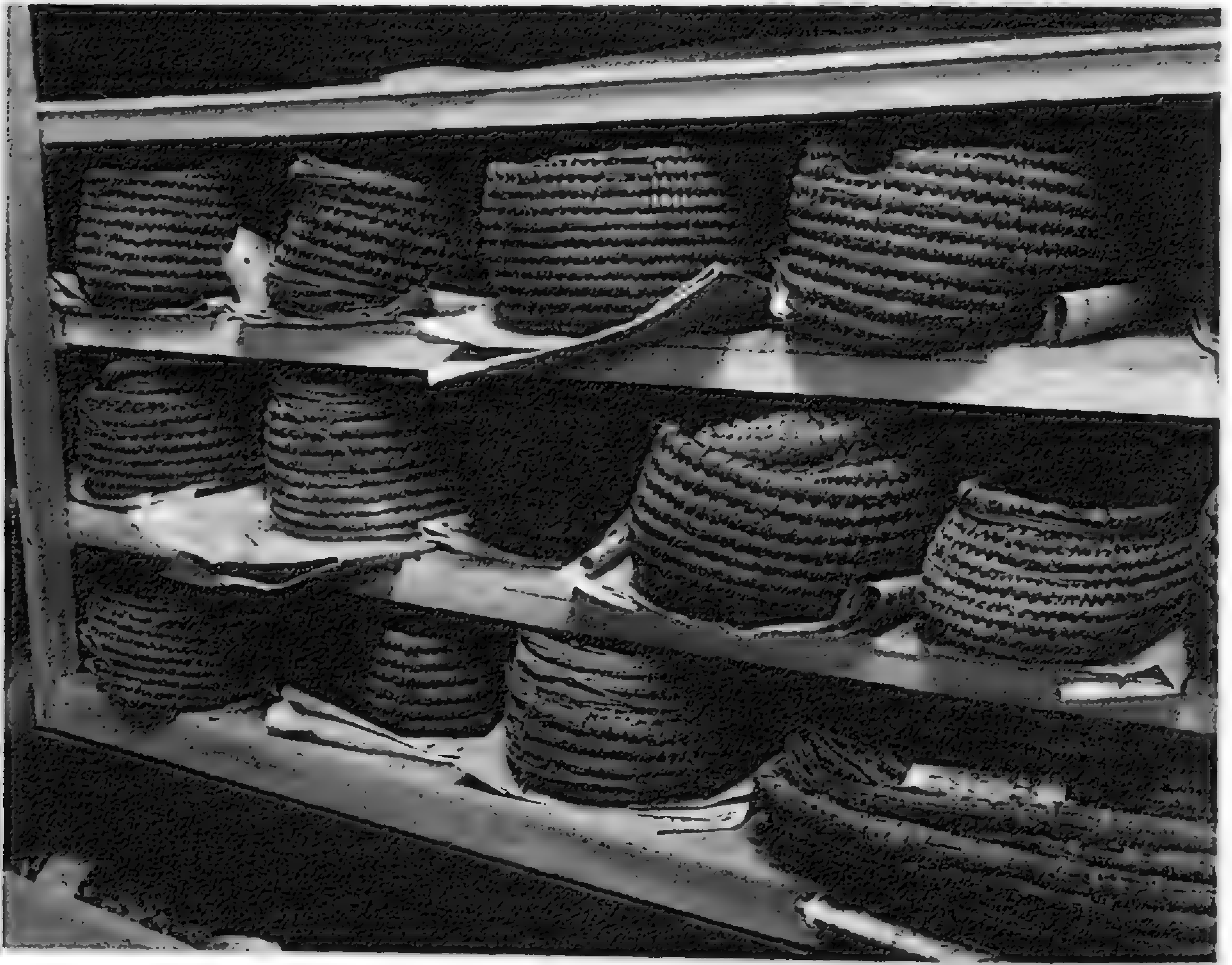
أنه قام بنقل كل المومياوات الموجودة بوادي الملوك المعروف أسماء أصحابها إلى المتحف المصري، وترك المومياوات غير المعروف أسماء أصحابها داخل المقابر..

وقد وجدت ضرورة الحفاظ على هذه المومياء لأن وضعها داخل التابوت يعرضها للتلف وخاصة لدخول الهواء داخل التابوت وتغير درجات الحرارة والرطوبة داخل مقبرة الملك، أضف إلى ذلك الغبار الذي ينتج عن الزائرين وعدم وجود المومياء في مكان آمن بعيد عن الميكروبات أو حتى الحشرات؛ ولذلك وبالتعاون مع جهات علمية رفيعة تم تصنيع فاترينة خاصة للمومياء لا تسمح بدخول الهواء وخالية من الأكسجين ولذلك لن تجد أي نوع من الحياة داخل الفاترينة فلا وجود للميكروبات أو للحشرات، وقام الفريق المصري بنقل المومياء إلى داخل الفاترينة بالمقبرة بعد أن تم معالجة المومياء ووضعها في لفائف جديدة من الكتان معقمة وتربيط أجزاء المومياء إلى بعضها البعض وترك الوجه فقط دون غطاء. وعلى الرغم من إنقاذ مومياء الملك وبأسلوب علمي وجدنا من يهاجمنا دون إعطاء أي سبب وجيه يمكن مناقشته. خطورة هؤلاء أنهم يقفون في وجه أي تقدم وللأسف يجدون من يساعدهم في نشر سمومهم بين الناس بدعوة حرية الرأي، وفي النهاية سيبقى العمل الجيد. أما الكلام المرسل والاعتراض لمجرد الاعتراض فسيذهب أدراج الرياح، ولن يذكره التاريخ!



مومياء الملك توت عنخ آمون لحظة دخوله جهاز الأشعة

مغامرة في وادي الملوك (9)



مجموعة من السلال المصنوعة من البوص المكتشفة
بمقبرة الملك توت عنخ أمون



لم أكن أتصور أن هيوارد كارتر مكتشف مقبرة «توت عنخ آمون» لم ينقل كل الآثار التي عثر عليها داخل مقبرة الملك «توت» إلى المتحف المصري، ومن المعروف أنه قد كشف 5398 قطعة أثرية وقد سجل منها حوالي 4500 قطعة موجودة بالمتحف المصري وترك بعض هذه القطع بوادي الملوك.. وقد تصادف أن دخلت الحجرة التي يطلق عليها اسم «حجرة الكنز» داخل المقبرة، وهذه الحجرة عثر داخلها كارتر على تمثال «أنوبيس» الشهير الذي يصوره بهيئة ابن آوى رابضًا على مقصورته الذهبية، وقد لون جسد «أنوبيس» باللون الأسود البراق.. وعندما دخلت حجرة الكنز وجدت أن هيوارد كارتر قد ترك ثلاثة أقفاص من جريد النخيل داخلها العديد من القطع الجيرية، وعندما قمت بفحصها وجدت أن بعضها يحمل اسم الملك «توت عنخ آتون» وهو اسم الملك «توت» عندما كان يعيش مع أبيه «إخناتون» بتل العمارنة، والبعض الآخر عليه اسم الملك «توت عنخ آمون» وهو اسمه بعد أن هاجر من العمارنة إلى الأقصر وأصبح مواليًا لكهنة «آمون» ولذلك كان لزامًا عليه أن يغير اسمه من «آتون» إلى «آمون» كما وجدنا أيضًا خاتم الجبانة الذي يتكون من الأقواس التسعة يمثلها تسعة أشخاص أجانب راكعين ومقيدي الأيدي من الخلف وهم يمثلون أعداء مصر التقليديين بالإضافة إلى «أنوبيس» حارس الجبانة، وكان هذا هو ختم بوليس الجبانة، أي أننا وجدنا أن كارتر قام بحفظ كل الأختام التي عثر عليها داخل المقبرة وتركها بالداخل ولم يحاول أحد نقلها..

وعندما استمر البحث عن قطع أخرى خاصة بالملك الذهبي وجدنا أن هناك أواني كبيرة مازالت مغلقة لم تفتح منذ أيام الملك الذهبي «توت عنخ آمون» وبعض النواويس الخشبية التي كان يحفظ بها تماثيله، وهو ممثل كملك للوجه البحري بالتاج الأحمر، وأخرى كملك على الوجه القبلي بالتاج الأبيض، وهما المملكتان اللتان كانت مصر تتكون منهما في عصورها القديمة (الصعيد والدلتا). كما عثر أيضًا على سلال من البوص مليئة بثمار الدوم



والنبق، وهناك أيضًا أوانٍ من الفخار لها سدادات (أغطية) من الطمي وقد ختمت بأسماء الملك ومنها ما يحمل اسم «آتون» وأخرى تحمل اسم «آمون».

أما المفاجأة فكانت العثور على الصحف الخاصة بـ هيوارد كارتر ومنها الـ London Times والتي كانت تكتب عن الاكتشافات اليومية التي يقوم بها كارتر وقد خصَّها اللورد كارنارفون بحق نشر أخبار الكشف الجديد عن مقبرة الملك «توت» دون باقي الصحف الأخرى التي تفرغت للكتابة عن لعنة الفراعنة واختلاق العديد من القصص عن لعنة الملك «توت»، ومعظمها كان عبارة عن مصادفات، وبعضها لم يحدث من الأساس.

ومن الأشياء الجميلة عثورنا على المولد الكهربائي الضخم الذي اشتراه كارتر على نفقته الخاصة لكي ينير وادي الملوك ليلاً، ولا تزال هذه الماكينة الفريدة موجودة بالوادي حتى الآن في المقبرة غير المنتهية لـ «رمسيس العاشر». هذا بالإضافة إلى أن استراحة كارتر والموجودة غير بعيد عن مدخل الوادي لاتزال بحالتها القديمة مما جعلني أفكر في تحويلها إلى متحف يحكي القصص المثيرة عن الملك الذهبي «توت عنخ آمون».



تمثال أنوبيس الشهير من
مقبرة الملك توت عنخ آمون
- المتحف المصري

مغامرة في وادي الملوك (10)



المؤلف أثناء إجراء تحليل DNA لمومياء توت عنخ آمون



لا يزال السؤال الذي يحير علماء الآثار المصرية وهو: من هو أبو الملك «توت عنخ آمون»؟ من أكبر المعضلات التاريخية في علم الآثار المصرية، فهناك البعض الذي يعتقد أن أبا الملك «توت» هو الملك «أمنحتب الثالث» وبذلك يكون «توت عنخ آمون» هو أخا الملك «أخناتون» أول ملك مصري قديم نعرفه ينادي بوحدانية الإله في مصر، ويعتمد أصحاب هذا الرأي على أن الملك «توت عنخ آمون» عندما انتقل إلى طيبة قال في أحد أحاديثه مخاطبًا «أمنحتب الثالث» على أنه أبوه. أما البعض الآخر من الباحثين -وأنا منهم- فنعتقد أن «أخناتون» إنما هو أبو الملك «توت عنخ آمون». يؤيد هذا الرأي النص الذي عثر عليه بقرية الأشمونين والذي نقل من العمارنة ويشير إلى اسم «توت عنخ آتون» أي مرتبطًا بـ «آتون» إله «أخناتون» وليس الإله «آمون» الذي عُبد في الكرنك بالأقصر وكان الإله الرسمي قبل ثورة «أخناتون» عليه، نعود إلى اسم الملك الذي وجد مسجلاً على هذه الكتلة الحجرية يليه لقب ابن الملك «أخناتون» ويذكر كذلك اسم زوجته «عنخ اسن ان با آتون». ويعتقد البعض أن أم الملك «توت عنخ آمون» هي الملكة «كيا» التي تزوجها «أخناتون» وماتت أثناء ولادة «توت» الذي تربى في كنف الملكة الجميلة «نفرتيتي» الزوجة الرئيسية لـ «أخناتون»، هذا إضافة إلى آراء أخرى كثيرة تذهب إلى أن «نفرتيتي» هي أم الملك «توت» أو أن الملكة «تي» زوجة «أمنحتب الثالث» هي أمه الحقيقية مستندين في ذلك إلى وجود بعض آثارها التي تحمل اسمها في مقبرة الفرعون الصغير «توت عنخ آمون».

وبعد أن نجح الفريق المصري في دراسة مومياء «توت عنخ آمون» ومعرفة سبب وفاته وكذلك الكشف عن مومياء الملكة «حتشبسوت» ودراسة المومياوات التي عثر عليها داخل المقبرة رقم 35 (أمنحتب الثاني) بوادي الملوك، لذلك فقد بدأنا في دراسة عائلة الملك «توت» بعد أن توفر لنا أول معمل لدراسة الحمض النووي للمومياوات المعروف بتقنية DNA ومكانه بالمتحف المصري بالقاهرة. ونقوم حاليًا ببناء معمل آخر لـ DNA بكلية الطب جامعة القاهرة وذلك حتى يتم اختبار العينة مرتين بمعملين مختلفين ومقارنة النتائج

من كليهما. والأمر الذي يدعو إلى الزهو هو أن جميع القائمين على هذا المشروع المثير من المصريين ذوي الخبرة النادرة في هذا المجال العلمي الحديث. فلم نعد نعتمد عند استخدام تقنيات العمل الحديث لدراسة تراثنا الحضاري على الأجنبي. كذلك يمتلك المجلس الأعلى للآثار بمصر الآن معمل الأشعة المقطعية بجهازه الحديث CT- Scan والذي يعمل عليه فريق مصري على أعلى مستوى من التدريب والكفاءة العلمية. وقريباً سيتم الإعلان عن نتائج هذه الأبحاث العلمية حول عائلة الملك «توت عنخ آمون» والتي نتمنى أن تجيب عن إحدى المعضلات التاريخية الكبرى وأن تأتي بالأدلة التي لا يمكن التشكيك فيها حول من هو الملك «توت»؟ ومن هي عائلته؟ وكيف كانت الأمور تسير في البيت المالك في فترة العمارنة؟ إن دراسة مومياوات الفراعنة والملكات وكذلك الأمراء والأميرات في هذه الفترة التاريخية المهمة من تاريخ مصر القديمة والتي تحولت فيها مصر إلى إمبراطورية تحكم العالم القديم سوف تؤدي بالطبع إلى الكشف عن أسرار الأسرة الثامنة عشرة الملكية والعلاقات بين أفراد البيت المالك، والأهم من ذلك أنه سيخرج إلى النور شخصيات لعبت دوراً في تاريخ مصر في ذلك الوقت فات التاريخ أن يذكرها.



توت عنخ آمون جالسًا على العرش وأمامه زوجته

الفصل الخامس

سر الزئبق الأحمر

الزئبق الأحمر



الزجاجة التي يُشاع أنها تحتوي على زئبق أحمر
بمتحف التحنيط بالأقصر



شائعة جديدة خرجت من مصر وانتشرت في العديد من البلدان العربية. الشائعة تقول إن الزئبق الأحمر موجود في مصر وإن هناك من عثر عليه داخل منطقة الرقبة في المومياوات الملكية، وإن من يملك هذا الزئبق يستطيع أن يسخر الجان ويجعلهم طوع أمره يأتون له بما يأمرهم به، وقيل أيضًا إن لهذا الزئبق قدرة على الشفاء من المرض.. وبسرعة البرق انتشر الخبر حتى وصل إلى المثقفين والعامة وكان هناك العديد من المواطنين يسألونني عن هذا الموضوع وعن حقيقته، بل وصل الأمر إلى حد أن جاءني أحد خبراء السياحة وهو على درجة كبيرة من العلم والثقافة ووجدته يؤكد لي أن الزئبق الأحمر حقيقة وليس مجرد وهم، وأن هناك بمصر عددًا من السراديب السرية مليئة بمومياوات ملكية وداخل منطقة الحلق بهذه المومياوات يوجد السر العظيم للزئبق الأحمر.. وقد اتضح أن هذه الشائعة أطلقها بعض محترفي النصب الذين اعتادوا نصب شباكهم لإيقاع السائحين خاصة الأثرياء... ومن قصص الوهم أو (الفهلوة) كما يسميها المصريون هناك قصة شهيرة يرددها أهالي الأقصر وهي أن أحد المرشدين السياحيين وهو من غير المثقفين وجد أن أحد تجار الآثار المعروفين قد توفي وأقام أهله سرادق العزاء.. ومن المعروف أن سرادق العزاء في الأقصر تقدم فيه القهوة وفي بعض الأحيان تقدم أنواع من السجائر إلى الحاضرين في الأوقات التي لا يقرأ فيها القرآن.. ويبدو أن المرشد قد وجدها فرصة للحصول على بعض المال من السائحين وقال لهم: إن هناك قرانًا Party (حفلة قران) ومن يرد الحضور فعليه دفع عشرة دولارات وطبعًا كانت فرصة للسائحين للحضور، وعندما وصل هؤلاء إلى سرادق العزاء اعتقد أهالي المتوفى أن هؤلاء الأجانب هم من العملاء الذين تعاملوا مع المرحوم في تجارة الآثار، ولذلك استقبلوهم استقبالاً حارًا وقدموا لهم المشروبات وسمعوا الآيات القرآنية وهم لا يفهمون ما يحدث.. وموضوع الزئبق الأحمر يتطابق تمامًا مع هذه القصة. فهناك بعض الناس الذين تواجههم مشاكل صحية يعجز عن حلها الأطباء ولذلك تجدهم يتمسكون بأي خيط ولو ضعيفًا أو أي بارقة أمل في الشفاء.. وفي إحدى الجلسات في صالون أنيس منصور وجدنا أن بعض الحاضرين يتحدث في موضوع الزئبق الأحمر، بل يشير إلى أنه شاهد هذا الزئبق بعينيه عند أحد أصدقائه في منطقة مصر الجديدة، وكان أنيس منصور يضحك ولا يعلق، ولم أجد غير أن أطلب من هذا الشخص أن يأخذني لمقابلة صديقه الذي يمتلك هذا الوهم.. وهو الزئبق الأحمر، وبالطبع لم يفعل. واتصل بي بعض

الصحفيين يسألون عن تفسير هذا الموضوع، ولم أكن أجد أي إجابة غير أنني قمت بالعديد من الحفائر العلمية في العديد من المناطق الأثرية بمصر، واكتشفت مومياوات كثيرة، ولم يحدث أن اكتشفت أي زئبق سواء أحمر أو أبيض.. انتشرت الشائعة وكتبت الصحف تنبه الناس إلى أسطورة الزئبق الأحمر حتى لا يقعوا فريسة للنصابين، وللأسف جرى كثير من الناس وراء هذا الوهم الذي أفقدهم أموالهم. وأغرب ما حدث كان حضور أحد الأثرياء العرب لمقابلتي ليطلب مني أن أحضر له بعضًا من الزئبق الذي عثرت عليه داخل المومياوات التي أقوم باكتشافها، وكنت في ذلك الوقت قد كشفت عن وادي المومياوات الذهبية بالواحات البحرية..

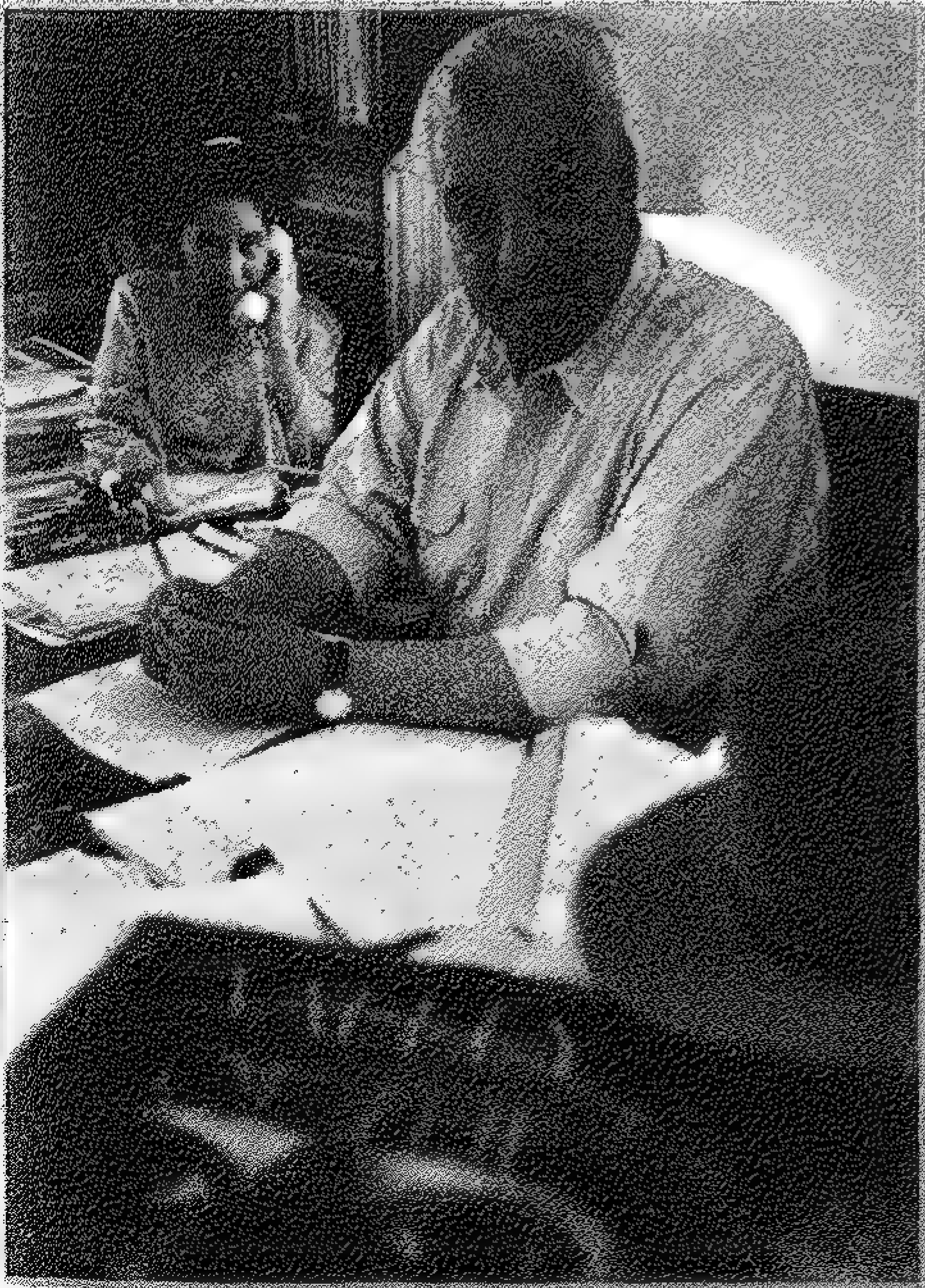
الزئبق الأحمر.. وحكاية أغرب من الخيال

أما عن قصة ذلك الثري العربي الشاب الذي جاءني يطلب مني الزئبق الأحمر فهي قصة أشبه بحكايات ألف ليلة وليلة والتي يصعب تصديقها، والذي حدث بالفعل أنني كنت أجلس بمكتبي بمنطقة آثار الهرم وكان الجو صيفًا عندما جاءتني مساعدتي بالمكتب تخبرني أن شابًا عربيًا يشغل مركزًا مهمًا ببلده يريد ترتيب لقاء معي وأن سكرتيره الخاص قد اتصل يطلب ترتيب هذا اللقاء، وعندما تحدثت مع السكرتير ذكر لي أن فلانًا يريد مقابلتي على وجه السرعة لأمر مهم جدًا وعلى الفور دعوته للحضور لمقابلتي بمكتبي.

وبالفعل جاء الشاب ومعه حراسه ومساعدوه وكانت من أغرب المقابلات التي حدثت في حياتي، وبدأ الضيف وهو في العقد الثالث من عمره حديثه قائلاً: «اسمح لي أن أدخل في الموضوع مباشرة دون أي مقدمات؛ إن أمي مريضة منذ حوالي خمسة أعوام وطفت بها العالم كله -أمريكا، فرنسا، إنجلترا- وعرضتها على كل أطباء الدنيا ولم أجد أي طبيب يستطيع تشخيص وعلاج مرضها، وهي كل حياتي، وجئت إلى مصر وعرفت أطباء وتعرضت للنصب من بعض النصابين». وأضاف أنه أنفق على علاجها حتى الآن ملايين الدولارات.. وأن أحد المشايخ المقيمين في بلدته أخبره أن علاج أمه عند واحد في مصر اسمه زاهي حواس! وهنا كنت في



غاية الدهشة والعجب، ولم أعرف ماذا أرد عليه، ولكنه لم يشر إلى طريقة العلاج الموجودة لديَّ، ولكن عرفت بعد ذلك أن هذا الشيخ أخبره بوجود زجاجة صغيرة بمكتبي تحتوي على ما له القدرة على شفاء أمه المريضة. وقلت لهذا الشاب إنه من الواضح أنك تعرضت لعملية نصب كبيرة لأنه لا يوجد زجاجات بمكتبي، ولا يوجد لديَّ شيء، ورجوته أن ينسى هذا الموضوع وألا يجري وراء الوهم وأن الشفاء من عند الله. وهنا لم نتطرق إلى أي موضوع عن الزئبق الأحمر إطلاقًا، ولم يشر لي عن هذا الوهم. وحكيت القصة لبعض الأصدقاء، وكنت قد طلبت منه أن يحضر لي هذا الشيخ لكي يقابلني وليدلني على مكان الزجاجة المخفية داخل مكتبي.. ولم يحضر الثري العربي لمدة تزيد على تسعة أشهر. وفجأة وجدته يتصل بي تليفونيًّا في المنزل في الساعة الخامسة مساءً ويطلب مقابلتي لأمر ضروري، وفعلاً بعد حوالي ساعة من المكالمة حضر لمقابلتي بمنزلي وقال بالحرف الواحد: «معي مليون دولار، لديَّ الآن مائة ألف دولار والباقي موجود لدي في خزينة حجرتي بالفندق ومستعد أن أقدم لك هذا المبلغ فورًا إذا أحضرت لي هذه الزجاجة التي يوجد بها الزئبق الأحمر لشفاء أمي؛ لأن هذه المادة هي الوحيدة كما قيل لي من الجميع التي يمكن أن تقضي على مرض أمي الذي استعصى على كل الأطباء...».. وهنا أخذت أشرح لهذا المسكين كيف أن النصابين استطاعوا اختراع هذه الأسطورة التي اسمها «الزئبق الأحمر» للنصب بها على الناس، وأنه ليس هناك أي أساس من الصحة لكل هذه الشائعات التي انتشرت حول قدرة الزئبق الأحمر على تسخير الجن وتحقيق أحلام الثراء وغيرها من الأشياء غير المعقولة. وكنت أحس بالأسى والحزن يعتصرني وأنا أمامي هذا الشاب الذي تعلق بالوهم أملاً في شفاء أمه.. وكان من الواضح في ذلك الوقت أن كشفي لوادي المومياوات الذهبية في الواحات البحرية هو الذي ساعد على خلق هذا الوهم الكبير.. الزئبق الأحمر..



المؤلف داخل مكتبه بمنطقة آثار الهرم

الزئبق الأحمر.. وقصة الوادي الذهبي

كنت أتخيل أنني سأكتب مقالاً واحدًا أو اثنين على الأكثر عن موضوع «الزئبق الأحمر»، لكني وجدت رغبةً من أصدقائي في مواصلة الكتابة عن كل ما أُشيع حول هذا الموضوع، وبذلك يكون هذا هو المقال الثالث على التوالي الذي يدور حول الزئبق الأحمر ونبدؤه بالسؤال الآتي: هل هناك سائل سحري مخبأ بمومياوات الفراعنة؟! يؤكد من أطلقوا أسطورة الزئبق الأحمر على وجوده بمومياوات المصريين القدماء محفوظًا داخل قوارير –على هيئة البيض– من الألباستر أو المرمر وبالذات داخل منطقة الرقبة في المومياوات، ولكن علماء المصريات يعرفون كل ما يخص أسرار التحنيط، وقد عثر مؤخرًا وعلى مسافة قريبة من مقبرة الملك «توت عنخ آمون» بوادي الملوك على مقبرة تعرف باسم المقبرة رقم 63 أو خبيئة التحنيط، وبداخلها عثرنا على أغلب المواد التي كان يستعملها المصريون القدماء في التحنيط مثل ملح النطرون الذي كان يعتبر من العناصر الأساسية في تحنيط الجسد وبالمقبرة كشف عن 28 إناءً كبيرًا محكم الغلق منذ ثلاثة آلاف عام، بالإضافة إلى وجود مواد أخرى مثل الكتان وأحشاء وزهور وقطع من القماش مشبعة بالراتنجات.. أما الوادي الكبير الذي كشفت عنه وأطلقت عليه تسمية «وادي المومياوات الذهبية» فأعتقد أن الثري العربي الذي كتبنا عنه من قبل قد قرأ عن هذا الكشف، وعرف أننا كشفنا عن هذه المومياوات داخل وادٍ قد يبلغ عدد من دفن به حوالي عشرة آلاف مومياء بعضها مغطى بمناظر دينية مذهبة. وأؤكد أنه لم يعثر قط على أي زئبق أحمر بأجساد الملوك، وكان آخر مومياوات ملكية قد عثر عليها في خبيئة المومياوات عام 1898م، ومنذ هذا التاريخ لم يكشف عن أي مومياء ملكية داخل مقبرة أو خبيئة. أما ما كشف عنه بالواحات البحرية فهو عبارة عن مومياوات لكل طبقات الشعب من طبقة الأثرياء والنبلاء إلى طبقات العامة، والمومياوات في حالة جيدة، ويبدو أن ثراء شعب الواحات جاء من تجارة النبيذ، وجعل في امكانهم تهيئة مقابرهم وأجسادهم



بمقتنيات غالية الثمن بل وتغطية مومياواتهم بالذهب. وعندما ذهبت إلى الواحات البحرية ومعي بعثة من الأثريين المصريين وجدنا كل هذه المومياوات داخل مقابر عائلية منحوتة في الصخر وكانت المومياوات ترقد على ظهرها إلى جوار بعضها البعض.. وانتشر خبر الكشف في كل مكان بالعالم، حتى إن قناة فوكس الأمريكية أذاعت الكشف على الهواء مباشرة من داخل الوادي بعد أن دفعت مبالغ طائلة استخدمت في الحفاظ على آثار هذا الوادي، والذي لعبت المصادفة دورًا أساسيًّا في الكشف عنه، وذلك عندما كان حارس آثار معبد الإسكندر الأكبر القريب من الوادي يجلس في انتظار زميله بعد انقضاء ساعات عمله حتى يعود إلى منزله، لكن زميله تأخر بعض الوقت وكان لهذا الحارس –واسمه عبد الموجود– حمار يستخدمه في الذهاب إلى عمله والعودة إلى منزله في هذه المنطقة الصحراوية، وفي هذا اليوم فوجئ الحارس بالحمار وهو يركض على غير العادة وكأن شيئًا يطارده وقد أمسك بلجامه في فمه، ولم يستطع الحارس تفسير ما يحدث إلى أن وصل زميله وغادر عبد الموجود وحماره منطقة المعبد ولكن الحمار اتجه نحو حفرة في الأرض كانت قدمه قد زلت فيها، ونزل عبد الموجود ليستكشف الأمر وأبلغ رؤساءه في العمل الذين أبلغوني وكان الكشف عن واحد من أروع الاكتشافات الأثرية التي تحدث عنها العالم. بعدها انتشرت شائعة الزئبق الأحمر التي أدت إلى مقتل ثلاثة رجال من عائلة واحدة.



وادي المومياوات الذهبية بالواحات البحرية

الزئبق الأحمر بمتحف التحنيط بالأقصر!

كنا قد أنهينا الحديث عن خرافة الزئبق الأحمر بما حدث لثلاثة شبان من عائلة واحدة خرجوا بحثًا عن الزئبق الأحمر في أحد جبال أسوان، حيث قاموا بالحفر أسفل أحد الجبال بعد أن أخبرهم أحد المشعوذين بوجود مومياوات وزئبق أحمر في هذا المكان، وبينما هم منهمكون في الحفر وأحلام الثراء تدور بمخيلتهم انهار جزء من الجبل عليهم واضعًا نهاية مأساوية لحياة هؤلاء الشبان الذين كانوا يسعون وراء ثراء زائف بدلاً من أن يجدُّوا في أعمالهم ليحسِّنوا من واقع حياتهم مثلما نجح في ذلك العديد من أقرانهم الذين لم يلتفتوا إلى الوهم. كذلك أشرنا من قبل إلى شائعة جد خطيرة انتشرت في مصر منذ عدة سنوات وكان يمكن أن تؤدي إلى نتائج سيئة لولا أننا تصدينا لها في كل مكان. هذه الشائعة كانت تقول إن هناك في متحف التحنيط بالأقصر زجاجة تحتوي على الزئبق الأحمر، وبالفعل هناك في هذا المتحف زجاجة بها سائل أحمر، هذا السائل ليس له أي علاقة بموضوع الزئبق الأحمر، وقصة هذا السائل أنه أثناء الكشف عن أحد المقابر بسقارة والتي تعود إلى العصر الصاوي – عصر الأسرة الـ 26 (664ق.م) – تم الكشف عن تابوت مغلق من الحجر، وبفتحه عثر على مومياء وحولها هذا السائل الأحمر الذي هو من مخلفات عملية التحنيط التي يبدو أنها كانت تجري على عجل لهذه المومياء، وعند إحكام غلق التابوت وبفعل الحرارة والتفاعلات الكيميائية تحولت بعض مواد التحنيط إلى هذا السائل الذي تم تجميعه ووضعه في هذه الزجاجة بمتحف التحنيط، وهذه حادثة لم تحدث من قبل، وقد أجريت أبحاث على هذا السائل الذي اتضح أنه مزيج من المياه والراتنجات المذابة وغيرها من المواد التي استعملت في التحنيط، أما عن نهاية قصة ذلك الثري العربي الذي جاءني عارضًا مبالغ طائلة من المال للحصول على الزئبق الأحمر الذي اعتقد أنني أمتلكه في مكتبي، فكنت أطالع الصحف ذات يوم حينما وقعت عيناي على خبر أن أحد النصابين طلب من أحد الأثرياء



العرب مبلغ 27 مليون دولار للحصول على سائل الزئبق الأحمر، ولكي يعاين هذا الثري فقط الزئبق الأحمر كان عليه دفع مبلغ خمسة ملايين دولار، وعندما قامت الشرطة بالقبض على نصاب الزئبق الأحمر اختلق قصة غريبة حيث ادعى أنه على صلة بشخص يعمل في صحراء الجيزة ويقوم بالحفر خلسة واستطاع أن يكشف عن الزئبق الأحمر داخل المومياوات التي عثر عليها داخل مقبرة بعيدة عن رجال الآثار وأن الفراعنة استخدموا هذا الزئبق للعلاج من سيطرة الجان على الإنسان، واستخدموه في الحصول على الكنوز والثروات إلى آخر هذا الكلام المعروف.. وقيدت القضية جنحة نصب في قسم شرطة إمبابة، ولم تنشر الصحف اسم هذه الشخصية المهمة، ولكن واضح جداً أنه الشخص نفسه الذي كتبت عنه من قبل.

إن قصص النصب عديدة، ومنها تلك التي حدثت بسبب خرافة الزئبق الأحمر، ولقد كان من أطرفها أن أحد الأثرياء وقع ضحية نصب من بعض الأشخاص الأفارقة، أوهموه أنهم في استطاعتهم أن يحولوا الورق الأبيض إلى دولارات عن طريق الجن بعد أن يسيطروا عليه ويسخروه، وكانت النتيجة الطبيعية أن فقد هذا الرجل أموالاً طائلة وذهب يبكي إلى الشرطة التي كان عليها أن تبحث عن هؤلاء النصابين لإنقاذ أناس آخرين على الرغم من أننا جميعًا نعلم أن القانون لا يحمي المغفلين.


متحف التحنيط - بالاقصر

حقيقة الزئبق الأحمر

لم يكن غريبًا أن يعتقد البعض أن لديّ قنينة بداخلها الزئبق الأحمر، وسبب ذلك هو ما ذكرناه من قبل عن اكتشافي لـ «وادي المومياوات الذهبية» بالواحات البحرية، وقد استغل المحتالون هذا الكشف لينشروا بين الناس خرافة الزئبق الأحمر ليقع بعضهم فريسة سهلة يبيعون لهم الوهم ويستنزفون أموال هؤلاء الضعفاء سواء من الطامعين في الثراء الفاحش أو الباحثين عن الشفاء، وهؤلاء على استعداد أن يتعلقوا بالقشة لكي يتم لهم ما أرادوا، والغريب أن هناك البعض ممن لديه المال الكثير والصحة، ولكنهم شغوفون بعالم الخيال والسحر، وعلى استعداد لدفع الأموال الطائلة فقط لاختبار هذا العالم.

وهنا يتبادر إلى ذهني موضوع على درجة بالغة من الأهمية، فلقد دفعت قصص الوهم المواطنين الذين يعيشون بمنطقة الوادي الجديد بصحراء مصر الغربية إلى البحث عن مومياوات العصر المتأخر والموجودة في كل مكان وبالآلاف، فكانوا يخرجون ليلاً ويحملون هذه المومياوات خفية على عرباتهم ويقومون بتمزيق لفائفها ويفصلون رءوسها بحثًا عن الزئبق الأحمر في حناجرها، ولم يكن أي إنسان أو باحث يعرف سبب ما يحدث للمومياوات حتى عرفنا بعد ذلك انتشار خرافة الزئبق الأحمر، وأنها السبب فيما يحدث من تدمير لأجساد هؤلاء الذين ماتوا منذ أكثر من ألفي عام. والغريب أن هناك قلة من الأثريين الذين كشفوا عن مومياوات العصر المتأخر والتي كانت توضع عليها وبين لفائفها أعداد كبيرة من التمائم المختلفة الأشكال، وكذلك الخواتم المصنوعة من المعادن النفيسة كالذهب والأحجار نصف الكريمة، وأيضًا الخناجر الذهبية والتي وجدت على بعض منها خاصة لأفراد من الطبقة العليا الغنية، وفي بعض الأحيان يصل عدد ما يترك على المومياء من تمائم إلى المائة وترجع إلى عصر الأسرة الـ 26 أي منذ حوالي 2500 سنة تقريبًا. وضع المصريون القدماء هذه التمائم على المومياوات لكي تساعدهم في الوصول إلى العالم الآخر، وتوفر لهم الحماية السحرية أثناء سلوك دروب هذا العالم الغامض، ومقابلة الإله «أوزوريس» إله العالم الآخر. كذلك كانت الحلي التي تترك على المومياوات هي من المقتنيات الشخصية لأصحابها،



والذين رغبوا في التزود بها في العالم الآخر.

والسؤال الآن: ما حقيقة الزئبق الأحمر؟ وهل هناك بالفعل ما يسمى بالزئبق الأحمر؟!

بالفعل يوجد نوعان من الزئبق الأحمر: الأول يصنع في روسيا وكازاخستان، وهو عبارة عن بودرة حمراء معدنية تستخدم في عمليات الانشطار النووي، وبالتالي تدخل في تصنيع الطاقة النووية والقنابل شديدة الانفجار، وتحمل هذه البودرة مادة مشعة تباع بملايين الدولارات في السوق السوداء بعد تهريبها من المعامل والمفاعلات النووية على أيدي المافيا العالمية.. هذا فعلاً موضوع حقيقي يشير إلى وجود ما يعرف باسم الزئبق الأحمر، ولكن هذا النوع ليس له صلة بتحضير الجان أو بشفاء المرضى. ومن الناحية العلمية نعرف أيضًا أن الزئبق الأحمر الحقيقي يستخرج من الذهب، وذلك عن طريق تعريض خام الذهب إلى الإشعاع، وبعد ذلك ينشط المعدن ويستخرج منه ما يعرف باسم الزئبق الأحمر المشع وقد أشار د. فاضل محمد علي رئيس قسم الفيزياء الإشعاعية والنووية بجامعة القاهرة إلى أن كثافة الزئبق الأحمر تتراوح ما بين 20.2 و22، وهي أعلى كثافة من الذهب أو الزئبق الأبيض؛ لذلك فلا يوجد إلا في حالة مشعة..

والحقيقة أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، بدأ التجار والمافيا في تهريب الزئبق الأحمر إلى بعض الدول التي تستعمله في التفجيرات النووية. وهذا الزئبق لا يصنع من أي مادة غير الذهب.. ولكن الزئبق المصري الذي ظهرت خرافته وانتشرت بين الناس هو قصة تصلح بالفعل لصنع فيلم سينمائي شائق.



المومياوات الذهبية المكتشفة بالواحات البحرية



زئبق أحمر مصري.. تمرة !

لا يمكن للعقل أن يصدق ما انتشر من قصص حول الزئبق الأحمر المصري إضافة إلى الشائعات المنتشرة بين الناس بشكل لم يحدث من قبل، ولا أعرف سبب قيام بعض المرضى بإطلاق الشائعات، ويقولون إن الزئبق المصري ليس له مثيل في أي مكان، وهو زئبق روحاني لم يصنعه غير السحرة من كهنة الآلهة عند قدماء المصريين، وهؤلاء السحرة استطاعوا أن يسخروا هذا السائل لعمل المعجزات التي لا يستطيع فعلها غير الجان؛ ولذلك أرادوا أن يحفظوه بعيداً عن أيدي العامة من الشعب، فكان أن وضعوه في حناجر المومياوات وأصبح مرصوداً بالجان لحمايته إلا ممن يعرف السر الفرعوني..

ويضيف العارفون ببواطن الأمور أن الكاهن الأكبر للإله والذي يمثل الفرعون نفسه هو الذي يعرف السر ولا أحد غيره، ولذلك يقوم وهو داخل قدس الأقداس بالمعبد بوضع الزئبق الأحمر داخل بيضة مصنوعة من خشب الأبنوس أو سن الفيل أو الألباستر، وصغيرة الحجم جداً وتشبه التمرة، ولكي يستطيع الكاهن الأكبر إخفاء السائل داخل هذه التمرة كان عليه أن يستعين بالجان لكي يقوموا بعمل ثقب صغير داخلها وضخ السائل إلى داخل هذه البيضة أو التمرة. أما الكمية التي توضع بالداخل فقد تم تحديدها بحيث وصلت إلى ثلاثة جرامات وثلث الجرام من الزئبق الأحمر الروماني.. أما كيفية إحضار السائل فقد كان المصريون القدماء يذهبون إلى الصحراء الغربية والشرقية مستدلين بالنجوم، وكانوا بارعين في معرفة أسرار الكون، وبالذات الكاهن الأكبر والمساعدون له من الكهنة، وقد توارث الكهنة هذا السر ولم يسرُّوا به إلى أحد، وحافظوا عليه داخل صدورهم.. أما هذه التمرة أو البلحة فلقد اعتبرها المصريون القدماء أثمن وأغلى شيء، وهي التي تحتوي على الزئبق الأحمر، واعتبر أعظم أسرار السحر عند الفراعنة؛ ولذلك وضعوه في أغلى مكان لا يصل إليه بشر، وهو حنجرة الملك، وهذا يعطي القوة السحرية للفرعون التي تمكنه من تسخير الجان وإخضاعهم لسطوته وتنفيذ أوامره، ويقولون إن هذا هو سر تفسير لعنة الفراعنة لأن من يريد معرفة هذا السر أو الحصول عليه يموت فوراً بفعل السحر الذي رصده الفراعنة... هذا ما سمعته من أحد المثقفين



الذين يعملون بالسياحة ويحكي القصة، ولا يمكن لأي أحد أن يكذبه، ولكن لم أستطع الصبر، وكان صديقي الكاتب الكبير أنيس منصور حاضراً هذه المناقشات، وقلت إنني فتحت توابيت مغلقة منذ آلاف السنين، وبحثت داخلها، ولم يكن قد مس هذه التوابيت بشر من قبلي منذ آلاف السنين، وقد قمت بفتحها وتصويرها وفحص المومياوات الموجودة بها بالأشعة المقطعية وغيرها، ولم أر في حياتي أي بلحة أو بيضة داخل حناجر المومياوات التي لم يكن عليها سوى التمائم والحلي الثمينة التي أراد صاحب المومياء أو صاحبتها التزين بها في العالم الآخر، وكانت التمائم المختلفة هي وسيلتهم السحرية في الوصول بأمان إلى العالم الآخر دون أن تعترضهم الأرواح والكائنات الشريرة الموجودة به.



الزئبق الأحمر وتوليد الدولارات

كنت أعتقد أن قصة الزئبق الأحمر قد انتهت بعد كتابة مقالاتي الأخيرة، ولكني وجدت خلال استضافتي بالصالون الثقافي بدار الأوبرا أن هناك العديد من الأسئلة التي وصلت لي عن الزئبق الأحمر، بل وأيضًا خلال بعض الأحاديث التي أدليت بها لبعض المحطات الفضائية، ولكن حدثت أخيرًا مفاجأة مثيرة قد لا يصدقها أحد.. ولكن وقائع هذه القصة الغريبة حدثت في قرية شبرا شهاب بمحافظة القليوبية.. وقد انتشر بين الأهالي أن هناك ساحرًا من الكاميرون يقوم بتوليد الدولارات عن طريق استخدام الزئبق الأحمر.. وقد ذهب لمقابلة الساحر بعض شباب القرية الذين يحلمون بالثراء السريع دون أي عمل أو جهد، وقد استطاعوا أن يجمعوا ألف دولار بعد أن باعوا ما لديهم، وقابلوا الساحر الكاميروني داخل أحد فنادق القاهرة، وقام الساحر بدعوتهم للعشاء وطلب كفتة وكبابًا وحصل منهم بعد ذلك على مبلغ الألف دولار الذي يأخذه قبل أن يولد الدولارات عن طريق الزئبق الأحمر.. وحكى الشباب الثلاثة أن الساحر وضع الدولارات ولصق بكل ورق ورقة أخرى بنفس حجم الدولار الأصلي وقام بوضعها في الماء، وبعد ذلك يقوم بوضع مادة حمراء على الماء أوهمهم أنها الزئبق الأحمر، وبعد ثوان تحولت الورقة البيضاء إلى مائة دولار وسط ذهول الشباب.. وقد سلم الساحر بعد هذه التجربة الشباب الثلاثة ألفي دولار، وطلب منهم أن يذهبوا إلى محل صرافة ليحولوا الدولارات إلى أي عملة أخرى لكي يتأكدوا أن هذه الدولارات صحيحة وليست مزيفة، وفعلاً حولوا الألفي دولار إلى جنيهات مصرية وهم لا يصدقون ما يحدث.. وبهذا استطاع الساحر أن يجعل الشباب على يقين أن الزئبق الأحمر يولد الدولارات وذهبوا إلى القرية ليحكوا القصة لكل من يقابلهم، واستطاعوا تجميع نصف مليون جنيه حولوها إلى دولارات بعد أن باع هؤلاء المخدوعون كل ما لديهم.



وجاء الساحر إليهم في منزلهم وقام بنفس العملية السابقة ولكنه كان يأمرهم بوضع الأوراق المولودة داخل أكياس بلاستيك وعدم فتحها إلا بعد 12 يومًا نظرًا لكبر حجم كمية الدولارات، وبعد ذلك انصرف الساحر وطبعًا كان معه الدولارات الحقيقية. وبعد المدة المحددة فتح الرجال الأكياس المغلقة ولم يجدوا غير ورق أبيض ملون، وصدمتهم المفاجأة وسقطوا فاقدي الوعي.. وظلوا يقلبون الأوراق الملونة باللون الأحمر يمينًا وشمالاً لعلهم يجدون أي بصيص أمل، وللأسف أيقنوا أنهم ضحية نصاب عالمي استطاع أن ينصب هذه المرة على بعض المصريين الذين اخترعوا أسطورة الزئبق الأحمر، وأصبح هذا الموضوع حديث أهالي القرية وعلى المقاهي وفي كل مكان.. وهؤلاء الشباب الذين خدعهم الساحر الكاميروني سقطوا ضحية الطمع الذي أفقدهم كل ما يملكون من أراضٍ وأموال، بل إنهم كانوا قد جمعوا بعض هذا المال من معارفهم وأصدقائهم بالقرية، وأصبحوا بذلك مدينين برد هذه الأموال، ولم يفلحوا بالطبع في العثور على ذلك النصاب الكاميروني الذي اختفى تمامًا، ومن المؤكد أنه سيظهر في مكان آخر ليمارس هوايته في النصب على ضعاف النفوس... هذا هو الزئبق الأحمر الجديد الذي يولد الدولارات.



الجن.. والزئبق الأحمر

لايزال هناك العديد ممن يعتقدون في وجود الزئبق الأحمر الذي عن طريقه يمكن تحضير الجان الذي يعشق هذا المركَّب السحري المسمى بالزئبق الأحمر، ويقال إنه لا غنى عنه للجان لحاجتهم إليه في تجديد حيويتهم!

وقد وصلتني رسائل عديدة من بعض القراء منها رسالة من السيد/ بدر المزين من الكويت، وكذلك رسالة من السيد/ محسن محمد مهدي دومة من المملكة العربية السعودية يقول في رسالته أو تعليقه على ما كتبت أن عدد الناس الذين سيسألونني عن الزئبق الأحمر سيزيد على ما سبق قبل كتابة مقالاتي ويقول أيضًا: «هذا ليس تكذيبًا لما قلته سيدي بأنه لا يوجد هذا الزئبق الأحمر، وإن وجد فليس له علاقة بشفاء الأمراض وعمل الخوارق والمعجزات. ولكن بعض الناس يا سيدي يلجئون إلى الوهم للعجز وقلة الحيلة، وإلا بم تفسر انتشار ظاهرة المشايخ النصابين والدجالين في وطننا العربي أكثر من انتشار محال الكشري في مصر؟! المجتمع يحتاج إلى صحوة علمية وإعمال المنطق في كل الأمور، وتسليم الأمر لله في النهاية، ولكن لا حياة لمن تنادي، وأنا أكاد أجزم يا دكتور زاهي أن عدد المتصلين بك سيزداد وسيسألون عن الزئبق الأحمر، وكان الله في عونك، وإن كان عندك فعلاً زئبق أحمر فلا تبخل علينا، ودعنا نحل الخلافات الفلسطينية الفلسطينية أو به نقهر الإسرائيليين، أو لنجعله يدلنا على سر القنبلة الذرية، أو ليدلنا على الغيبيات لأننا في أشد الاحتياج لذلك، لله الأمر من قبل ومن بعد». ورسالة أخرى من حسن كونبرجي Hassan Kunbargi من الولايات المتحدة يقول: «الزئبق الأحمر حقيقة ويمكن شراؤه بسهولة؛ وهو عبارة عن خليط من عدة مركبات زئبقية وأشياء معدنية، وليس من الذهب كما تفضلتم» وأخرى من الجيولوجي محمد شاكر محمد صالح من السعودية حيث يقول: «حقيقة الزئبق الأحمر توضح حقيقة أخرى وهي أن كثيرًا من الناس على الرغم من أننا في عصر العلم والتقدم الحضاري المذهل في شتى المجالات مازالت تفكر بطريقة بدائية وأيضًا توضح أن الشرق هو الوحيد



الذي يحظى بمثل هذا النوع من التفكير الحياتي البعيد عن الواقع العلمي الصحيح.. حيث إن قصصك التي ترويها لم نجد إنسانًا غربيًّا يسعى إلى البحث عن هذا الوهم الذي يشفي من الكثير من الأمراض ويعيد الشباب والذي يسميه البعض الزئبق الأحمر، وهذا يدل على أن الإنسان الغربي أكثر فهمًا لما يحدث في العالم في شتى المجالات عن الإنسان الشرقي الذي غالبًا ما تتحكم فيه الخرافات والخيالات والخزعبلات».

إنني أتفق تمامًا أن عدد الأشخاص الذين يسألونني عن الزئبق الأحمر قد زاد بالفعل، بل إن بعضهم يؤمن أنني أمتلك قنينة بداخلها ذلك السائل السحري المسمى بالزئبق الأحمر، وقد كتبنا عن قصة الساحر الكاميروني والزئبق الأحمر الذي يولد الدولارات.. كثيرة هي الأسباب التي جعلت شعوبنا تحب أن تعيش في عالم الوهم والخيال ومما لاشك فيه أنه أكثر إثارة وجمالاً من الواقع، لكنه واجبي أن أكتب محذرًا وموضحًا حقائق عديدة قد تنقذ كثيراً من الناس قبل الوقوع ضحية الوهم.. وبذلك نغلق الحديث عن الزئبق الأحمر.



الفصل السادس

آثار وشخصيات

سوزان مبارك



السيدة الفاضلة سوزان مبارك



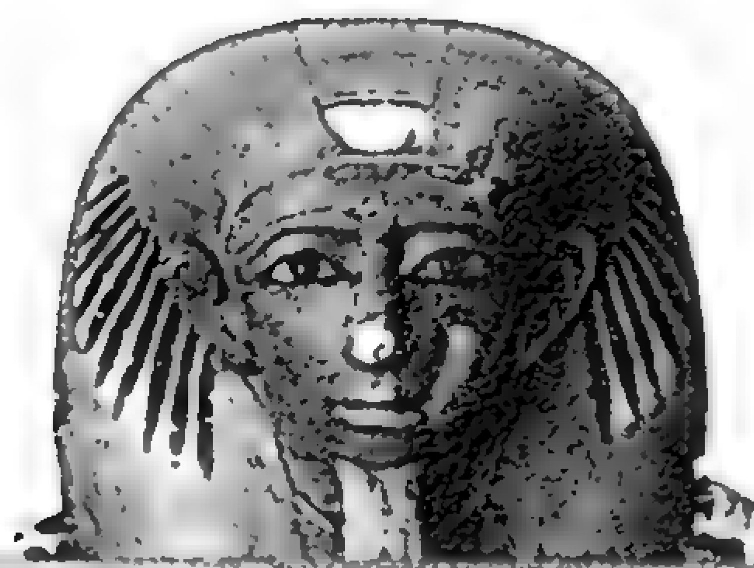
كان حضور السيدة سوزان مبارك افتتاح معرض الفرعون الذهبي «توت عنخ آمون» حدثًا مهمًا في العاصمة البريطانية لندن، حضر الافتتاح كل من الأمير تشارلز وزوجته كاميلا ووفد مصري من كبار الشخصيات الثقافية، وقد كان من المخطط أن تستغرق مراسم الافتتاح نصف الساعة فقط ولكن الذي حدث أن سحر آثار ملك مصر الصغير وعائلته جعل الجميع لا يشعرون بمرور الوقت، وأخذت السيدة سوزان مبارك في شرح بعض آثار الملك «توت» للأمير وزوجته، وقد أنساني بريق ذهب الفراعنة وجمال وروعة أعمال الفن المصري القديم الزمن المحدد للزيارة فأخذت في الاستفاضة في شرح قصة الكشف عن مقبرة الملك «توت» وما حدث قبل وأثناء وبعد الكشف عن المقبرة الملكية الوحيدة بوادي الملوك، والتي وجدت كاملة.

عندما شرفتُ بتكليف السيدة سوزان مبارك لي العمل في مشروع متحف سوزان مبارك للطفل وجدت نفسي أمام شخصية فريدة تدرك تمامًا مدى ما يمكن أن تقدمه للطفل والمرأة العربية فكان اهتمامها الشخصي بمشروعات النهوض بالمرأة والطفل وتحسين وضعيهما على المستويات كافة والتي يأتي في مقدمتها الوضع الثقافي للمرأة والطفل العربي، فكان عملها النابع من إيمان عميق من القلب ومتابعة جيدة لوضع المرأة والطفل في العالم العربي له أطيب الأثر في نفوس الغرب. إن دعوة السيدة سوزان مبارك من أجل تقدم المرأة المصرية والعربية ودعوتها للسلام وما يمكن أن تقدمه المرأة العربية من أجل أن يعمُّ السلام يجب أن تجد منا جميعًا كل مساندة وتأييد باعتبارها قضايا جوهرية.

وفي لندن حضرت ثلاثة أحداث للسيدة سوزان مبارك: الأول كان داخل المتحف البريطاني، حيث أقيم حفل رفيع المستوى حضره حوالي 300 شخصية سياسية وثقافية من جنسيات مختلفة، وكان الغرض من الحفل جمع تبرعات لبناء متحف سوزان مبارك للطفل، والذي يتم تشييده بالمجهود الذاتي وبإشراف كامل من السيدة سوزان مبارك. ويشرف على

تصميم وبناء المتحف مهندس معماري إنجليزي من المعروفين في هذا المجال، ويقوم متحف إنديانابوليس للطفل بأمريكا بعمل التصميم الداخلي للمتحف. وكانت كلمة السيدة سوزان مبارك قوية وواضحة تؤكد الاهتمام بالطفل ورعايته لبناء إنسان المستقبل. وإلى جواري كانت تجلس رئيسة مجلس اللوردات التي دعتني لحضور الحدث الثاني وهو الكلمة التي ألقتها السيدة سوزان مبارك بمجلس اللوردات وهي رسالة واضحة دون تكليف وبلغة إنجليزية راقية عن وضع المرأة المصرية وما تقوم به مصر من أجل النهوض بوضع المرأة والطفل. وكان الحوار بعد الكلمة مع الحاضرين حوارًا من القلب، وكانت إجابات السيدة سوزان مبارك عن أسئلة الحضور شافية وصريحة، كما كانت الأسئلة تدور حول موضوعات عدة مختلفة منها المطالبة بأن تكون المرأة رئيسة للجمهورية في مصر.

أما الحدث الثالث فكان زيارة المتاحف الإنجليزية التي تعرض للطفل وذلك في محاولة لتقييم ما وصل إليه الغرب من خبرة وتقنية يمكن الاستفادة منها في مشروع متحف سوزان مبارك للطفل، والذي سيصبح متحفًا مميزًا في الشرق الأوسط.. كلمة حق واجبة في زمن نركز فيه على الأشياء القاتمة ونتغاضى كثيرًا عن الإيجابيات.





المؤلف يقوم بالشرح للسيدة باربرا بوش والسيدة الفاضلة سوزان مبارك بالمتحف المصري

أحمد رجب.. فارس الزمن الجميل



حوار باسم بين المؤلف وأحمد رجب

جمعتني مائدة عشاء منذ أيام قليلة مع صديقي العزيز الكاتب الكبير أحمد رجب، فوجدته شاردًا منعزلاً بفكره عما يحدث حوله وكأنه في عالم آخر، وأعتقد أنه ربما يكون في حالة تفكير عميق في «½ كلمة» جديدة يمتعنا بها كل صباح عندما نطالع جريدة الأخبار، لم أشأ أن أقطع عليه تفكيره وانتظرت قليلاً ثم همست له في أذنه متسائلاً عن حاله، وتلقيت أغرب إجابة يمكن أن أتوقعها؛ حيث قال لي إنه ظل يبكي لأكثر من ساعة اليوم، وسألته مندهشًا عن السبب، فقال لي: «كده من غير سبب».. سبحان الله! الكاتب الكبير الذي يكتب يوميًا «½ كلمة» يقرؤها كل مصري كل صباح ليبدأ يومه بضحكة على حالنا وواقعنا، وفي بعض الأحيان تكون هذه الضحكة والابتسامة بديلاً عن البكاء على حالنا وعلى ما آلت إليه أمور كثيرة في دنيانا والمفارقات المريرة التي لا يمكن لكاتب أن يستخلص منها جانب الفكاهة سوى أحمد



رجب الذي أرى أنه يكتب ويعبر عما يريد كل منا كتابته؛ ولذلك يستحق منا أن نمنحه وسام «لسان الغلابة» بكل اقتدار.

كانت أول مقابلة بيني وبين أحمد رجب في حفل زفاف منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، وبمجرد تبادل كلمات قليلة معه تشعر كما لو كنت تعرفه منذ زمنٍ بعيد، وأعتبر نفسي محظوظًا بصداقة هذا العملاق البسيط جدًا، وهذه البساطة هي مصدر قوته. وعلى الرغم من تكريس وقته كله في القراءة والكتابة فإنك تجده معك في كل وقت تحتاج فيه إلى صديق ليقف بجانبك. والمعروف عن أحمد رجب أنه زبون دائم وموجود بصفة مستمرة بمكتب النائب العام للتحقيق معه في الشكاوى التي تقدم بها ضده شخصيات هاجمها أحمد رجب بقلمه في «½ كلمة» والتي أعتبرها أصعب أنواع الكتابات على الإطلاق وهو أن تختصر ما يمكن أن تكتبه في كتاب في بضع كلمات في حجم «½ كلمة» أحمد رجب. والطريف أنني أحيانًا أجده يحدثني هاتفيًا ليقول لي إنه لا يزال يبحث عن ربع كلمة ليكمل بها «½ كلمة» الغد.

أصبحت شخصيات أحمد رجب التي أبدعها مع ريشة العملاق مصطفى حسين جزءًا من حياتنا اليومية، بل من واقع مجتمعنا وما يفرزه من شخصيات أمثال «عبده مشتاق» الذي يحلم بكرسي الوزارة عند سماع أي خبر عن تغيير وزاري في الطريق، و«فلاح كفر الهنادوة» الذي عبر عن شخصية المصري البسيط الذي يبوح بمشاكله بكل صراحة ودون تجميل وبرضاء جميل إلى رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية، وشخصية «قاسم السمّاوي» هذا الحاسد بعبارته الشهيرة «جتنا نيلة في حظنا الهباب». أما شخصية «عزيز بيه الأليت» فهو حكاية مصرية طريفة لا تقل وزنًا عن شخصية «كمبورة» هذا الانتهازي الذي كَوَّن ثروته مستغلاً سياسات الانفتاح غير المنظم في عصره.

وفي عيد الحب تجد أحمد رجب يمسك سماعة الهاتف ليقول لكل من يعرفهم، خاصة هؤلاء الذين اختلفوا معه: «كل سنة وأنت طيب»، وقد تعلمت منه شيئًا مهمًا جدًا، وهو ألا تهاجم فارسًا عندما يسقط عن جواده.. وقد هاجم شخصيات مهمة جدًا، وعندما تترك المنصب لا تجد كلمة واحدة يكتبها ضده .. ومن لا يعرفه يتصور أنه «عزيز بيه الأليت»، لكنه شخص متواضع جدًا وبسيط، وله قلب طفل.. ولن تجد شخصية مصرية يجتمع الناس على حبها مثل شخصية أحمد رجب؛ فارس الزمن الجميل.

نفرتيتي سعيدة في ألمانيا!



رأس الملكة نفرتيتي

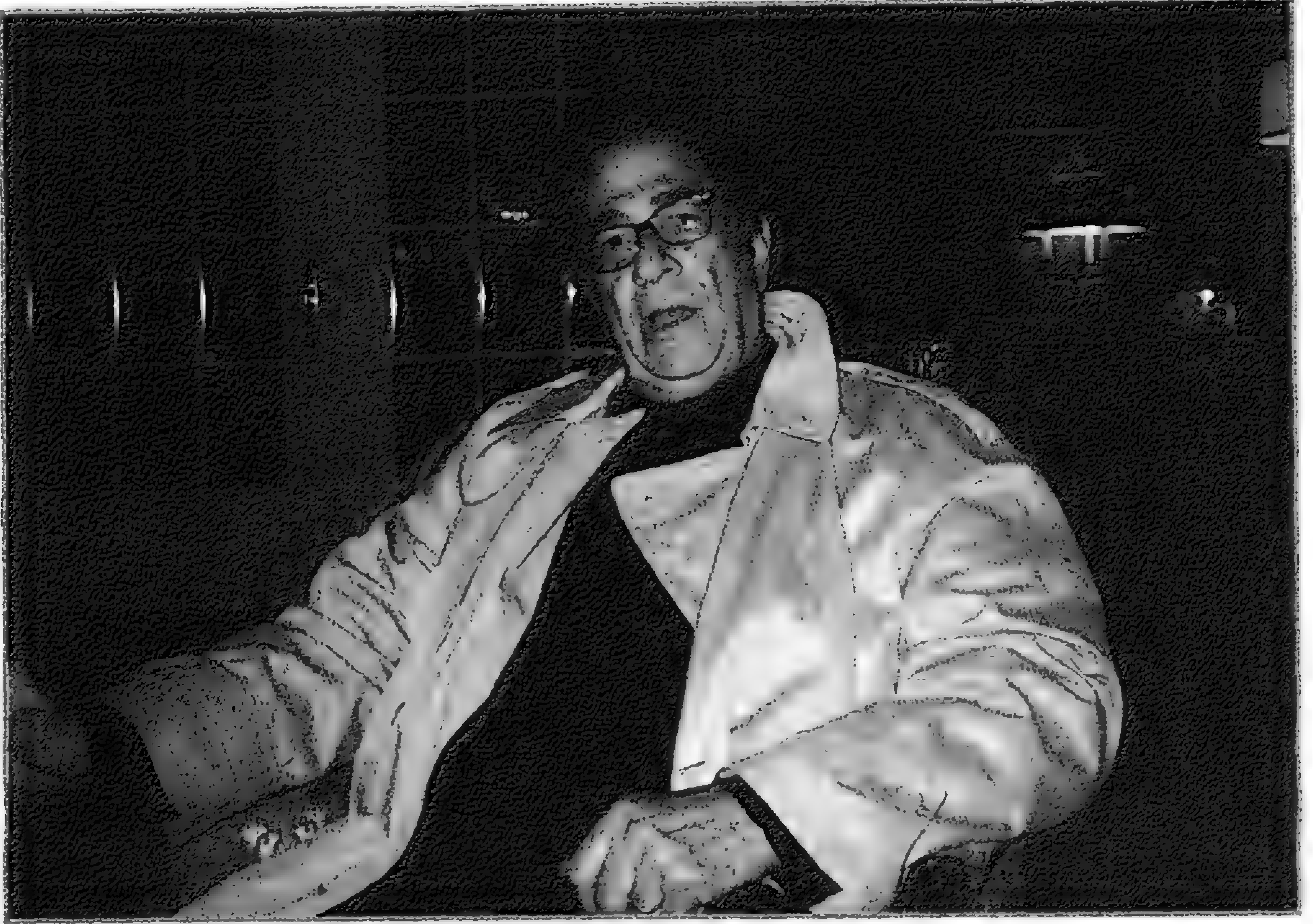
لم أتمالك نفسي من الضحك وأنا أقرأ عمود صديقي الكاتب الكبير أنيس منصور في جريدة «الأهرام»، فـ «مواقف» أنيس منصور هي أول ما أطالعه كل صباح، وكلماته المباشرة في موضوع عودة رأس «نفرتيتي» والآثار الفرعونية إلى مصر تعكس خوفه وقلقه على مستقبل آثارنا الموجودة على أرض مصر. وقد ذكرني ما جاء في عموده بحديثه معي متسائلاً: «يا أخي عايز ترجع نفرتيتي ليه؟!.. هي الملكة مبسوطة جدًا في ألمانيا وسعيدة والناس بتتفرج عليها من كل مكان، وعايشة في سلام مع الألمان، يقدمون لها الطاعة والاحترام.. عايز تجيبها مصر ليه؟! علشان يعلو رأسها التراب داخل متحف ضلمة؟!».

وفي الحقيقة كنت أتفق مع أنيس منصور على أن متاحفنا ومناطق الآثار في بلادنا تحتاج إلى نهضة شاملة تليق بمكانتها بوصفها تراثًا حضاريًا لا مثيل له. أما بالنسبة لعودة الآثار فكانت حجتي دائمًا أن الرجل الفقير الذي رزق بعشرة من الأبناء لا يمكن أن يتنازل عن ابن منهم لأحد الأغنياء على الرغم من فقره. وكنت دائمًا أقول لأنيس إن مصر كلها آثار وكلها حضارة وسوف يأتي اليوم الذي نقيم فيه متاحف ترقى إلى أن تكون بيوتًا لهذه الآثار، فما



يكون منه إلا أن يقول: «يا أخي بطل فلسفة وسيب الملكة الجميلة نفرتيتي في برلين..»، وكان هذا الكلام تحديًا أمامي للنهوض وتطوير المتاحف المصرية؛ ولذلك فهناك 19 متحفًا جديدًا يتم بناؤها الآن داخل القاهرة فقط، وهناك المتحف المصري الكبير وهو مشروع نعمل فيه بكل جد ليصبح مشروع مصر القومي في الألفية الثالثة، ولن ينافسه أي متحف آخر في العالم؛ حيث سيعرض داخله أكثر من مائة ألف قطعة أثرية، وتستخدم فيه أحدث تكنولوجيا العرض والإضاءة التي ستصمم له على وجه الخصوص، بالإضافة إلى متحف الحضارة والذي سيعرض تاريخ مصر على مر عصورها منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى ثورة يوليو 1952م، هذا إلى جانب متاحف قومية وأخرى نوعية. وحدث أن طلبت من أنيس منصور زيارة متحف الإسكندرية القومي، أو متحف الأقصر، أو متحف النوبة؛ لكي يرى جمال المتاحف المصرية، وقمت بدعوته في استراحة سقارة لكي يشاهد المتحف الموقعي الجميل الذي بُني عند مدخل المنطقة الأثرية ويعرض تاريخ الاكتشافات الأثرية بسقارة، وهو متحف جميل لا يوجد له مثيل في أي مكان آخر في العالم. فالوضع الآن قد تغير كثيرًا والملكة الجميلة «نفرتيتي» سوف تعيش بين أهلها مكرمة، وسيلتف حول رأسها الجميل أطفالنا الصغار ويزورها تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات ليروا عظمة حضارتهم. أحلم بأن أرى «نفرتيتي» بجوار زوجها «إخناتون» داخل المتحف الذي يفتتح قريبًا باسمه في المنيا بالقرب من تل العمارنة؛ المدينة التي بناها «إخناتون» وعاش فيها بجوار «نفرتيتي» وبناتهما الست. لقد أصبح الرجل الفقير غنيًا الآن ويستطيع أن يجمع حوله أبناءه المغتربين. لقد جمعتني وأنيس دعوة على الإفطار في رمضان الماضي على مائدة الخبير السياحي عمرو بدر، وأخبرني الكاتب الكبير أنه كان في مقابلة مع السيدة جيهان السادات وتطرق الحديث إلى ما كتبه مهاجمًا مطالبتي بعودة «نفرتيتي» إلى مصر، وردت عليه السيدة جيهان: «لماذا يا أنيس هذا الهجوم على صديقك د. زاهي؟ ويضحك الكاتب الكبير قائلاً: لن أتراجع إلا بعد أن يكف زاهي حواس عن المطالبة بعودة الملكة من ألمانيا!» فهل ستزور الملكة الجميلة «نفرتيتي» أنيس منصور في منامه وتجعله يغير رأيه؟ هذا ما سوف تكشف عنه الأيام.

أنيس منصور



الكاتب المبدع أنيس منصور

اتصلت بصديقي أنيس منصور لكي أسأله عما إذا كانت الملكة الجميلة «نفرتيتي» قد زارته في منامه أم لا؟ وأجابني بقوله: «ليه يا أخي؟!»، وأضاف: «أنا والله تعبان وأتألم بعدما سقطت على قدمي»، وهنا قلت له: «يظهر أن نفرتيتي زارتك بالفعل يا أنيس بيه»؛ لأن الملكة الجميلة التي تريدها أن تظل إلى الأبد بألمانيا ولا تعود إلى مصر، قالت لي إنها غاضبة منك جداً؛ وإنها تشتاق إلى العودة إلى مصر بعدما سرقها الألماني بورخارد عام 1912م، وأخرجها من الأرض التي كانت في يوم من الأيام ملكة عليها، وإذا كانت عودتها إلى مصر بصفة دائمة أمرًا مستحيلاً (وأنا لا أؤمن بوجود المستحيل)، فليس أقل من أن يسمح لها بزيارة متحف «إخناتون» بمحافظة المنيا لتكون بجوار زوجها الملك



«إخناتون» عند افتتاح المتحف بعد عامين من الآن.

تذكرت -وأنا أتحدث إلى صديقي الكاتب الكبير- ذلك اللقاء التلفزيوني في رمضان الماضي مع المذيعة اللامعة عزة مصطفى، ودار الحديث عن أنيس منصور، وذكرت أنني لم أستطع حضور حفل عيد ميلاده، وأنني أتمنى له أن يعيش أكثر من مائة عام في صحة وسلام، وهي أمنية كل الفراعنة التي سجلوها على آثارهم، ولكني طالبت بأن يكف أنيس منصور عن المطالبة ببقاء الآثار المصرية في متاحف أوروبا وأمريكا؛ وأنذرته ممازحًا بعواقب لعنة الفراعنة. وذلك أن أنيس منصور هو الكاتب المصري الوحيد الذي ألف كتابًا رائعًا عن لعنة الفراعنة، وحكى لنا قصصًا مثيرة وشيقة عن الحوادث التي تعرض لها علماء الآثار وفُسرت على أنها لعنة الفراعنة! وقد حدث أن نشر في عموده «مواقف» عن ظهور مرض جلدي على جسم كمال الملاخ، وقال إن زاهي حواس يدخل المقابر المظلمة والسراديب والأنفاق، وأنه يخاف عليَّ من لعنة الفراعنة. وفوجئت بابني شريف يوقظني من النوم مبكرًا ومعه جريدة «الأهرام» وكان في غاية الانزعاج مما كتبه أنيس منصور من أنني سوف أنال نصيبي من لعنة الفراعنة، وعندما سمعت هذا الكلام لم أتمالك نفسي من الضحك. وتذكرت أول حادثة كان أنيس منصور وكمال الملاخ -مكتشف مراكب الشمس عام 1954م- بطليْها؛ حيث كان الاثنان يتناولان طعام الغداء بأحد مطاعم القاهرة حينما اتصل بكمال الملاخ رئيس الحفائر ويدعى جرس يني ليخبره بالكشف عن مركب الملك «خوفو» الذي أطلق عليه فيما بعد كمال الملاخ التسمية الشهيرة «مركب الشمس»، وكان كمال الملاخ في ذلك الوقت هو الأثري والمهندس المعماري المسئول عن إجراء التنظيفات حول هرم «خوفو»، والتي كانت تُجرى على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز بعد زيارته منطقة الأهرامات وإعجابه بعظمة علوم الفراعنة في الهندسة والفلك. المهم أن كمال الملاخ انطلق وأنيس منصور بسيارة الأخير إلى منطقة الهرم، وفي منتصف الطريق انفجر موتور السيارة. بعدها ظل أنيس منصور يجمع القصص والحكايات عن الأحداث التي ارتبطت في أذهان الناس بلعنة الفراعنة، والسحر الذي تركه الفراعنة في مقابرهم ومعابدهم. وما حدث لأنيس منصور واحدة من الحوادث التي أصابت بعضًا ممن عمل في حقل الآثار، لعل أشهرهم اللورد كارنارفون ممول حفائر مقبرة الفرعون الذهبي «توت عنخ آمون»، والذي مات نتيجة لسعة بعوضة أصابته بتسمم في الدم بعد أسابيع قليلة من الكشف عن مقبرة الفرعون الذهبي.. أتمنى أن يراجع أنيس منصور نفسه ويكف عن تمسكه بعدم عودة آثارنا إلى مصر.. وحذارِ من الفراعنة يا كاتب مصر الكبير!

فاروق الباز



د.فاروق الباز لحظة تكريمه في يوم التراث العالمي

احتفلنا في شهر إبريل الماضي بيوم التراث العالمي وهو احتفال يقام في الدول التي توجد بها مواقع أثرية تحت حماية اليونسكو ويتم وضع هذه المواقع ضمن قائمة التراث العالمي. وقد بدأنا نحتفل بهذا اليوم منذ حوالي أربع سنوات وفي هذا اليوم نقوم باختيار منطقة أثرية من مناطق التراث العالمي ونلقي عليها الضوء من أعمال الترميم التي تتم بالموقع وكذلك الاكتشافات الأثرية التي تتم داخل هذا الموقع. وقد تم من قبل اختيار الجيزة وسقارة، وهذا العام تم اختيار سيناء ودير سانت كاترين وأخميم. وقد كان الاحتفال داخل قاعة مفتوحة بالمتحف القبطي الذي تم تطويره وأصبح من أهم المتاحف الذي يُعْرَضُ داخله قطعٌ فريدة من الفن القبطي.



ونقوم كل عام باختيار إحدى الشخصيات التي لعبت دورًا مهمًا في سبيل حماية التراث العالمي وقد بدأنا بتكريم فاروق حسني ليس بصفته وزيرًا للثقافة ولكن لمواقفه لحماية تراث مصر حيث وجدناه يضحي بمنصبه كوزير ويقف موقفًا معارضًا لوصلة الطريق الدائري التي كانت تهدد الأهرامات، بالإضافة إلى دوره في تعديل وصلة الطريق الغربي الذي كان سوف يمر على منطقة أبيدوس الأثرية.

وبعد ذلك تم تكريم د. ثروت عكاشة لدوره في وضع البنية الأساسية للثقافة وإنقاذ آثار أبو سمبل ود. نعمات فؤاد لصوتها العالي في حماية التراث حتى إنها كانت تهاجم وزارة الثقافة في العديد من المشروعات مثل هضبة الأهرام وغيرها، ورغم ذلك وبكل تقدير نقدم لها الميدالية الذهبية اعترافًا بالدور العظيم والرائع. وبعد ذلك تم اختيار د. رشدي سعيد لدوره في حماية النيل وحماية تراث مصر. أما هذا العام فقد اخترنا صديقي الدكتور فاروق الباز وأعتقد أننا كلنا نعرف هذا الاسم ونعرف مدى بساطة هذا الرجل الذي أمضى عمره في أمريكا وتزوج سيدة أمريكية فاضلة ورغم ذلك فلا نجد التواءً في لسانه وهو يتحدث الإنجليزية بل لايزال ابن البلد البار، والذي أحسُّ من تصرفاته أنه لم يخرج من مصر إطلاقًا، وهذا شيء عظيم! هذا بالإضافة إلى أنه عمل في مؤسسة ناسا وكان له دور كبير جدًا في كل الدراسات الجيولوجية واستطاع أن يحفر اسمه في المريخ وتصل شهرته إلى كل مكان سواء في العالم العربي أو الغربي وقد قام بأعمال علمية للآثار عندما رأس فريقًا علميًا لدراسة المركب الثاني الموجود جنوب هرم الملك «خوفو» وغرب الحفرة الأولى وعرفوا أن هناك حشرات تمشي على الأخشاب عندما فتحت حفرة المركب خطأ فدخلت إليها الحشرات، وتلوث الهواء القديم بالهواء الحديث ويعمل الآن على تشكيل فريق علمي لنقل المركب الحالي إلى متحف خاص داخل المتحف المصري الكبير. وقد عرفت فاروق الباز منذ عام 1977 عندما قابلته لأول مرة بمتحف السميثونيان، ولا أنسى عندما زارني فاروق الباز منذ سنوات ليقدم لي CD ويقول لي إنه تم اختيار اسمي ليوضع في أسطوانة مدمجة CD يتم إلقاؤها على سطح المريخ. فاروق الباز شخصية علمية مميزة يصعب تكرارها في هذا الزمن الصعب؛ ولذلك نقدم له وبكل الاحترام وسام الحب والتقدير في يوم التراث العالمي.

بينظير بوتو



السيدة بينظير بوتو

اغتيلت بينظير بوتو وهي في وطنها ووسط أهلها ومؤيديها، فما الرسالة التي أراد من اغتالوها توصيلها إلى الشعب الباكستاني؟! لقد جمعني أكثر من لقاء ومناسبة بالسيدة بينظير بوتو، ولي أصدقاء على صلة وطيدة بها، ويُجمع الكل على أن هذه السيدة كانت تتمتع بالذكاء الحاد والشجاعة النادرة، وملء قلبها حب كبير لوطنها، وكانت على صلة جميلة بكل أصدقائها وأبناء وطنها حتى وإن اختلفوا معها؛ ولذلك أحبها الجميع. التقيتها أول مرة عام 2002، وكان هذا اللقاء في لندن قد نظمته الأكاديمية الأمريكية للأبحاث وهي تدعو حوالي 30 شخصية لها تأثير عالمي سواء في الفن أو السياسة للالتقاء بحوالى 500 شاب من المتفوقين في العالم كله، وتقوم هذه الشخصيات المختارة بالحديث إلى هؤلاء الشباب عن تجارب الفشل والنجاح في حياتهم وكيف استطاعوا أن يصلوا إلى العالمية، وكان ضمن المدعوين معي العالم المصري د. أحمد زويل وخمس شخصيات أخرى من

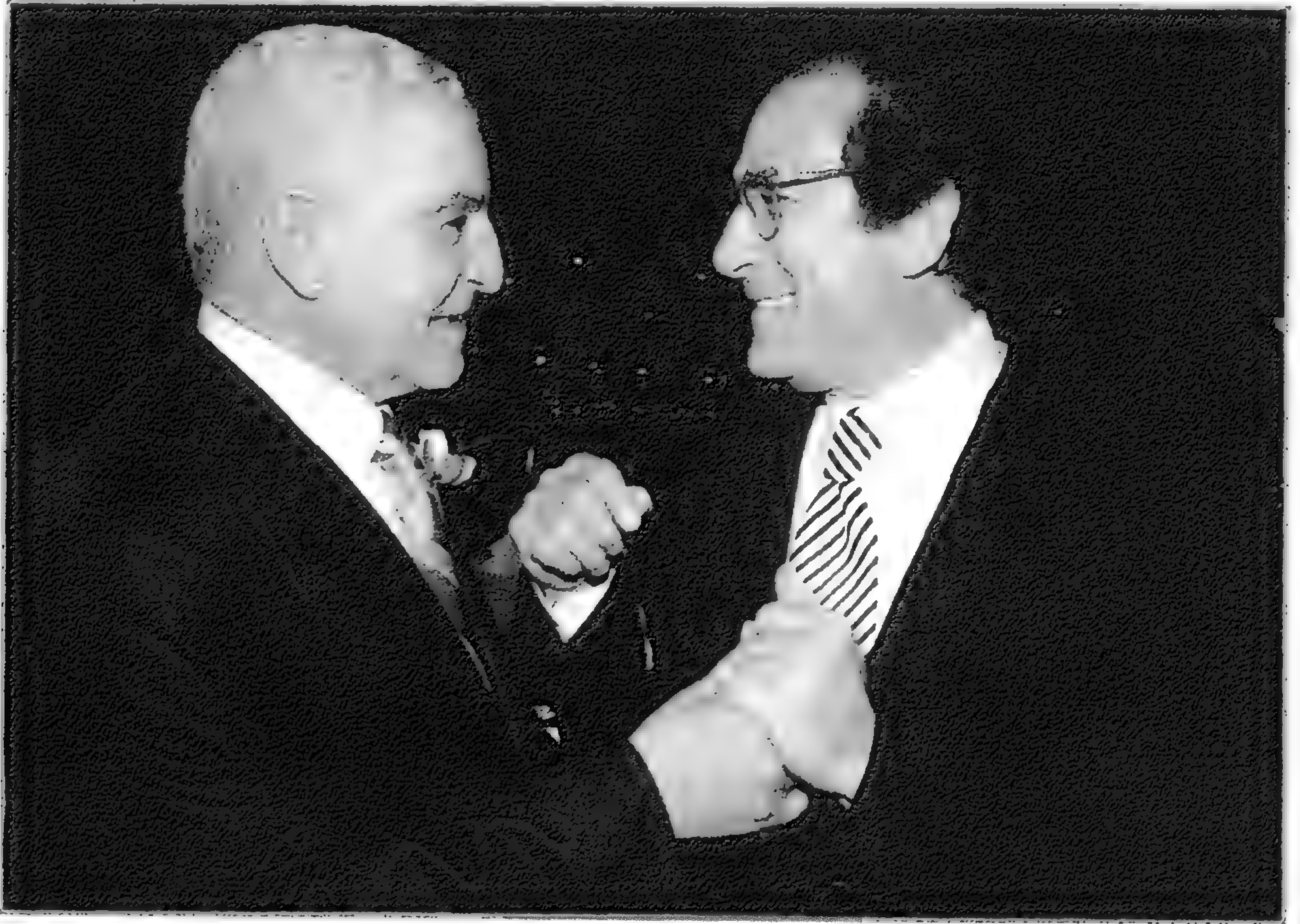


الحاصلين على جائزة نوبل، بالإضافة إلى المشاهير مثل: جورباتشوف، وصوفيا لورين، ورالف فايس الذي مثل الدور الأول في الفيلم المعروف المريض الإنجليزي English Patient والعديد من الشخصيات الأخرى وبينظير بوتو. وكنا نعقد لقاء مع الطلاب ونشرح لهم بعض إنجازاتنا وتجاربنا في الحياة. وعندما تحدثت بينظير بوتو قالت إنها ارتكبت خطأين في حياتها، الأول هو أنها كانت لديها فرصة كبيرة لأن تقيم السلام بين باكستان والهند وللأسف لم تأخذ بهذه الفرصة واستمرت الحرب بين شعب واحد وهو شعب القارة الهندية – الهند وباكستان – وقالت إنها نادمة على عدم استغلال هذه الفرصة. أما الخطأ الثاني فهو اختيار زوجها.. وهذا الاختيار جعلها تخسر الكثير سياسيًا، وكان الجميع ينصتون إليها وهي تتحدث بكل صدق، وفي اليوم الأخير أقيم احتفال جميل داخل أحد قصور لندن القديمة وقامت الممثلة المشهورة أوليڤيا هابلاند، والتي قامت بالدور الثاني في الفيلم الشهير «ذهب مع الريح» مع ڤيڤيان لي وكلارك جيبل، بتقديم المشاهير بصوت جميل، وبعد ذلك قدموا لنا الدرع الذهبية تقديرًا لكل عالم أو فنان أو سياسي حضر هذا الحفل الرائع الذي لن أنساه أبدًا وخصوصًا لقائي بالمناضلة البارعة بينظير بوتو.

وعندما سافرت إلى مدينة Laketahoe بولاية نيفادا لإلقاء محاضرة لأصدقاء نانسي بنز وجدت أن المدعوة الأولى التي جاءت إلى المدينة السيدة جيهان السادات، وفي عام 2004 حضرت بينظير بوتو إلى المدينة ولم تتسع مدرجات الجامعة للحضور؛ ولذلك أقاموا لها خيمة في فناء الجامعة حضر فيه حوالي ألف مدعو وتحدثت عن نضالها وعن تمنياتها لمستقبل باكستان. وقامت صداقة قوية بين نانسي بنز وبينظير بوتو حتى إن نانسي كانت تتكلم دائمًا معنا عن صديقتها بينظير بوتو ونسخت صورًا لها وأرسلتها إلى كل من كان يعرفها وأنا واحد منهم. وكانت كل صورها تظهرها بالطرحة الجميلة البيضاء ونظارتها الجميلة التي كانت تعطي لها نظرة طيبة للمناضلة الجميلة التي أحبها أهل باكستان بل أحبها الملايين في كل مكان.

وهكذا الإنسان دائمًا يذهب إلى أقداره كما تأتي الأقدار دائمًا إلى الإنسان؛ فقد فضلت بوتو أن تعود إلى بلادها للمشاركة الفاعلة في الحياة السياسية. ورغم تحذيرات الأمن الباكستاني من وجود مخاطر على حياتها إذا ما قامت بمسيرات ومؤتمرات سياسية، ورغم نجاتها من محاولة اغتيال راح ضحيتها أكثر من مائة وثلاثين شخصًا فإنها أصرت رغم التحذيرات على الذهاب لأقدارها.

لوحات فاروق حسني في تكساس



المؤلف مع الوزير الفنان فاروق حسني

يتهم بعض المثقفين فاروق حسني بأن لوحاته الفنية قد اشتهرت نظرًا لوضعه باعتباره وزيراً للثقافة، ولكن في الحقيقة يعد هذا اتهامًا ظالمًا تمامًا؛ فقد حضرت افتتاح معرضه منذ حوالي ستة شهور بمتحف الفن بمدينة فورت لودرديل بولاية فلوريدا وأخيراً نقل المعرض إلى متحف الفنون الجميلة بمدينة هيوستن بولاية تكساس.

وعندما وصلنا إلى الفندق الذي نقيم فيه وجدنا دعاية داخل المجلات بالغرف بعنوان «فاروق حسني وطاقة إبداع الفن التشكيلي».. وعندما وصلنا إلى المتحف ودخلنا لنشاهد هذه اللوحات أحسست بأن اختيار الألوان والموضوعات جعل النقاد يشيدون بالفنان المصري الذي استطاع أن



يخرج من المحلية إلى العالمية لأول مرة حتى طلب المتحف الذي عرضت فيه هذه اللوحات بفلوريدا أن يقتني لوحة لكي توضع داخل المتحف وفي الوقت نفسه طلب متحف هيوستن أن يعرض لوحة أخرى ليصبح أول فنان مصري تعرض لوحاته بصفة دائمة داخل المتاحف العالمية.. وقد وجدنا أن هناك العديد من المهتمين بالفن التشكيلي يحضرون حفل الافتتاح، ولكن المفاجأة هي حضور العديد من النقاد والصحفيين ومندوبي الإذاعة والتلفزيون لتغطية هذا الحدث المهم. وقد حدث اهتمام شخصي مني لهذا المعرض لأنني أحضر افتتاح العديد من المعارض الأثرية بأمريكا وأرى الحضور الطاغي لمعرفة آثار الفراعنة وكيف أنهم غزوا قلوب الشعب الأمريكي، ولكن في هذه المرة أرى أحد أحفاد الفراعنة يقف أمام المثقفين ويلقي كلمة عن المعرض ويتحدث للإعلام عن تأثير البحر ومدينة الإسكندرية على نشأته الفنية وقد وجدت معلقًا تلفزيونيًا من مدينة دالاس يحضر لتغطية المعرض ويُقيم حديثًا طويلًا مع فاروق حسني يدل على اهتمام الإعلام الأجنبي بمثقفينا وفنانينا. وقد أشاد مدير المتحف بالمعرض وبالفنان فاروق حسني ولم يشر الكثيرون إلى كونه وزيرًا؛ لأن كونه فنانًا طغى على وظيفته كوزير وقد أسعده هذا تمامًا حتى إن إحدى الصحف كتبت عن معرض الفنان فاروق حسني وزير الثقافة السابق، وهذا يؤكد اهتمام الصحف به كفنان بالدرجة الأولى، وقد حضر الافتتاح من واشنطن السفير نبيل فهمي سفير مصر بأمريكا وقد وقفت ألقي كلمة عن المعرض وعن معرفتي بفاروق حسني باعتباره فنانًا وطلبت من السفير نبيل فهمي أن يلقي كلمة وخصوصًا أنه ينهي فترة مهمة من عمله سفيرًا لمصر بأمريكا بعد ثماني سنوات من العمل المضني في ظل تلك الظروف. كان وجود فنان مصريٍ يلتقي المثقفين والفنانين من مختلف الجنسيات بمدينة هيوستن حدثًا فنيًا مهمًا يؤكد أن للفن لغة عالمية يجتمع حولها الجميع، وأن الفنان رسول يحمل رسالة حب وسلام لكل شعوب العالم بعيدًا عن السياسات والحكومات.

واستمر المعرض داخل المتحف حتى أكتوبر 2008 وبعد ذلك نُقِل إلى باريس ليعرض داخل متحف معهد العالم العربي.. لقد كانت عبارات الترحيب واستقبال النقاد وطريقة عرض اللوحات بمثابة تكريم دولي لفنان في وزن فاروق حسني، وأسعدني أن أراه مبتسمًا مرحبًا بضيوف معرضه الذي هو في وجهة نظري خير دعاية له لكي يحصل على منصب مدير اليونسكو لكي يقدم الكثير لتراثنا الحضاري الإنساني لقد كانت حالة حب وامتنان لفنان مصري حفيد حضارة عظيمة قامت على أرض مصر منذ أكثر من خمسة آلاف سنة.

وزير بلا حراسة



الدكتور محمود محيي الدين وزير الاستثمار المصري

استطاع محمود محيي الدين وزير الاستثمار المصري أن يثبت للجميع أنه وزير من طراز خاص، مميز في عمله، جريء في أفكاره ومشاريعه وبعيداً عن تواضعه ورفضه القاطع وجود حراسة ترافقه في أي مكان يذهب إليه إلا أنه تعرض في الآونة الأخيرة لهجوم واسع من قطاع عريض من الناس والسبب هو ما تم الإعلان عنه من اتجاه الدولة نحو تمليك كل المصريين ممن بلغوا سن الحادية والعشرين أسهمًا في شركات القطاع العام المملوك للدولة!

وأعتقد أن انفجار الأزمة جاء نتيجة سببين رئيسيين، أولهما: سياسي وهو انعدام الثقة بين الشعب



والحكومة، وفي هذا الشأن من الطريف أن نعلم أن هذه الأزمة كانت دومًا موجودة منذ نشأة نظام الدولة في العصور القديمة. ففي العصر الفرعوني، ومنذ أكثر من 4000 عام قامت ثورة عارمة في مصر القديمة انتقد فيها الملك شخصيًا وحُمِّل أسباب الأوضاع الاقتصادية المتردية، ومنذ حوالي 3200 عام قامت ثورات في دير المدينة بالبر الغربي بالأقصر واشتكى الثوار من عدم وصول شكواهم إلى الوزير المسئول وطالبوا بحضوره شخصيًا للاستماع إليهم وإصلاح أوضاعهم الاقتصادية التي جعلتهم على حافة المجاعة. وعلى مر العصور قلما حدث توافق بين الناس وحكوماتهم وهو أمر طبيعي وصحي، بل مطلوب أحيانًا حتى يكون الناس عيونًا على الحكومة وأول المحاسبين لها. أما السبب الثاني فهو اقتصادي بسبب الأزمة المالية الحالية وانهيار البورصات العالمية... فأن تخرج علينا الصحف تحمل خبر تمليك أسهم القطاع العام لكل مصري بالغ هو أمر في منتهى الأهمية، وكان يجب على الحكومة والحزب الحاكم دراسته من جميع الأوجه وطرحه للمناقشة من خلال كل المتخصصين في كل المجالات حتى يكون الأمر واضحًا للجميع وأن يتفهم الناس السبب من وراء هذا القرار، وأنه ليس مجرد تهدئة لمخاوف الناس من جراء أزمة اقتصادية لم تظهر نتائجها إلى الآن، وإنما هو مشروع للمستقبل وأن يكون كل مصري مسئولاً في عمله عن نجاح أو فشل اقتصاد بلده الذي هو يملك جزءًا منه.

نريد حلقات نقاش موسعة وضوابط تضمن أن يتمسك كل فرد بما يملكه من أسهم ولا يتنازل عنها لأي سمسار وإلا لذهبت هذه الأسهم بأبخس الأثمان إلى أيدي سماسرة أشبههم بالمرابي اليهودي في رائعة شكسبير «تاجر البندقية».

إننا في أمس الحاجة إلى مشاريع تهدف إلى بناء مستقبل أفضل لأبناء وطننا وليتنا نعي التجربة الكويتية التي جاءت لتقتطع جزءًا من حصيلة بيع البترول واستثماره في مشروعات لصالح الأجيال القادمة. أعتقد أن على السيد جمال مبارك وصديقي الدكتور محمود محيي الدين دعوة كل المثقفين والشخصيات العامة المعروفة للناس وأهل الثقة لديهم لكي يقوموا بمناقشة هذا المشروع أولاً وشرحه للناس من خلال وسائل الإعلام المختلفة والندوات. إن هناك طرقًا عديدة لإعادة الثقة بين الشعب والحكومة أولاها إصلاح أوضاعهم الاقتصادية ثم زرع الأمل داخلهم في مستقبل أفضل لهم ولأبنائهم.

هل يحنط الفايد جثمانه؟



محمد الفايد

نشرت بعض الصحف مقالات عن المليونير المصري محمد الفايد بعنوان ملياردير مصري يوصي بعد مماته بتحنيط جسمه واستخدامه عقرب ساعة. وقد نشر هذا الخبر على لسان بيل ميتشل المهندس المعماري الذي يعمل لدى محمد الفايد الذي أكد أنه اتخذ القرار لكي يصبح جزءًا مهمًا من أجزاء متاجر هارولدز بعد وفاته.. وقد أبدى ميتشل إعجابه بهذا المشروع وأنه سوف يكون ممتعًا بالنسبة له شخصيًا وأنه بسبب استخدام عقارب الساعة العملاقة التي تزين هارولدز يود الفايد أن يبقى في حركة دائمة مع الزمن لسنوات طويلة بعد وفاته، وقد نشر على لسان ميتشل: «صحيح أن هذه الفكرة تبدو جامحة ومجنونة بعض الشيء إلا أنه من المعروف عن السيد الفايد أنه يحب الاستعراض ويعشق

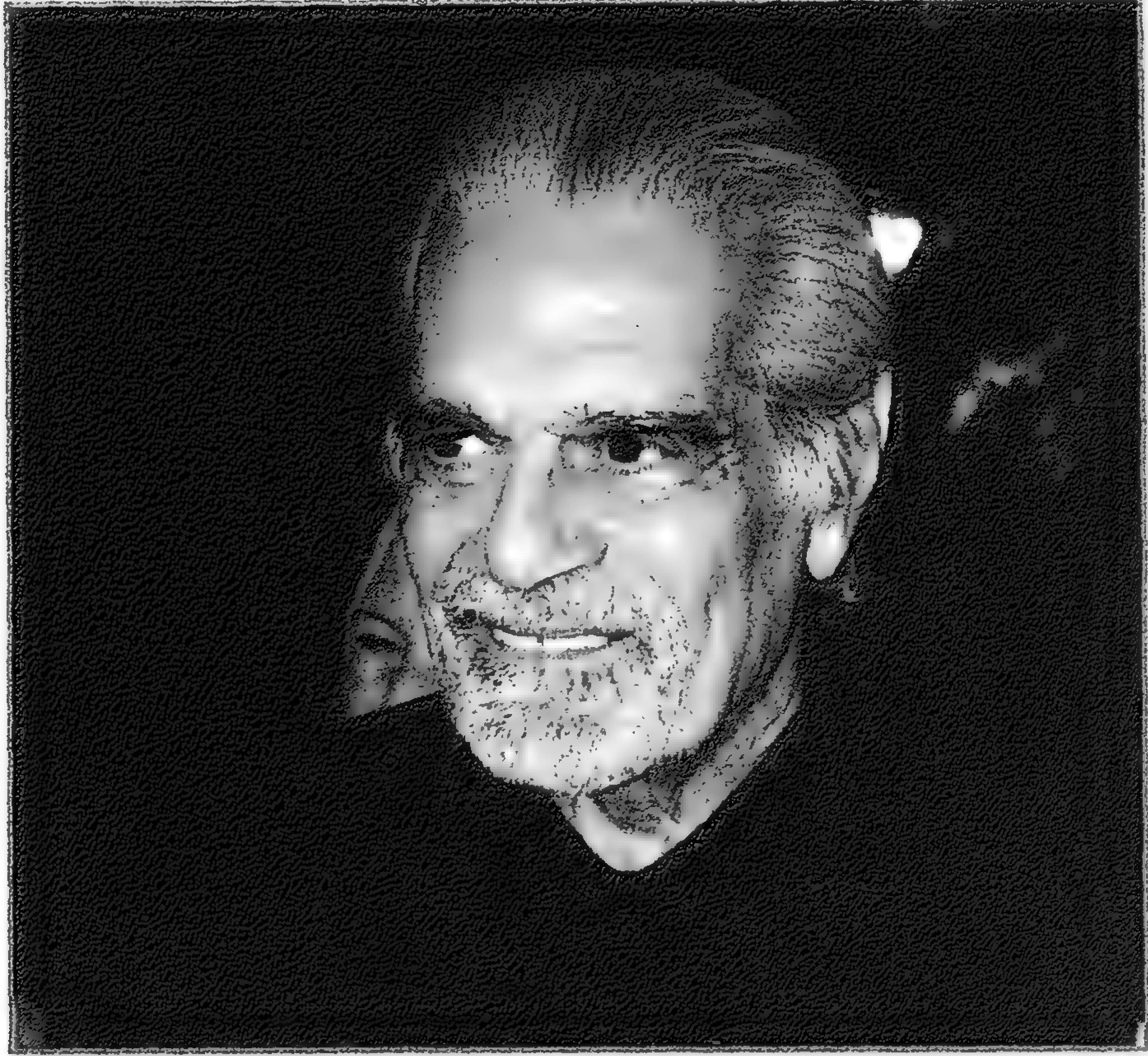


مثل هذه التعليقات....».

وقد صادقت صلاح الفايد شقيق محمد الفايد ولم أحظ بمقابلة محمد الفايد إلا عندما جاء إلى مصر هو وأسرته لأول مرة بعد غياب سنوات طويلة وقد طلب مني مقابلة صديقي الكاتب الكبير سمير رجب، والذي يعتبر من أكثر المصريين قربًا من الفايد. وقد قابلته هو وأسرته بالمتحف المصري وأهديت له بعضًا من كتبي الجديدة ورحبت به ترحيبًا حارًا، وفي المساء ذهبت إلى الفندق الذي يقيم فيه لمقابلته. وعندما ذهبت إلى لندن للإعلان عن معرض «توت عنخ آمون» الذي أقيم في نوفمبر 2008 تقابلت على الغداء مع محمد الفايد في مطعم هارولدز وقد كنت سعيدًا أن أرى العديد من المصريين يعملون معه عكس ما يكتب عنه. وبعد أن تناولنا الغداء أخذني في جولة داخل المتجر وهناك شاهدت عشقه للفراعنة وكيف أنه يصور نفسه فرعونًا مصريًا، وهذا في رأيي ليس جنونًا بل هو ارتباط وعشق بحضارته، وأنه يثبت للإنجليز أنه ابن حضارة عمرها خمسة آلاف عام وهذا شيء طبيعي بعد الحرب الشرسة التي تعرض لها في إنجلترا وإيمانه العميق بأن الأسرة المالكة لها يد في قتل ابنه دودي؛ ولذلك لم أفاجأ عندما علمت بأنه يود أن يحنط جثمانه ويدفن في المتجر الذي يحمل اسمه في لندن. وقد اتصل بي منذ فترة بسيطة يطلب عرض بعض القطع الأثرية التي سوف تعرض في لندن داخل هارولدز وقد شرحت له استحالة الاستجابة لهذا الطلب لأن الآثار المصرية تعرض فقط داخل المتاحف ولا تعرض داخل المتاجر وأن هذا طلب مستحيل وطلبت منه أن يحضر افتتاح معرض «توت عنخ آمون» في لندن الذي سوف يعتبر من أهم الأحداث الثقافية وخصوصًا أن الملك الذهبي لم يزر لندن منذ 35 عامًا.

وهناك جمعية في أمريكا تقوم بالتحنيط على النظام الفرعوني وقد قامت بعمل إعلانات في كل مكان لكي يقوم بالحجز من يريد أن يحنط جثته وقد قام العديد بحجز أماكن حتى الآن لكي يصبحوا فراعنة. ومن المعروف أن كل خطوات التحنيط أصبحت معروفة لدينا حتى الآن وأن هناك بطة محنطة مازالت موجودة منذ خمسين عامًا. ولا أعتقد أن طلب تحنيط الفايد تقليعة أو فكرة مجنونة؛ فهو يود أن يظل اسمه رمزًا لفرعونيته ورمزًا لرفضه الأسرة المالكة.. سوف يظل محمد الفايد حيًا أو ميتًا صداعًا في رأس العديد من الإنجليز.

عمر الشريف



الفنان الكبير عمر الشريف

سعدت بحضور عيد ميلاد صديقي الفنان العالمي عمر الشريف، وقد احتفل به هذا العام بڤيلا ابنه طارق بمنطقة القطامية، ودُعي إلى الحفل العديد من الفنانين وأصدقاء عمر المقربين وكان الاحتفال ببلوغه 75 عامًا، حقق خلالها العديد من النجاحات في أفلام كثيرة بهوليوود منها: «لورانس العرب»، و«دكتور زيفاجو» وغيرهما من الأعمال الناجحة. وتذكرت وأنا أنظر إلى عمر وهو يداعب ضيوفه كعادته أول مرة تقابلنا فيها وكانت في عام 1977 عندما قررت شركة إنتاج أمريكية عمل فيلم تسجيلي يذاع على الهواء مباشرة من منطقة أهرامات الجيزة باسم «أسرار الأهرامات»، وحدثت في ذلك الوقت مشكلة عجيبة تسبب فيها أحد المصريين المقيمين في كندا، والذي استطاع بطريقة ما أن



يشتري حق البث على الهواء من الهرم، وكذلك حق تسجيل ما يذاع من منطقة الهرم، وبدأ في مساومة الأمريكان الذين لم يجدوا أمامهم غير أن يسجلوا البرنامج من القاهرة، ويتم إذاعته على الهواء مباشرة من قلعة اللورد كارنارفون بإنجلترا. وما حدث خلال ذلك يحتاج إلى تحليل لنعرف كيف أن هناك تحايلاً على القانون وشراء ضمائر وتوقيع عقود وهمية. هل نتصور ما كان من الممكن أن تكسبه مصر من إذاعة برنامج على الهواء مباشرة في وقت لم يكن هناك انتشار للقنوات الفضائية! وكان التلفزيون المصري هو الوحيد الذي له حق البث على الهواء من مصر..

بعد ذلك تقابلت وعمر الشريف في العديد من المناسبات سواء بمصر أو خارج مصر، ووجدت فيه العديد من الصفات الجميلة التي أحبها في أي إنسان، وهي الصدق والصراحة بالإضافة إلى دقة المواعيد والالتزام، وكان هناك العديد من الشخصيات الشهيرة التي تجمعنا معًا. وعندما قررت الناشيونال چيوجرافيك عمل أول فيلم I-Max عن مصر، طلبت منهم أن يكون عمر بطل هذا الفيلم ويقوم فيه بدور الجد الذي يشرح لحفيدته الإنجليزية عظمة مصر ونيلها وآثارها عندما جاءت تزورها لأول مرة. وعُرض الفيلم في كل مكان بالعالم، وكنت أعلق عليه في العديد من المدن العالمية، ونال الفيلم المرتبة الأولى في المشاهدة – سابقًا في ذلك فيلم «حرب النجوم».

وعندما سافرت لافتتاح معرض الآثار المصرية بلوس أنجلوس تابعت القصة الشهيرة التي تناولتها الصحف عن أن عمر تشاجر مع سايس أمريكي من أصل مكسيكي أمام أحد المطاعم الشهيرة وقام الرجل برفع قضية أمام المحاكم الأمريكية ضد عمر الشريف. وفي الحقيقة، وكنت شاهد عيان، عمر بريء، وأن ما حدث هو قصة اختلقها هذا المكسيكي الذي أعطاه عمر 20 يورو بقشيشًا، وطبعًا لم ير هذا الرجل يورو في حياته؛ ولذلك رماها على الأرض. وكل ما فعله عمر أن نعته بالغباء ولم يضربه، وكان معي أكثر من ضيف أمريكي يمكن أن يشهد على ذلك ولكن الصحف أشارت إلى أن عمر الشريف ضرب سايس العربات أمام فندق شهير بلوس أنجلوس.. وهذا هو قدر النجوم..

كان عمر سعيدًا جدًا يوم عيد ميلاده خاصة أن الله قد منَّ عليه بصحة جيدة وأنه يمثل لأول مرة في مسلسل يعرض في رمضان إن شاء الله وسوف يتابعه العالم العربي كله. وفي يوم ميلاده حكى لنا أنه من أشد المعجبين بالشيخ الشعراوي –رحمه الله– وكان يسمع أحاديثه بصفة دائمة حتى إنه قلد لنا الشيخ الشعراوي كصورة طبق الأصل.. حقًا عمر الشريف فنان يصعب تكراره.

عمر الشريف.. حنان وحنين



المؤلف مع الفنان الكبير عمر الشريف وتتوسطهما الفنانة صفية العمري

هي بالفعل متعة كبيرة أن تجلس مع عمر الشريف في المساء وتستمع لحكايات ومغامرات عاشها خلال مشواره الفني العريق، والمتعة ليست فقط في السماع إلى هذا الكم من الأحداث والقصص ولكن أيضًا في رؤية انفعالات عمر الشريف، والذي قد يثور لمجرد أن يبدي أحد الجالسين رأيًا في موضوع يخصه.. وعندما قرر عمر الشريف أن يخوض تجربة مسلسل تلفزيوني يشاهده المصريون خلال شهر رمضان كان سعيداً جداً أنه سوف يقدم للمصريين مسلسلاً يختم به مشواره الفني ويدخل به كل بيت في مصر والعالم العربي.. كان يحلم بهذا المسلسل، وفي البداية عرض المسلسل على



المخرج خيري بشارة ليقوم بإخراجه إلا أنه رفض لإحساسه بأن السيناريو لم يكتب بالطريقة التي تجعله يخرج كمسلسل بطولة فنان في وزن عمر الشريف.. وعلى الجانب الآخر كان عمر مقتنعًا تمامًا بالفنانة إيناس بكر؛ ولذلك فقد كتبت المسلسل وأخرجته في الوقت نفسه.. وهناك تاريخ طويل من العمل الفني بين إيناس بكر وعمر الشريف، فهي التي تقوم بمقابلته يوميًا بعد أن يقوم بالمشي لمدة ساعة ونصف الساعة كل يوم؛ تلك العادة التي تمنحه النشاط والحيوية وتجعله رغم أنه دخل في سن 76 يبدو كأنه شاب مليء بالحيوية والنشاط.. وعندما بدأ في دراسة السيناريو انقطع تمامًا عن أصدقائه وأحبابه ولكنه في الوقت نفسه لم ينس صديق عمره أحمد رمزي وصمم على ضرورة أن يكون معه في المسلسل.. وقبل أن يبدأ التصوير قام التلفزيون المصري ببيع هذا المسلسل إلى كل مكان في العالم العربي، ولذلك فقد حقق إيرادًا خياليًّا وفي الوقت نفسه لم يبع مسلسل «حمادة عزو» نظرًا لأن مسلسل يحيى الفخراني العام الماضي لم يكن على مستوى المسلسلات التي يقدمها هذا الفنان القدير.. وبالطبع حظي مسلسل «حنان وحنين» بدعاية غير عادية؛ لأن البطل هو الفنان عمر الشريف الذي يحبه ويعشقه كل العرب في كل مكان. وعندما عرض المسلسل لم ينجح جماهيريًّا ولكني أنا شخصيًّا كنت حريصًا على متابعته ليس بصفتي صديقًا لعمر ولكن لأن المسلسل كان محترمًا ويخاطب المثقفين وكان واضحًا أن عمر بذل مجهودًا كبيرًا فيه ليس باعتباره فنانًا فقط وإنما في إخراج العمل كذلك حيث ساعد إيناس بكر، والتي كانت التجربة الأولى لها في إخراج مسلسل تلفزيوني.

ومنذ فترة غير بعيدة قابلت عمر الشريف على العشاء مع بعض الأصدقاء وعندما تناولت الحديث عن المسلسل وجدته يثور رغم أنه لم يعرف ما هو الغرض من حديثي عن المسلسل، وقال إن هذا المسلسل يخاطب المثقفين وهذا حقيقي ولكن ما لا يعرفه عمر أنه عاش في العصر الجميل ونسي أن العصر الحالي يريد مسلسلات عن أشياء أخرى غير التي تشغل المثقفين وأن فئة غير قليلة من الناس أصبحت لا تُقبل على أعمال فنية هادفة تدعو لإعمال العقل والفكر وذلك لأسباب كثيرة.. هذا المسلسل يقدم موضوعًا للفن الجميل في وقت غير مرغوب وقد كان هذا رأي فاتن حمامة وابنه طارق ولكن عمر في بعض الأحيان لا يحب أن يسمع رأي أي أحد حتى ولو كان من ناس بيحبوه.. وأنا منهم..

صراحة عمر الشريف



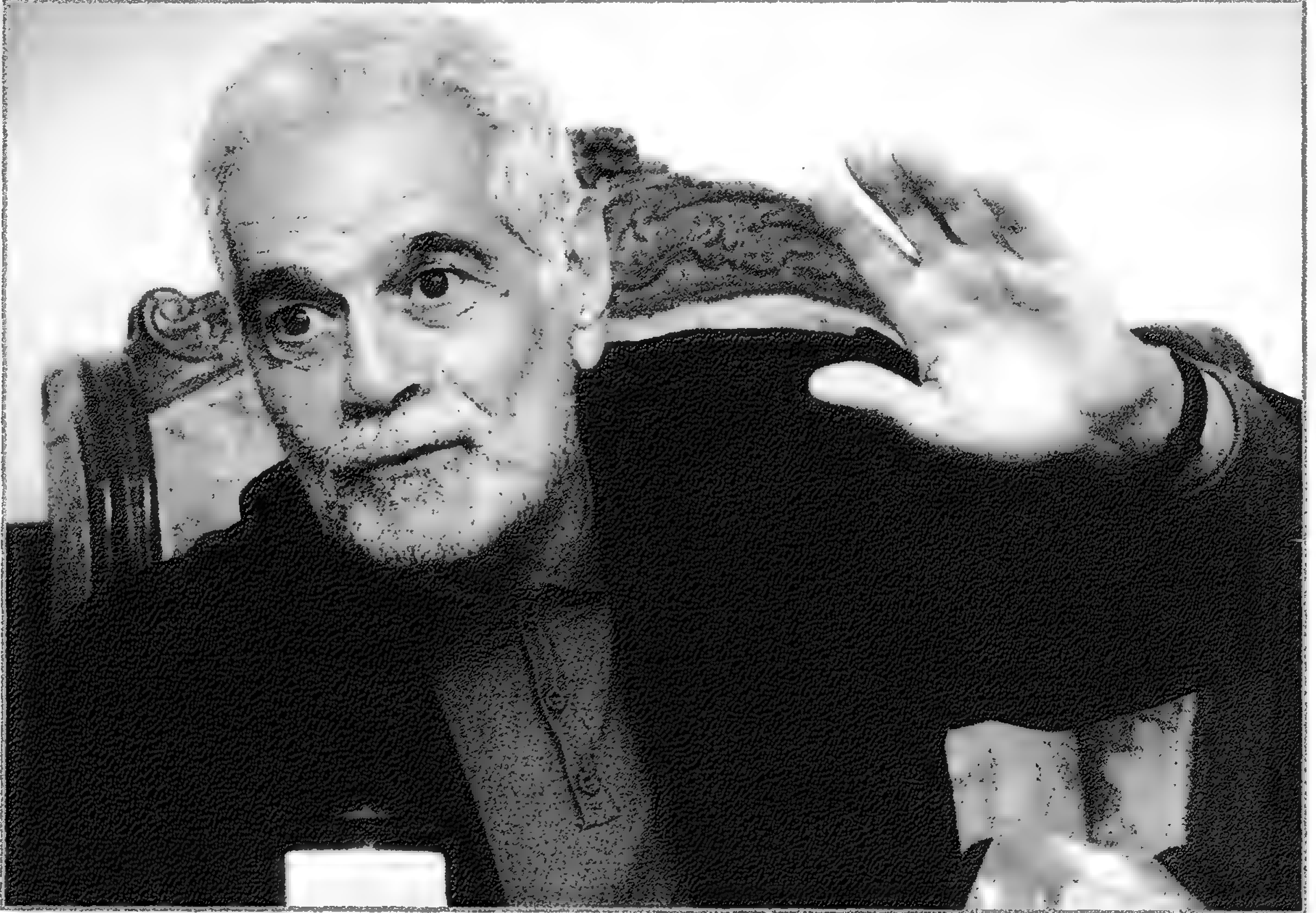
المؤلف مع الفنان الكبير عمر الشريف

يتميز عمر الشريف بأنه رجل صريح جداً طوال الوقت، ولا يكذب إطلاقًا فهو يرى الكذب ضعفًا، والضعف نقيصة تأخذ من احترام الرجل لنفسه ولكرامته، كما أنه منضبط في مواعيده دائمًا حتى ولو كان زحام القاهرة في ذروته، فهو يأتيك في المكان المحدد وفي الموعد المحدد، ويغضب جداً من أولئك الذين لا يحترمون الوقت. هذه بعض من صفات عمر التي جعلتني أفتخر بصداقته وأحمل له كل الحب والتقدير. وحدث عندما وصلت إلى مطار نيويورك منذ بضعة شهور أن وجدت ضابط الجوازات ينظر إليَّ ويبتسم وعندما سألته وأنا واقف أمامه عن سبب ابتسامته؟ قال لي: «أنا سعيد جداً أنني قابلت في أسبوع واحد اثنين من أشهر الشخصيات المصرية» وعرفت منه أن عمر الشريف مر عليه



مثلي قبل أسبوع من وصولي إلى نيويورك وذلك عندما كان يصور مسلسل «حنان وحنين».. وقد جمعني وعمر العديد من الأحداث والمقابلات مع أصدقائنا المقربين من مصر وغيرها من البلدان. وكانت المرة الأولى التي أقابله فيها عندما جاء مخرج فرنسي لإخراج فيلم تسجيلي يذاع على الهواء مباشرة إلى أمريكا من مصر عن الأهرامات وأسرارها، وكان عمر الشريف هو الراوي في هذا الفيلم وكنت، ومعي العالم الأثري الأمريكي مارك لينر، نتحدث معه عن الأهرامات وسرها وغموضها.. وقد حدث من أحد النصابين المصريين وكان يعيش في الخارج أن استطاع عن طريق الاحتيال أن يوقف بث هذا الفيلم على الهواء مباشرة من مصر حيث استطاع وبطريقة ماكرة لا أعرف كيف فعلها إلى الآن، وكيف حصل على عقود مكتوبة من هيئة الآثار في ذلك الوقت؛ تمنحه حق بث الأفلام المسجلة عن الأهرامات إلى الخارج خلال مدة الصيف؟ وفي هذا الوقت لم تكن السماوات قد فتحت مثل الآن؛ ولذلك لم يكن هناك غير التلفزيون المصري يقوم بنقل البرامج على الهواء مباشرة. وقد استطاع هذا الرجل أن يحصل على عقد بأنه صاحب الحق الوحيد في البث على الهواء مباشرة. وكنت في غاية الدهشة ومعي عمر الشريف يتساءل عن كيفية حدوث هذا النصب والاحتيال وفوجئنا بأن النصاب يقوم بابتزاز التلفزيون الأمريكي ومحطة الـ LBC بعدما أطلق شائعة بأنهم قاموا بعمل برامج عن القمامة بالقاهرة، وللأسف الشديد وجد هذا النصاب من يسمعه ويقف معه في مصر، وباءت كل الطرق لتصحيح الموقف بالفشل، ولم يجد منظمو الفيلم التسجيلي حلاً سوى اللجوء إلى قلعة حفيد اللورد كارنارفون الذي موَّل حفائر هيوارد كارتر بوادي الملوك وأدت إلى الكشف عن مقبرة «توت عنخ آمون». وقام منظمو البرنامج بعمل البث المباشر من هذه القلعة، وكان هذا أول فيلم مسجل يذاع عن آثار مصر ولكن للأسف الشديد باع بعض الجهلاء أو خربي الذمة في هيئة الآثار والتلفزيون المصري مصلحة وطنهم إلى هذا النصاب. وكانت صراحة عمر الشريف وخوفه على مصلحة بلده هي التي جعلته يتحدث عما حدث ويشير إلى الفساد الذي تم. وفي اللحظات الأخيرة تدخل فؤاد سلطان -وكان وزيرًا للسياحة في ذلك الوقت- واستطاع أن يعرف ما حدث ويصدر قرارًا بإذاعة البرنامج على الهواء مباشرة ولكن كان الوقت قد فات وكانت المحطة بالفعل قد تعاقدت مع وريث اللورد كارنارفون على بث البرنامج وفي الوقت نفسه لم أوافق على أن أسافر إلى إنجلترا والتواجد بالقلعة لمعرفتي أن الآثار الموجودة داخلها هي بعض ما سرقه اللورد كارنارفون من مصر.

عمر الشريف.. وموقف لن ينساه



الفنان عمر الشريف

دائمًا ما يبحث الناس عن أخبار النجوم وحياتهم وأسرارهم وكثيرًا ما تنتشر الشائعات والقصص الخيالية عن حياة هؤلاء النجوم. والغريب أن الشائعات أصبحت أداة إعلامية يستخدمها بعض منتجي الأعمال الفنية بل بعض النجوم أنفسهم للترويج لأعمالهم قبل ظهورها. والمسألة مع عمر الشريف تختلف تمامًا؛ فهو أحد هؤلاء النجوم الذين يصرون على الاستمتاع بحياتهم وبكل لحظة يعيشونها، ومفهومهم عن الحياة أكبر وأعمق من أن يعيروا للشائعات أي اهتمام. والحديث مع عمر الشريف متعة كبيرة لتعدد خبراته وحياته المثيرة المليئة بالأحداث والقصص التي عاشها ويحلو له دائمًا الحديث عنها كلما اجتمعنا والأصدقاء. وقد كنت وعمر نتناول العشاء مع بعض الأصدقاء الإيطاليين وبدأ عمر يقص علينا قصته مع المخابرات. وذكر أنه بعد زواجه من الفنانة المحبوبة



فاتن حمامة أقاما في عمارة ليبون بالزمالك.. وجاء لزيارتهما فجأة صلاح نصر رجل المخابرات الشهير، والذي كان يحكم مصر في يوم من الأيام، وحيكت حول الرجل قصص لا يمكن أن يصدقها عقل إنسان.. وقال عمر إنه فوجئ بوجود صلاح نصر في منزله، وجلس يتناول القهوة معهما وتحدث في العديد من الموضوعات والقلق يكاد يقتل عمر لعدم فهمه أسباب هذه الزيارة، وكيف لا يقلق وفي بيته رجل المخابرات الأول في مصر.. وفجأة قال صلاح نصر إنه يريد منهما أن يطلعاه أولاً بأول عن أخبار النجوم في مصر وخصوصًا فلانًا وفلانًا، وحدد لهما بالاسم عددًا من النجوم في ذلك الوقت. وبالطبع أنهى حديثه بالجملة التي كانت سائدة حينذاك وتُستعمل كثيرًا لتبرير كل عمل لا يرضاه الضمير وهي: «إن ذلك من أجل أمن الوطن وسلامته!». ويصف عمر هذه اللحظة بصدق وهو يقول إنه كان يرتعش ولم يَدْرِ ما يجب أن يقوله وأنقذته زوجته الفنانة فاتن حمامة التي أجابت صلاح نصر وبكل وضوح وشجاعةبأنها ترفض أن تؤدي هذا الدور ضد أي زميل أو زميلة لها.. وبعد هذا الحادث لم يتصل بهما صلاح نصر.. وعندما جاءت الفرصة للفنان عمر الشريف أن يشارك في فيلم «لورانس العرب» ويخرج إلى العالمية.. كان يجب عليه –كما كان متبعًا في ذلك الوقت– أن يحصل على تصريح بالسفر من مجمع ميدان التحرير، وكان يخشى ألا يوافقوا على سفره وكان عمر على يقين من أنه يجب أن يسلك طريقه للعالمية، والذي لابد أن يكون من خلال هوليوود؛ ولذلك أقام في بڤرلي هيلز مع النجوم وظل بعيدًا عن مصر طوال حكم الرئيس عبد الناصر واشترك في العديد من الأفلام العالمية، أهمها «دكتور زيفاجو» وغيره من الأفلام الشهيرة الأخرى.. وحينما عُرض «دكتور زيفاجو» بدور السينما الأمريكية.. لم يحالفه النجاح في أسبوعه الأول، وقابل عمر المخرج دافيد لين بأحد مقاهي نيويورك ليناقش معه أسباب عدم نجاح الفيلم ووجد دافيد يقول له إن السبب هو تركيبة الفيلم؛ ولذلك قام بأخذ النسخة الأصلية وبدأ في إعادة ترتيبها وشوهد الفيلم مرة أخرى، والذي أصبح العالم كله يتحدث عنه. وظل عمر بعيدًا عن مصر حتى قابل الرئيس السادات في حفل أقيم في البيت الأبيض وتلقى عمر الدعوة بصفته نجمًا مصريًا كبيرًا وعندما رآه السادات استقبله بحرارة شديدة وبلهجته المميزة طلب منه أن يحضر فرح ابنه جمال في مصر وفعلاً جاء عمر الشريف إلى مصر مرة أخرى، ومنذ ذلك الوقت لم يعد يحتاج إلى تصريح لكي يغادر أو يأتي إلى وطنه.

عشاء مع أرنولد شوارزنجر



أرنولد شوارزنجر

سافرت إلى لوس أنجلوس لإجراء جراحة دقيقة في عيني اليمنى، وهي العين نفسها التي أُجريت لها جراحتان من قبل، وقد ساعدني صديقي الدكتور سامي مخيمر، والذي يساعد كل العرب في الحصول على خدمات طبية عالية، وهو إنسان يمتاز بالخلق الرفيع.. وبعد نجاح العملية وجدت نفسي أستقر في لوس أنجلوس لمدة عشرة أيام، وهي المدينة المحببة لي في أمريكا؛ لأنني عشت فيها سنوات طويلة، وقمت بالتدريس في جامعة لوس أنجلوس خلال الصيف ولمدة خمس سنوات.. وهناك صادقت وقابلت العديد من نجوم السياسة والفن..

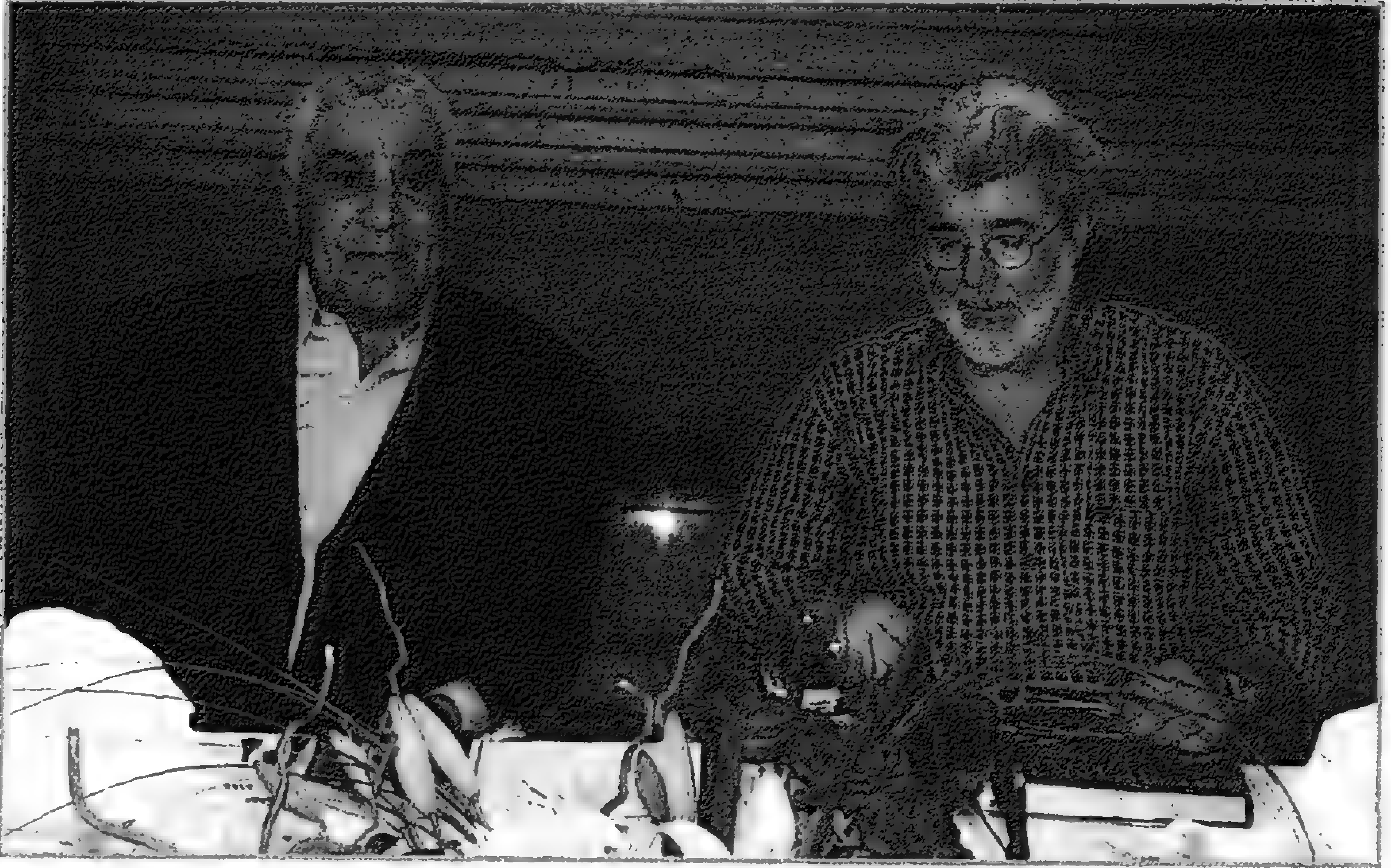
وجاءني أحد الأصدقاء وهو مخرج إيطالي ليطمئن عليّ بعد العملية، وأخبرني أن أرنولد شوارزنجر



وزوجته ماريا شريڤر، وكانت تعمل مقدمة برامج تلفزيونية شهيرة قبل الزواج، يريدان دعوتي على العشاء في منزلهما، وقبلت الدعوة وتحدد الميعاد وذهبنا إلى المنزل الذي يقيمان فيه، ويقع في أجمل بقاع لوس أنجلوس المعروفة باسم Brentwood، وهي المنطقة التي يعيش فيها مشاهير الفن والسياسة وتماثل تمامًا حي المشاهير الشهير بڤرلي هيلز. وعندما وصلنا إلى بوابة المنزل، كان علينا أن نمشي لمسافة 1كم لكي نصل إلى المنزل الجميل الذي يعيش فيه أرنولد وعائلته، حيث كان في استقبالنا، ورغم سنوات العمر الستين كان أرنولد لايزال يحمل كل الصفات الجسمانية التي نعرفها عنه في أفلامه. وهو من أصل نمساوي هاجر إلى أمريكا وهو في سن الـ 21، الأمر الذي يتضح من لكنته الإنجليزية، وكان حلم حياته أن يصبح نجمًا من نجوم هوليوود، وبعد اعتزاله التمثيل أصبح الحاكم رقم (38) لولاية كاليفورنيا. وجلسنا في حديقة المنزل وكان يدخن السيجار المشهور به الآن؛ ولأن التدخين ممنوع الآن تمامًا في الأماكن المغلقة بهذه الولاية، فقد اضطر أرنولد إلى بناء خيمة أمام مكتبه في عاصمة كاليفورنيا لكي يدخن فيها.

وقد انضم لنا مؤلف ومنتج سينمائي شهير، ومخرج آخر وزوجاتهم من المهتمين بالفراعنة وتحدثنا عن الآثار وعن الاكتشافات الأثرية، وبدا واضحًا أن أرنولد وزوجته يتابعان كل أعمالي الأثرية على قناة الديسكفري وناشيونال جيوجرافيك.. وتحدثنا في السياسة وقلت له إن العرب لهم موقف منك؛ لأنك ذهبت لزيارة إسرائيل ولم تزر أي بلد عربي آخر، وكان رده أنه لم يتلقَّ دعوة من أي بلد عربي! واستمر الحديث عن المشكلة الفلسطينية وكيف أن العالم سوف يعيش في سلام إذا ما تم إقامة دولة فلسطين.. وبعد ذلك تحدثت معهم عن خطأ أمريكا في دخول العراق، وأن بوش لم يستطع أن يفسر حتى الآن سبب دخوله العراق، وما هو موقف الشعب الأمريكي الآن بعد أن وجدوا أن (صدام) ليس لديه أي أسلحة نووية! وكيف أن بوش لم يقرأ تاريخ العراق جيدًا، ووضع شعبه في مأزق من الصعب الخروج منه الآن.. وهنا سألت أرنولد عن حياته السياسية، وهل يفتقد حياته كممثل شهير؟ وقال إنه عندما يحس بالاشتياق إلى السينما يذهب إلى الاستوديوهات ويجلس مع زملائه ويتذكر الماضي، وأضاف أن حياة هوليوود شاقة ومثيرة وأن السياسة الآن تعطيه كل شيء.. كانت جلسة مثيرة على مائدة العشاء استغرقت ثلاث ساعات، واتفقنا على أن يزور مصر في الشتاء، ووعدتهم بأنني سوف أصطحبهم في زيارة إلى الأهرامات و«أبو الهول»، وردت ماريا وقالت إن حلمها أن تزور مصر، وأن تشاهد آثار ملكات مصر.. وهنا قدمت لهما أهم كتبي عن ملكات الفراعنة..

عشاء مع چورج لوكاس



المؤلف مع المخرج العالمي چورج لوكاس

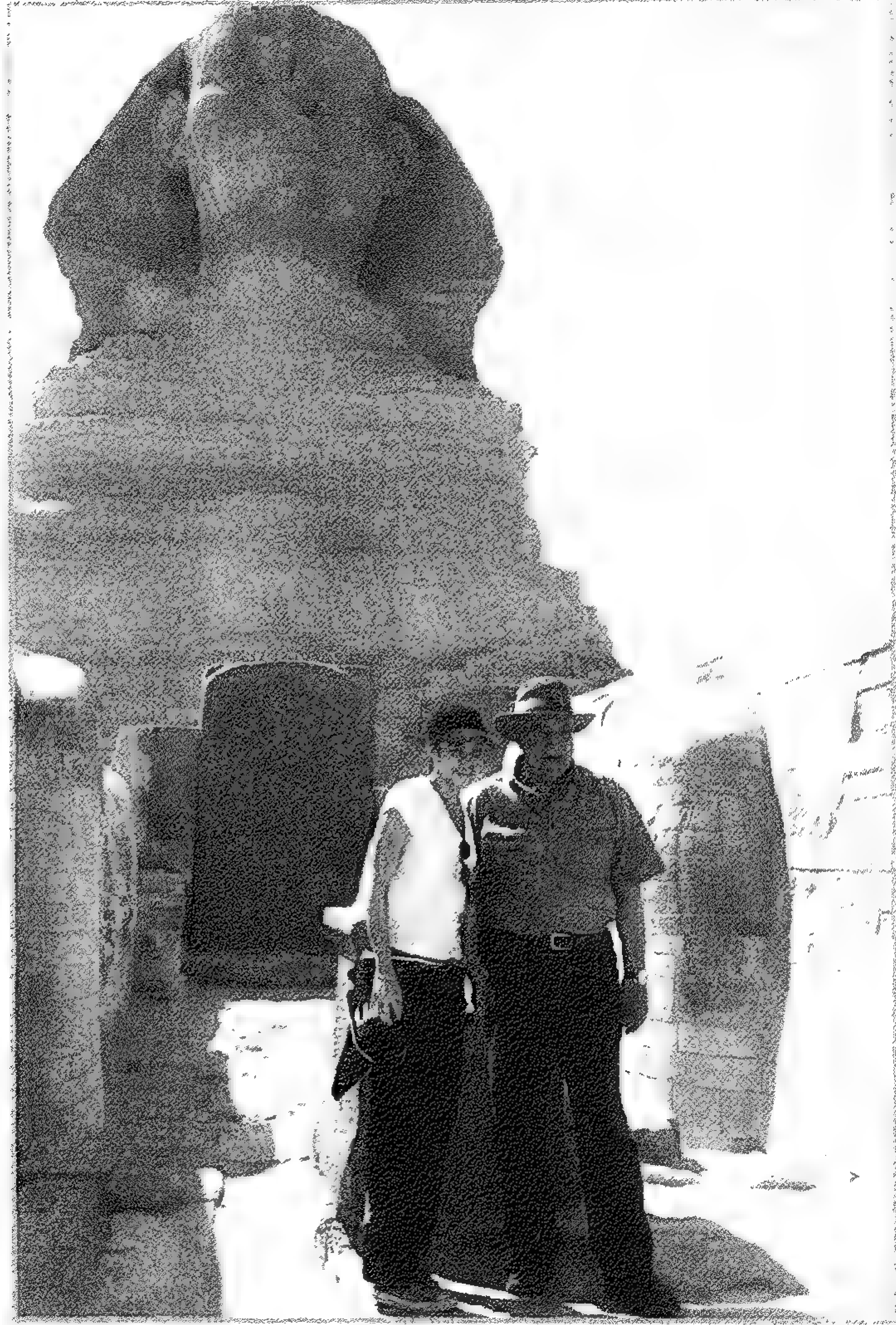
على الرغم من أنه لم يحترف التمثيل، فإن چورج لوكاس هو بحق أحد أشهر الأسماء في عالم هوليوود الساحر، والسبب معروف طبعًا فهو الذي قدم أفلام حرب النجوم لأول مرة، وقدم فيها الممثل الشهير هاريسون فورد الذي نال شهرة بين النجوم لم يصل إليها إنسان من قبل. وچورج لوكاس هو مخترع شخصية مغامر الآثار الشهير أنديانا جونز؛ ولذلك يعتبر من أغنى النجوم الذين خرجوا من هوليوود. وعندما أخبرتني مساعدتي نشوى جابر بأن چورج لوكاس سوف يحضر إلى مصر وأنه يدعوني إلى العشاء في حديقة المتحف المصري، لم أصدق أنه هو نفسه چورج لوكاس الشهير، واتصلت مباشرة بالشركة التي تنظم رحلته، فقالوا لي إنه فعلاً فنان السينما العالمية چورج لوكاس، وسوف يحضر في طائرته الخاصة، وأنه حجز حديقة المتحف المصري ودفع آلاف الجنيهات لكي يدعوني على العشاء. وعندما وصلت إلى حديقة المتحف في الثامنة مساءً وجدت چورج لوكاس في انتظاري ومعه



ابنتاه وابن يبلغ من العمر حوالي 16 عامًا، وكان چورچ يرتدي الچينز، وهو رجل هادئ الطباع ترى في عينيه الذكاء والحكمة. وكنت متشوقًا لمعرفة السبب وراء طلبه لقائي، وعرفت منه أنه بدأ حياته الأولى وهو طالب يدرس الأنثروبولوجي؛ ولذلك فقد اهتم جدًا بالآثار وبالاكتشافات الأثرية، وأن ذلك أحد أسباب اختراعه شخصية أنديانا جونز. وقد أشار إلى أنه يعتبرني أنديانا جونز الحقيقي؛ خاصة لأنه يشاهد كل الأفلام التسجيلية التي قدمت اكتشافاتي، وأنه معجب جدًا بالقبعة التي ألبسها؛ لأنه هو الذي فكر في ضرورة أن يلبس أنديانا جونز هذه القبعة، وضحكت وقلت له إن قبعتي تباع في أمريكا وإيطاليا، وإن دخل بيع القبعة مخصص لبناء متحف سوزان مبارك للطفل، والذي يتم بناؤه الآن في منطقة مصر الجديدة بالقاهرة. وأضفت أن هذه القبعة مكتوب عليها اسمي وليس اسم أنديانا جونز. وعرفت منه أنه فكر في فيلم حرب النجوم عندما كان أمامه مجموعة لعب أطفال، وأن هذه اللعب هي التي أوحت إليه بفكرة الفيلم. وسألته عن الإنسان الآلي الصغير، وكذلك الآخر الطويل، والذي كان له حركات أنثوية أُعجب بها الكثيرون، وقال إن أغلب الشخصيات بعضها لأصدقاء له استطاع أن يجسدها في الفيلم. وحكى لي چورچ لوكاس عن الفيلم الجديد الذي يتم تصويره الآن وهو تكملة لأفلام الأثري المغامر مستر جونز، ورغم أن هاريسون فورد يبلغ من العمر 64 عامًا فإنه مازال يحتفظ بحيوية الشباب، وأنه لا يتصور أحدًا غير هاريسون فورد يستطيع أن يمثل هذه الشخصية.

ويبلغ عمر ابنة لوكاس الكبرى 27 عامًا ومعها خطيبها، والأخرى تبلغ حوالي 22 عامًا، إضافة إلى الصبي الذي ذكرناه، ولا يوجد بينهم أي تشابه؛ لأنهم جميعًا أبناؤه بالتبني، تبناهم منذ ولادتهم، ورغم ذلك تحس أنهم يشبهونه تمامًا. وفي اليوم التالي كنت أقف معهم عند «أبو الهول» أحكي لهم قصص الاكتشافات التي قمت بها، وفي المساء قمت باستضافته على العشاء، وكان الحديث هذه المرة عن أول زيارة له إلى مصر، وحدثني عن عمر الشريف وكيف قابله للمرة الأولى في صحراء أريزونا عندما كان يصور فيلم McKenna's Gold، والذي صور عام 1996 عن رعاة البقر، ومعه الممثل العالمي جريجوري بيك. وتواعدنا على اللقاء في سان فرانسيسكو عندما أسافر لإلقاء محاضرة بمتحف الفن في العام القادم. وأجمل ما في اللقاء هو أن هذه الشخصية الشهيرة التي أثرت في العالم كله بأهم الأفلام التي حققت أعلى الإيرادات – شخصية بسيطة جدًا، ومن العجب أنني قمت بإهدائه قبعة لي عليها توقيعي مرفقًا بها صورة لي، وهنا ابتسم چورچ لوكاس؛ إنني الآن أحس بالسعادة لاختراع شخصية أنديانا جونز، وسعيد أكثر بمقابلة الأثري الحقيقي لهذه الشخصية.

شاكيرا



المؤلف مع المغنية شاكيرا

لاشك أن شاكيرا أصبحت من أشهر المغنيات في العالم كله، وقد أحسست بذلك عندما جاءت إلى مصر لأول مرة لكي تغني بجوار أهرامات الجيزة. وقبل مجيئها تلقيت اتصالاً من مدير أعمالها يخبرني برغبتها في مقابلتي؛ لأنها من هواة التاريخ والآثار وأنها كانت سعيدة جداً بمشاهدة فيلم الروبوت «الإنسان الآلي» الذي دخل الهرم، وتريد معرفة المزيد من المعلومات عن هذا الكشف الذي أكد وجود أبواب سرية داخل الهرم. وهنا أخبرت مدير أعمال شاكيرا بأننا وافقنا على أن تغني بجوار



الأهرامات؛ لأنها من أصل لبناني، وتعتز دائمًا بأصولها العربية التي تظهر واضحة في أغانيها وموسيقاها. وكان اللقاء مع شاكيرا وعائلتها أمام أبو الهول، وكانت لا تضع أي مساحيق، بل قبعة بسيطة تحمي بها رأسها من حرارة الشمس وتلبس الچينز وتي شيرت، وكان جمالها أكثر من عادي، وتختلف تمامًا عن الصورة التي تظهر بها على المسرح، لدرجة أنني تلقيت الكثير من المكالمات من أصدقاء ومعارف مندهشين من أن التي ظهرت معي في صور نشرت على صفحات الجرائد والمجلات لشاكيرا!! وقد لا يعرف الكثيرون أن شاكيرا على درجة عالية من الثقافة والاطلاع خاصة في مجال التاريخ والآثار.

وكان لابد من وضع المسرح الذي ستغني عليه شاكيرا بعيدًا عن الأهرامات، وفي المنطقة التي تسمى البانوراما الثانية إلى الجنوب من هرم الملك «منكاورع»؛ وذلك لأنه كان من المتوقع أن يحضر الآلاف الحفل، وكعادتي لم أحضر حفل شاكيرا مثلما لم أحضر الاحتفال الضخم بالألفية الثالثة عند سفح الأهرامات وحضره أيضًا الآلاف؛ وذلك لأنني لا أحب التواجد في حفل به أعداد كبيرة من الناس، خاصة إذا كان هذا الاحتفال مقامًا عند أهرامات الجيزة. وكان لقائي الثاني بشاكيرا في أغسطس الماضي عندما كنت في لوس أنجلوس أقضي فترة نقاهة بعد إجرائي جراحة دقيقة في عيني. وقد حضرت شاكيرا من بهارمس، حيث إنها لا تعيش في أمريكا بسبب الضرائب الباهظة، وكان العشاء في عاصمة الفن والسينما، ودار الحديث عن عشقها للبنان ولكل ما هو عربي، وإن أغلب أغانيها وموسيقاها مستوحاة من الموسيقى العربية وخاصة آل رحباني، ومحمد عبد الوهاب، وانتقل الحديث إلى مصر، حيث قالت إنها ترغب في زيارة مصر مرة أخرى والذهاب إلى الأقصر وأُسْوَان، وأن حلمها هو زيارة مقبرة الملكة الجميلة «نفرتاري»، وذكرت أن لها صديقة زارت المقبرة وبعد خروجها انخرطت في بكاء متواصل من فرط إعجابها بجمال وروعة نقوش المقبرة.

وحدث أن وجدنا مئات الصحفيين والمصورين يحيطون بنا بعد العشاء؛ حيث قام صاحب المطعم بالاتصال بهم لعمل دعاية لمطعمه، وعندما سألوها عن سبب وجودها في لوس أنجلوس قالت: «إنها هنا لمقابلة عالم الآثار المصري زاهي حواس ولحضور محاضرات عن الفن...».

إن مواهب شاكيرا ونجاحها لا يرجعان فقط لموهبتها في الرقص والغناء، وإنما لذكائها وسعة اطلاعها، وبالتالي قدرتها على المزج بين الموسيقى العربية وما يميزها من الإيقاع المتزن البطيء وبين الإيقاع السريع لموسيقى أمريكا الجنوبية. وإذا كان من الممكن المزج بين موسيقى الثقافات المختلفة وظهور ألحان يستسيغها ويطرب لها أصحاب هذه الثقافات المختلفة، أليس من الممكن المزج بين آراء وأفكار هذه الشعوب لتختفي الحروب من عالمنا؟!

رهان مع صلاح منتصر



المؤلف مع صلاح منتصر

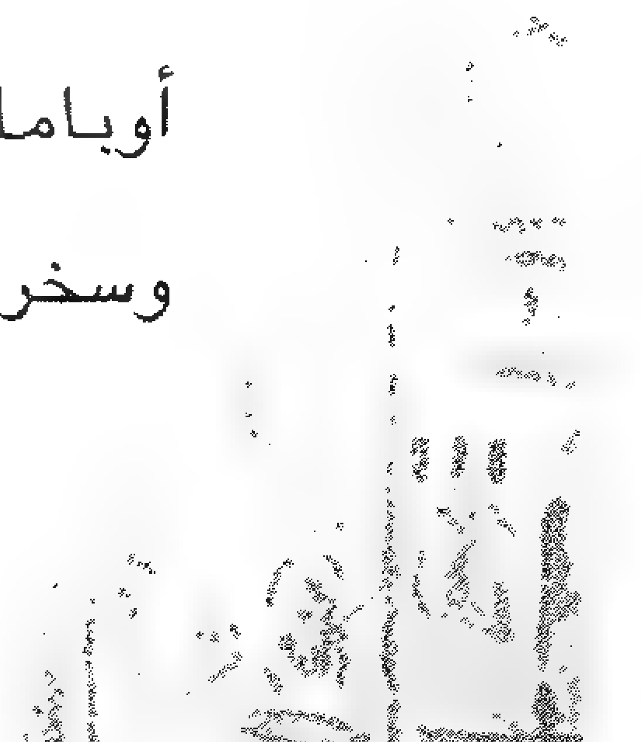
كتب صديقي الكاتب الكبير صلاح منتصر في عموده الشهير بجريدة الأهرام أن فوز أوباما في الانتخابات الأمريكية القادمة أصبح مؤكدًا لأسباب كثيرة، وأن منافسه الجمهوري ماكين لن يكسب هذه الانتخابات خاصة بعد اختياره «سارة بالين» نائبة للرئيس. وعلى الفور اتصلت بـ«صلاح منتصر» لأعارضه في رأيه نظرًا لطبيعة الشعب الأمريكي الخاصة، فهم لن يقبلوا إطلاقًا أن يكون رئيس أمريكا إفريقي الأصل ووالده مسلمًا. أما سبب تفوق أوباما في الاستطلاعات وفيما يكتب وينشر عبر وسائل الإعلام فهو أن الغالبية العظمى من المثقفين يؤيدونه، وهؤلاء هم الذين



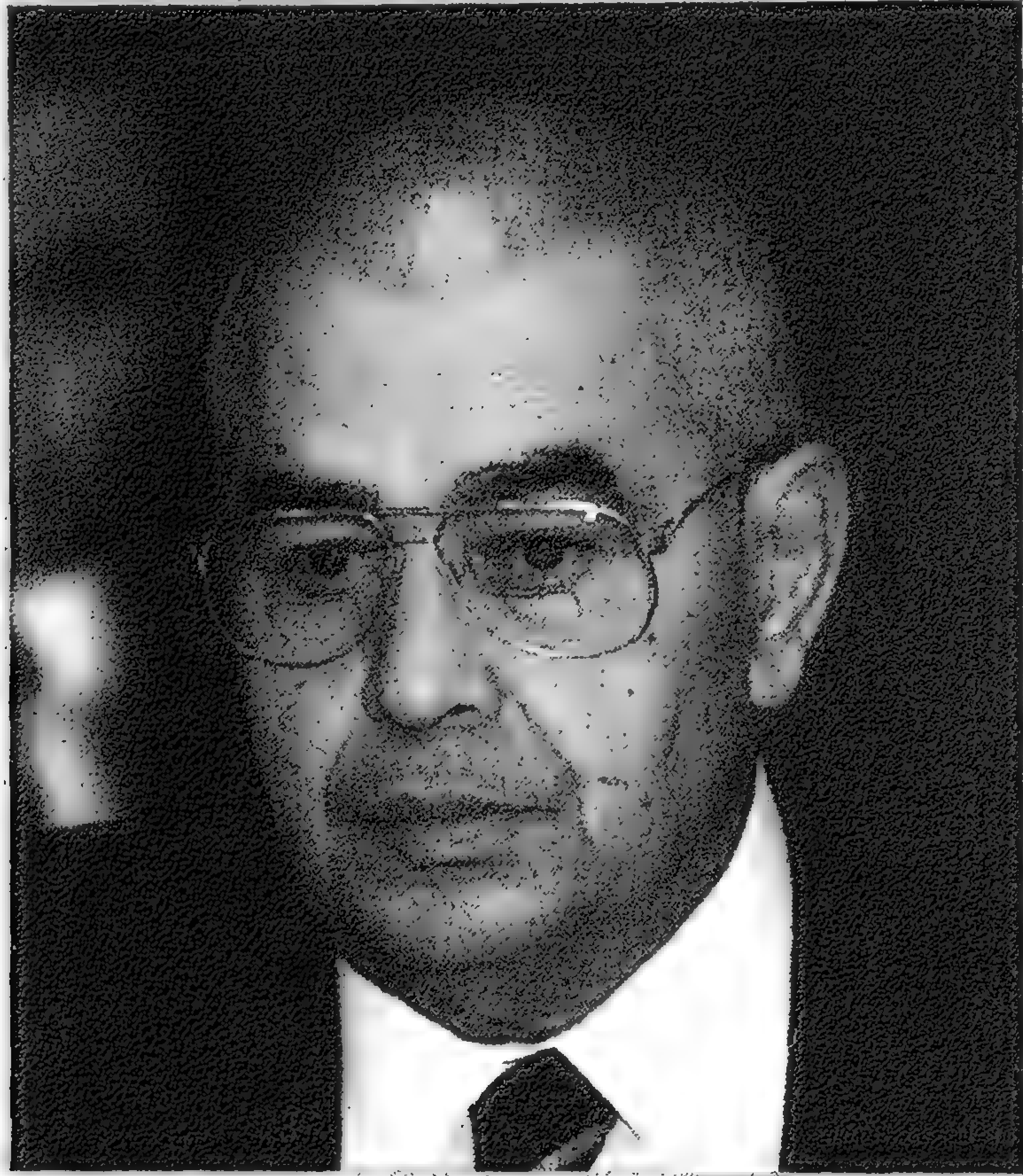
تصل أصواتهم إلى الصحف مثل الـ«نيويورك تايمز» وكذلك إلى استطلاع الرأي الذي يأتي دائمًا في صالح أوباما، وهو المرشح الديمقراطي الذي تخرَّج في جامعة هارفارد ودرس المحاماة وفاز بالانتخابات في إيلينوي ليصبح سيناتورًا ويفوز في الانتخابات التمهيدية على هيلاري كلينتون ليصبح المرشح الرسمي للحزب الديمقراطي ويأتي ببرنامج رائع عنوانه «التغيير» ليدفع أمريكا في حالة فوزه خطوات إلى الأمام ويخرجها من كبوتها الاقتصادية ويرمم سمعتها وصورتها التي أبدع بوش في تدميرها.

وعلى الجانب الآخر، نجد المرشح العجوز جون ماكين بلا كاريزما أو حتى معلومات دقيقة وخطة واضحة وكثيرًا ما أوقع نفسه في زلات تفضح عدم إدراكه أمورًا كثيرة ومعلوماته ضعيفة؛ منها إعلانه أن إيران تمول طالبان.. وبالطبع هذا شيء مضحك، ووضح له محادثه ليبرمان خطأه البين وكذلك قوله إن باكستان تقع على الحدود مباشرة مع العراق.. وسوف يجر الشعب الأمريكي إلى الحروب وبالتالي سوف يضعف الاقتصاد أكثر مما هو حاصل في يومنا هذا، ومما لاشك فيه أن سياسته لن تتغير كثيرًا عن سياسة بوش الذي احتل العراق تحت مظلة سلة من الأكاذيب ويعرضها اليوم لويلات التقسيم إلى دويلات. نضم إلى ذلك ما سبق أن أشرنا إليه وهي سن المرشح الجمهوري التي وصلت إلى 72 عامًا ويعاني مرض السرطان؛ أي أن هناك احتمالاً أنه لن يكمل مدة حكمه حال اختياره.

وقد لا يعرف صديقي صلاح منتصر أن ثلثي الشعب الأمريكى مسيحيون متعصبون لا يعرفون غير أمريكا وقوة أمريكا ويعيشون في الوسط والجنوب وهؤلاء هم بالفعل الذين يختارون الرئيس، وكانوا قد اختاروا بوش من قبل.. وسوف يذهب هؤلاء إلى صناديق الانتخاب واضعين نصب أعينهم صورة أوباما وزوجته ميشيل وأولادهما في البيت الأبيض؛ ولذلك سوف يصوتون لـ «ماكين»، وهو الأمر الذي سيفعله بعض من يساند أوباما الآن.. أعتقد أنني سوف أكسب الرهان من صديقي العزيز خاصة بعد أن انضم إليه صديقي الكاتب الساخر أحمد رجب والمسرحي الدمياطي علي سالم وتأكدوا أن أوباما سوف يصبح رئيسًا لأمريكا.. وأقول سوف أكسب الرهان.. وسوف أستمتع بعشاء طيب مع لطف وسخرية أحمد رجب.. وثورة علي سالم.. وهدوء ابتسامة صلاح منتصر.



انتصار صلاح منتصر



صلاح منتصر

أقر وأعترف بالهزيمة أمام صديقي صلاح منتصر، فقد كان هناك رهان بيني وبينه أن أوباما سوف يخسر الانتخابات الأمريكية وأن ماكين سوف يصبح رئيسًا لأمريكا.. وقد اعتمدت في ظني هذا على معرفتي بالشعب الأمريكي حيث عشت بينهم سبع سنوات في مدينة فلادلفيا وقمت بالتدريس في جامعة لوس أنجلوس لمدة خمس سنوات، وأعرف جيدًا مدى سطحية المواطنين الذين يعيشون في الجنوب ووسط أمريكا وأعلم أن التمييز العنصري لايزال موجودًا بين الأمريكان وإن كان دفينًا تحت السطح، فلم يكن في الإمكان تخيل وصول أمريكي أسود إلى مقعد الرئاسة بالبيت الأبيض فلم يحدث ذلك إلا في المسلسل التلفزيوني الشهير 24 ساعة. لم يكن هذا هو رأيي فقط، بل إن بعض الديمقراطيين أنفسهم كانوا يعلمون أن هناك الكثيرين ممن يتظاهرون بمساندة أوباما لكن عند لحظة الوصول إلى



صناديق الاقتراع سيضعون نصب أعينهم صورة أوباما وأبيه حسين المسلم الكيني الأصل والمولد وصورة زوجة أوباما وبناتهما في البيت الأبيض؛ ولذلك سيقومون بالتصويت لماكين ليس حبًا له وإنما لصعوبة التغلب على مشاعرهم تجاه اللون والعِرق والدين.

ورغم أنني خسرت الرهان مع صديقي صلاح منتصر فإنه قد صدق ما توقعته عندما ذكرت في المقال السابق أنه في حالة فوز أوباما سيكون السبب الرئيسي هو الاقتصاد الأمريكي الذي يمر بأسوأ حالاته منذ أزمة العشرينيات من القرن الماضي. وبالفعل جاءت نتيجة التصويت أن أكثر من 50٪ من الأصوات التي ذهبت إلى أوباما كانت تحت تأثير عامل الاقتصاد. وفي الحقيقة أنا سعيد جدًا بخسارتي لهذا الرهان الذي كنت أتمنى بالفعل أن أخسره وأدفع ثمن العشاء الذي سوف أفوز فيه بصحبة شخصين قريبين إلى نفسي، وقد طلبت أن ينضم إلينا صديقي سليمان جودة الذي وقف بجانبي وأيدني في الرهان؛ ولذلك فربما أطلب منه أن يسهم في ثمن العشاء حيث إن صاحب الدعوة دمياطي أصيل.

لم أكن أتصور أن جون ماكين يمكن أن يصبح رئيسًا لأمريكا حيث قابلته مرتين، وفي المرة الأولى أعطيته درسًا قاسيًا في أدب الحوار، وفي المرة الثانية عندما حصلت على جائزة أفضل 100 شخصية من مجلة التايمز وتجاهل كل منا الآخر، وكنت على يقين بأنه في حالة فوزه فسوف يدفع القاطرة الأمريكية إلى الوراء وبقوة قد يحسد عليها، أضف إلى ذلك مساعدته «سارة بالين» التي اختارها لكي يؤكد عدم خبرته وليزيد عدد الذين يكرهونه؛ فهي تجبرك على أن تكرهها بمجرد الاستماع إليها والنظر إلى تصرفاتها وجهلها المدهش. وبلاشك فإن سياسة بوش الغريبة وكره الشعوب المتقدمة وغير المتقدمة لسياساته الدكتاتورية قد أسهمت بدون شك في الإيقاع بالحزب الجمهوري في مستنقع الهزيمة. بالفعل أعطى الشعب الأمريكي درسًا قاسيًا لكل السياسيين الذين قادوه في السنوات الثماني الماضية إلى هذه الحالة من التأخر وتباطؤ النمو الاقتصادي فتراكمت الديون عليه وفقد الكثيرون ليس فقط وظائفهم بل أيضًا مساكنهم التي تؤويهم. كذلك هو درس لكل المتعصبين وأعداء الديمقراطية والتغيير فلقد اختاروا من أقنعهم بأنه الأقدر على قيادتهم في المرحلة القادمة دون النظر إلى اللون أو الدين..

مبروك لأوباما وهنيئًا لي بلقائي مع الأصدقاء على العشاء.

العشاء الأخير

قد يكون هذا العشاء هو بالفعل العشاء الأخير طبقًا لقوانين الدمايطة؛ حيث لا تتوقع من دمياطي أن يوجه لك دعوة على العشاء مرتين! أما سبب الدعوة فهو -كما ذكرت في مقالاتي السابقة- خسارتي الرهان مع صديقي الكاتب الكبير صلاح منتصر الذي كان قد كتب في عموده الشهير بالأهرام أن ماكين سوف يخسر الانتخابات وأن أوباما سوف يكون الرئيس الأمريكي القادم، واتصلت به لأؤكد له أن هذا الأمر من الصعب حدوثه لمعرفتي بوجود عنصرية دفينة داخل فئات من الشعب الأمريكي خاصة في الوسط والجنوب، وفي نهاية الحديث اتفقنا على أن الخاسر سوف يدفع ثمن عشاء فاخر ولم يحضر العشاء صديقي الكاتب الساخر أحمد رجب حيث كان قد أجرى عملية في عينيه وأتمنى له الشفاء العاجل بإذن الله. فبقلمه وصدقه وحبه لمصر أصبح أحد أهراماتها الشامخة ولا مبالغة، وحضر العشاء الإعلامي اللامع مفيد فوزي وكان سعيدًا لنجاح أوباما، وكذلك رجل الأعمال صلاح دياب الذي اتفق مع إحدى القنوات الفضائية على حضور العشاء وتسجيل حلقة عن الانتخابات الأمريكية وكان ضمن الحضور صديقي سليمان جودة حيث كان الوحيد الذي يتفق معي على خسارة أوباما أما الكاتب المسرحي علي سالم فقد أضفى جوًا من المرح بقفشاته..

وفي الحقيقة كان العشاء ممتعًا من جميع الأوجه؛ المكان والطعام، ولكن قمة المتعة كانت من خلال المناقشات الشيقة الجادة، وكما ذكرت من قبل بأنني فعلاً سعيد بنجاح أوباما ولا أنسى عندما كنت أفتتح معرض «توت عنخ آمون» في شيكاغو وفوجئت به يحضر لزيارة المعرض دون أن يبلغ أحدًا بزيارته، بل إنه قام بشراء تذكرة مثل أي مواطن عادي وأمضى داخل المعرض ساعتين.. والآن فالعالم كله والشعب الأمريكي ينظر إليه بالتفاؤل والأمل في أن يغير سياسة الفطرة والغباء التي حكمت أمريكا في السنوات الثماني السابقة التي كانت كفيلة بتدمير سمعة أمريكا كدولة عظمى تنادي بالديمقراطية في حين تزج بالناس جماعات إلى داخل سجن جوانتانامو دون النظر إلى كونهم ظالمين أو مظلومين أو دون محاكمة من الأساس وكل جريمتهم هي أنهم يشكون من كونهم Enemies of the State أي أعداء للدولة وهناك أمل في إغلاق هذا السجن على يد أوباما وإنهاء



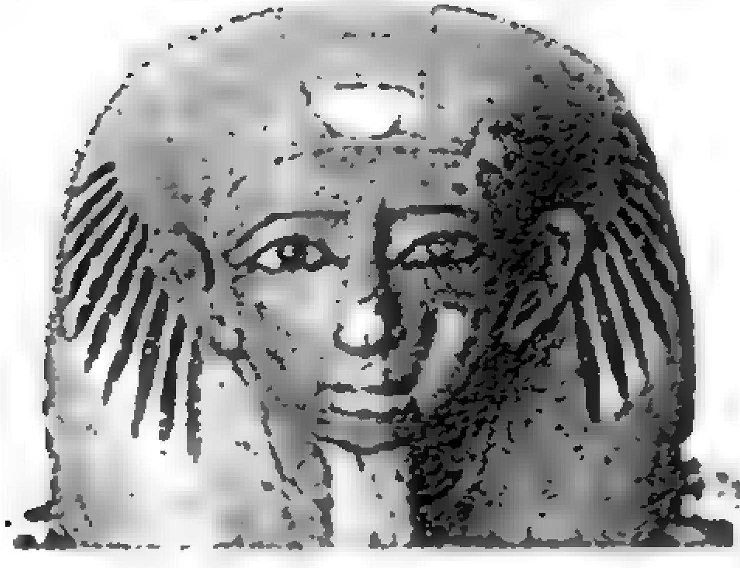
الحرب التي بدأها بوش دون سبب سوى أكاذيب ملفقة جعلت أمريكا تدفع شهريًا 10 بلايين دولار إضافة إلى آلاف الجنود من أبنائها، الأمر الذي جعل الشعب الأمريكي يطلق العديد من التعليقات المازحة شديدة المرارة منها «أن سبب هدوء بن لادن الأخير هو أنه وجد من هو أفضل منه في تدمير أمريكا يوميًا ودفعها إلى الهاوية» والمقصود طبعًا بوش.. كان عشاءً ممتعًا استمتعنا جميعًا بحديث صلاح دياب الذي كان كالملح والفلفل على الطعام.. وبعد العشاء وجدت صديقي صلاح منتصر يود المشاركة في دفع فاتورة الحساب وهنا ضحكت لأننا نحن الاثنين دمايطة وطلبت منه أن يكون ذلك في رهان آخر لعلّي أكسبه في المرة القادمة.. أما الدمياطي الثالث وهو علي سالم فقد علق بأنه لا يعرف حقًا سببًا لوصف الدمايطة بالبخل فهو أمر لا أساس له ولكنه نعت لصق بنا ونحن لا نتذمر منه.

الدمايطة



رأس البـــر

هم أهل دمياط الذين استطاعوا أن يتحدوا من أجل هدف نبيل وهو نقل مشروع البتروكيماويات المعروف -نسبة إلى الشركة- بمشروع أجريوم من منطقة رأس البر التي تعتبر متنفس الدمايطة على البحر المتوسط ومصيفًا يحبه الدمايطة على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية.. ليس الجديد هو اتحاد الدمايطة فقط على هدف واحد بل الجديد هنا هو أن يساند محافظ دمياط الذي من المفترض أنه يمثل السلطة – توجهات الدمايطة، ونراه يكتب بقلمه يدافع عن حق الدمايطة في عدم إقامة المشروع على أرض محافظتهم، والذي إن تم فإن نتائجه البيئية والاقتصادية السيئة على أهل دمياط لا يمكن التنبؤ بها في الوقت الحالي، وكل ما يمكن قوله إن هذا المشروع وبكل تأكيد سيؤدي إلى تشييع مصيف رأس البر إلى مثواه الأخير وسيقضي على الشاطئ الجميل ويحوله إلى منطقة صناعية. وهنا يجب أن نعلم



أن المعماري المتميز الدكتور فتحي البرادعي استطاع أن يجعل مدينة رأس البر من أجمل المدن الساحلية في مصر، والتي لا تختلف كثيرا عن مدينة فينيسيا. وكم كنت سعيداً في العام الماضي وأنا أشاهد شروق وغروب الشمس برأس البر وأتجول في شوارع المدينة النظيفة وأنا أحدث نفسي بأنه إذا أحب كل إنسان المكان الذي يعمل فيه فإن بلادنا سوف تتغير بدون شك إلى الأحسن والأحسن. أما عن الإمكانات فكلنا نعرف أننا نملك بوطننا العربي عباقرة في علم تخطيط المدن وهؤلاء ثروة يجب أن نساعدهم ونوفر لهم كل الإمكانات كي نستفيد من فكرهم وعطائهم كما استفادت أمم أخرى منهم.. أتمنى أن أقابل صاحب فكرة إنشاء مصنع أجريوم برأس البر لكي أعرف كيف يفكر هذا الإنسان؟ وماذا كان ظنه بالفائدة التي ستعود على مصر؟ وما سبب كراهيته لهذا الشاطئ الجميل وهذه المدينة الساحلية؟! وإذا لم يكن لهذا المشروع ضرر بالشاطئ أفلا


مدينة دمياط ورأس البر

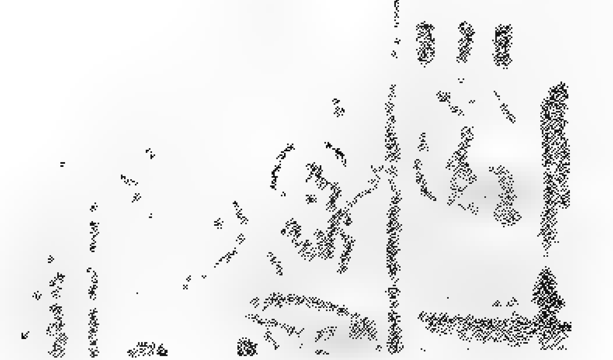
يعرف هذا العبقري أن جزيرة رأس البر هي جزيرة فريدة مثلثة تطل على البحر المتوسط وعلى نهاية مجرى نهر النيل العظيم؟ في هذا المكان العبقري نشأت مع أصحابي نحلم بمستقبلنا ونحن نشاهد



أعظم لقاء بين مياه النيل المحملة بالغرين مع مياه البحر المتوسط.

وعندما قابلت د. البرادعي لأول مرة حينما عُين محافظًا لدمياط أيقنت أن الحكومة اختارت الرجل المناسب في المكان المناسب؛ لأن هذا الرجل سوف ينظر إلى دمياط بعين علمية تخطيطية للمستقبل وفعلاً بدأ تحويل رأس البر إلى محمية طبيعية.. معنى هذه الكلمة صعب على الذين لا يهمهم غير مصالحهم الشخصية بعيدًا عن مصلحة أهل البلد.. ومعنى محمية طبيعية أن يحظر إقامة أي منشآت تضر بالبيئة سواء صناعية أو أي نشاط آخر.. وقد عارضنا من قبل إنشاء فندق على منطقة اللسان فكيف يتم الموافقة على إنشاء مصنع أجريوم في هذا المكان؟! رأس البر بالإضافة إلى الميزة التي منحها الله سبحانه وتعالى لها وهو لقاء المياه العذبة بالمالحة فهي محطة ترتادها الطيور المهاجرة من أوروبا وإفريقيا.

ولماذا اختارت الشركة الكندية هذا المكان دون دراسة؟ وكان يجب أن يعترضوا حتى ولو كان هناك موافقات، على إقامة مصنع لإنتاج الأمونيا واليوريا على أرض الجزيرة الجميلة الهادئة، والتي اعتاد الدمايطة أن يقيموا فيها شهور الصيف بعد شتاء طويل وعناء وكفاح حتى قال عنهم الرئيس حسني مبارك أتمنى أن يصبح كل المصريين دمايطة.



الفصل السابع

بنو إسرائيل في مصر

بنو إسرائيل لا يقرءون التاريخ



مسجد قبة الصخرة



يبدو أن فكرة قتل الأطفال والشيوخ والنساء وانتهاك الحرمات تجري في دماء يهود فلسطين ويبدو أنها أصبحت جزءًا من العقيدة المزيفة لهؤلاء القوم الذين ابتلينا بهم في وطننا. وعندما نتحدث عن العقيدة اليهودية، لا نقصد بذلك الديانة التي لم يتركوها في حالها هي أيضًا بل زيفوها ووضعوا فيها كل سمومهم الموجهة ضد الإنسانية كلها. حتى المبادئ البراقة التي نسمعها من كبرى دول العالم، مثل أمريكا ودول أوروبا، للرقي بالحريات الشخصية ونبذ مبادئ التفرقة والعنصرية والتعصب الديني والعرقي، نجد أن الدولة الوحيدة في هذا العالم التي تضرب عرض الحائط بكل هذه المبادئ هي إسرائيل، ويمارسون التفرقة العنصرية والمذهبية بأبشع صورها. ونحن ماذا نفعل؟ نغضب ونسب ثم نتشابك مع بعضنا البعض. ويتهم الأخ أخاه، والكل يلقي بالمسئولية على الآخر، وأصبحت فلسطين عارنا! وأخشى أن نقتل نحن فلسطين، لنتخلص من هذا العار!!

والشيء الوحيد الذي تعلمه الإسرائيليون من التاريخ هو سلوك الطغاة وأساليب التعذيب حتى أصبحوا فنانين في هذا المجال. ففعلوا بالفلسطينيين ما فعله من قبل فرعون موسى باليهود وسرجون الذي قتل أكثر من نصفهم وسبى إلى بابل النصف الآخر؛ ليستعبدهم هناك، لتآمرهم وخروجهم عن طاعته. والتاريخ يعلمنا دروسًا كثيرة، منها أنه ما من أمة استطاعت أن تمحو أمة أخرى وتحل محلها، سواء كان الصراع بينهما صراعًا دينيًا، أو عرقيًّا أو ديموغرافيًا، كالصراع على الأرض مثلاً. وعلى الرغم من

المسجد الأقصى

أن المهاجرين البيض إلى القارة الأمريكية كانوا الأكثر عددًا والأكثر تقدمًا في السلاح والفكر، فإنهم لم يستطيعوا القضاء نهائيًا على الهنود الحمر (السكان الأصليين للأرض) رغم بداءتهم وتفرقهم في قبائل مختلفة تتحدث لغات شتى. ورغم الصراع المرير الذي استمر سنوات طويلة بين المهاجرين البيض والهنود الحمر، ورغم قيام دولة الولايات المتحدة الأمريكية، فلايزال هناك بعض القبائل الهندية البدائية التي تمارس عاداتها ولغاتها. الأمر نفسه ينطبق على القارة الأسترالية، وما حدث من جرائم ضد السكان الأصليين هناك، وكذلك ما فعله الاستعمار الأوروبي في بلاد إفريقيا الفقيرة.

وإذا عدنا إلى التاريخ القديم فسنجد دروسًا مهمة يجب أن نعيها ونفكر فيها بعمق، منها: هل استطاع فرعون وجنوده القضاء على بني إسرائيل في مصر؟ وهل انتهت سلالتهم بعد أن تم سبي ما تبقى منهم بأرض فلسطين إلى بابل؟ ليت اليهود يتعلمون من التاريخ! وليتنا نحن نعي الدرس الآخر! وهو أنه ما من أمة هلكت إلا بفعل عملها، فعوامل انهيار الأمم دائمًا ما تأتي من داخلها، وقد تساعد عوامل خارجية على الإسراع بفناء





هذه الأمم التي بدأت بذور انهيارها من داخلها. فلننبذ الفرقة بيننا، ولننحِّ خلافاتنا، ونواجه عدونا، ولنتذكر جميعًا أننا لم نكن لنسترد شبرًا واحدًا من أرض سيناء من براثن هؤلاء، لولا وقوفنا جميعًا يدًا واحدة ضدهم واستعدادنا لهم.

إن الكلمات والصياح في الميكروفونات لن تعيد الأطفال ولن تزرع الزيتون في أرض يحتلها الشيطان.. ليتنا نقرأ التاريخ.



لوحة بني إسرائيل



لوحة مرنبتاح الشهيرة بـ«لوحة بني إسرائيل» - المتحف المصري



سافرت مومياء الملك «رمسيس الثاني» إلى فرنسا في أكتوبر من عام 1976م؛ بدعوى فحص ومعالجة المومياء والحفاظ عليها؛ لكن الحقيقة أنه كان هناك سبب آخر غير معلن لسفر الملك وهو محاولة اليهود فحص المومياء والإعلان عن أن الملك «رمسيس الثاني» هو فرعون الخروج، وخاصة أن كل من فسر التوراة وناقش موضوع فرعون الخروج ذهب إلى أنه «رمسيس الثاني».. ولا عجب فهو أشهر ملوك الفراعنة على الإطلاق وأكثرهم إعمارًا وبناءً وأطولهم عمرًا وحكمًا لمصر في عصرها الذهبي؛ عصر الدولة الحديثة.

ويبدو أن علماء فرنسا حاولوا بكل الطرق العلمية إثبات أن مومياء الملك «رمسيس الثاني» تشير إلى أن الملك مات غرقًا ليصبح من المؤكد أنه فرعون موسى. وعندما فشلوا في هذا قام أحدهم بأخذ خصلة شعر من رأس الملك ووضعها داخل خزانة في منزله، وبعد موته قام ابنه بعرض خصلة الشعر للبيع على الإنترنت. وفور علمنا بالخبر قمنا بإرسال مراسلات رسمية إلى الخارجية الفرنسية واستطعنا أن نعيد خصلة الشعر إلى المتحف المصري مرة أخرى ووضعها بجوار مومياء الملك.. ولا أعرف حتى الآن كيف استطاع هذا الفرنسي أن يقوم بفعلته الحمقاء هذه في ظل وجود ما سمي بالعلماء المصريين الذين كانوا يرافقون المومياء والمفترض أنهم مسئولون مسئولية مباشرة عن حمايتها؛ ورغم ذلك تركوا الفرنسيين يعبثون بمومياء الملك..

وكما ناقشت من قبل موضوع «فرعون موسى» فإن هناك أكثر من ملك رشحه العلماء ليكون هو فرعون موسى، بل ذهب بعضهم إلى أن الفرعون الذي تربى في قصره موسى ليس هو الفرعون الذي طارد بني إسرائيل وأخرجهم من مصر. ومن الملوك المرشحين الملك «تحتمس الثالث» أو ابنه «أمنحتب الثاني»، كذلك ذهب البعض إلى أنها الملكة «حتشبسوت» إضافة إلى «رمسيس الثاني» أو ابنه وخليفته على العرش الملك «مرنبتاح». وفريق آخر اعتقد أن الخروج حدث في عهد الهكسوس..

وبالمتحف المصري لوحة من الجرانيت الأسود تعرف بـ «لوحة إسرائيل» نظرًا لما تصوره البعض من ورود اسم (إسرائيل) على اللوحة، والنص المنقوش على اللوحة هو للملك «مرنبتاح» ابن «رمسيس الثاني»، وجاء ضمن النص أسماء القبائل والإمارات التي قضى عليها الملك وأخضعها لحكم مصر ومنها الفقرة التالية: «وأقفر يزريل ولم يعد له بذور» وقد ترجم البعض (يزريل) بـ (إسرائيل)،

ويؤكدون ذلك بورود التسمية ضمن أسماء القبائل والإمارات الأخرى التي أخضعها الملك مثل «خاتي» و«كنعان» و«عسقلون» و«ينعم» و«خارو» وكلها تشير إلى منطقة سوريا وفلسطين. وهناك في رأيي احتمال كبير أن «يزريل» التي ذكرت على لوحة «مرنبتاح» لا تعني «إسرائيل» وحتى لو فرضنا أنها إشارة إلى بني إسرائيل فستكون هي المرة الأولى التي تذكر فيها إسرائيل في المصادر المصرية القديمة، وذكرها لا يكون دليلاً على الإطلاق على أن الملك «مرنبتاح» الذي حكم مصر حوالي 1224ق.م وحتى 1212 ق.م هو فرعون الخروج، فمثل هذه النصوص أصبحت شائعة في عصر الدولة الحديثة – عصر التوسع والإمبراطورية المصرية التي أخضعت الشرق الأدنى القديم لسلطانها، فأصبح الملوك يتفاخرون على آثارهم بإخضاع كل الشعوب التي يعرفونها بالاسم وتصويرها تحت سلطانهم، وذلك على جدران المعابد واللوحات التذكارية. وقد حاول العلماء أن يحفروا في شرق الدلتا بحثًا عن أي أدلة لعملية الخروج. وللأسف الشديد لم يتوصلوا إلى شيء على الرغم من معرفتنا بأن مدينة «رمسيس الثاني» التي تسمى «بر– رعمسو» كانت موجودة في منطقة قنتير بشرق الدلتا.



الفنان فاروق حسني وزير الثقافة مع المؤلف يتفقدان خصلات شعر الملك رمسيس الثاني، والتي أعيدت من فرنسا.



رسالة عن فرعون موسى



واجهة معبد ابو سمبل



أهتم دائمًا بقراءة تعليقات القراء على مقالاتي المنشورة في موقع صحيفة «الشرق الأوسط» على شبكة الإنترنت؛ ذلك لأنها تعكس بدون أي تجميل واقعنا الثقافي ومدى اهتمام القارئ العربي بالحضارات القديمة خاصة الحضارة الفرعونية. وأفكر حاليًا في جمع هذه التعليقات خاصة تلك التي تحتوي على أسئلة يريد أصحابها مني الإجابة عنها ونشرها في سلسلة مقالات بإذن الله في نفس هذا المكان، وربما تصدر بعدها في كتاب. وقد سعدت أخيرًا بتعليق من الأستاذ/ علاء جمال من دولة الإمارات على مقال «فرعون موسى» حيث يقول: «شكرًا على هذا الموضوع الرائع. أتذكر أنَّ أستاذ التاريخ في المرحلة الثانوية قال لنا إنَّ هناك الكثير من علماء الآثار يجزمون من غير دليل واضح بأن رمسيس الثاني هو فرعون موسى وأنَّ إخناتون، زوج نفرتيتي وأول فرعون يدعو إلى توحيد الآلهة، هو إدريس عليه السلام.. وغيرها الكثير، لكن أين الحقيقة؟ حتى إني قرأت كتاب «حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة» للإمام جلال الدين السيوطي وكلها اجتهادات وأقوال غير مدعومة بالأدلة.. فلماذا لا يقوم المجلس الأعلى للآثار بإصدار مجلة علمية دورية تتناول الحضارة الفرعونية وجديد الاكتشافات وطبيعة عمل فرق البحث المصرية والأجنبية، وكيفية إعادة الآثار المهربة خارج البلاد؟ ولماذا توجد كليات وأقسام لدراسة علم المصريات (Egyptology) في كثير من دول العالم ولا يوجد ذلك عندنا في مصر بصورة منهجية؟

انتهى تعليق الأستاذ/ علاء جمال، وأؤكد أن كل ما يدور حول موضوع «فرعون موسى» هو مجرد اجتهادات ولا يوجد دليل لغوي أو أثري يؤكده، الأمر الذي دفع بعض علماء الآثار الأجانب إلى نفي موضوع «خروج بني إسرائيل من مصر». إلا أن المؤكد أن الخروج قد حدث بالفعل ولا مجال لأخذ ما ورد في القرآن الكريم على غير معناه الحقيقي، فهناك أدلة قرآنية تؤكد مدى دقة وإعجاز هذا الكتاب الكريم، منها على سبيل المثال الحديث عن حاكم مصر في زمن يوسف (عليه السلام) بلفظ «ملك»، بينما عند الحديث عن موسى (عليه السلام) وقومه فإن من يحكم مصر يلقب بـ «فرعون»، وهذا إعجاز قرآني تؤكده الأدلة الأثرية والتاريخية؛ حيث كان الحاكم قبل عصر الدولة الحديثة وزمن موسى يلقب بـ «ني سو»، والتي تترجم بمعنى (ملك). أما في عصر الدولة الحديثة فأصبح اللقب يأتي من التسمية «بر-عا» بمعنى (القصر العظيم) وفي العبرية اختلطت (الباء) بالـ (فاء) فأصبحت (فرعو)

وفي العربية زاد التنوين فأصبحت (فرعون) أي (صاحب القصر الملكي أو البيت العظيم)..

وقريبًا يصدر المجلس الأعلى للآثار مجلة شهرية تتناول موضوع الاكتشافات الأثرية الحديثة وما يخص أخبار الآثار والبعثات الأثرية المصرية والأجنبية وأعمال التطوير ومشروعات إدارة المواقع الأثرية.

وقد أنشأتُ -منذ أن توليتُ مسئولية الآثار- إدارة للآثار المستردة واستطعنا إعادة مئات القطع الأثرية المهربة إلى الخارج، وذلك من خلال العمل الدبلوماسي تارة واللجوء إلى القوانين والأعراف الدولية تارة أخرى. وآخر ما استعدناه من آثار هو رأس تمثال للملك «أمنحتب الثالث» من لندن بعد صراع دام بضع سنوات، وكذلك (79) قطعة أثرية من أمريكا سرقها طيار بالجيش الأمريكي.

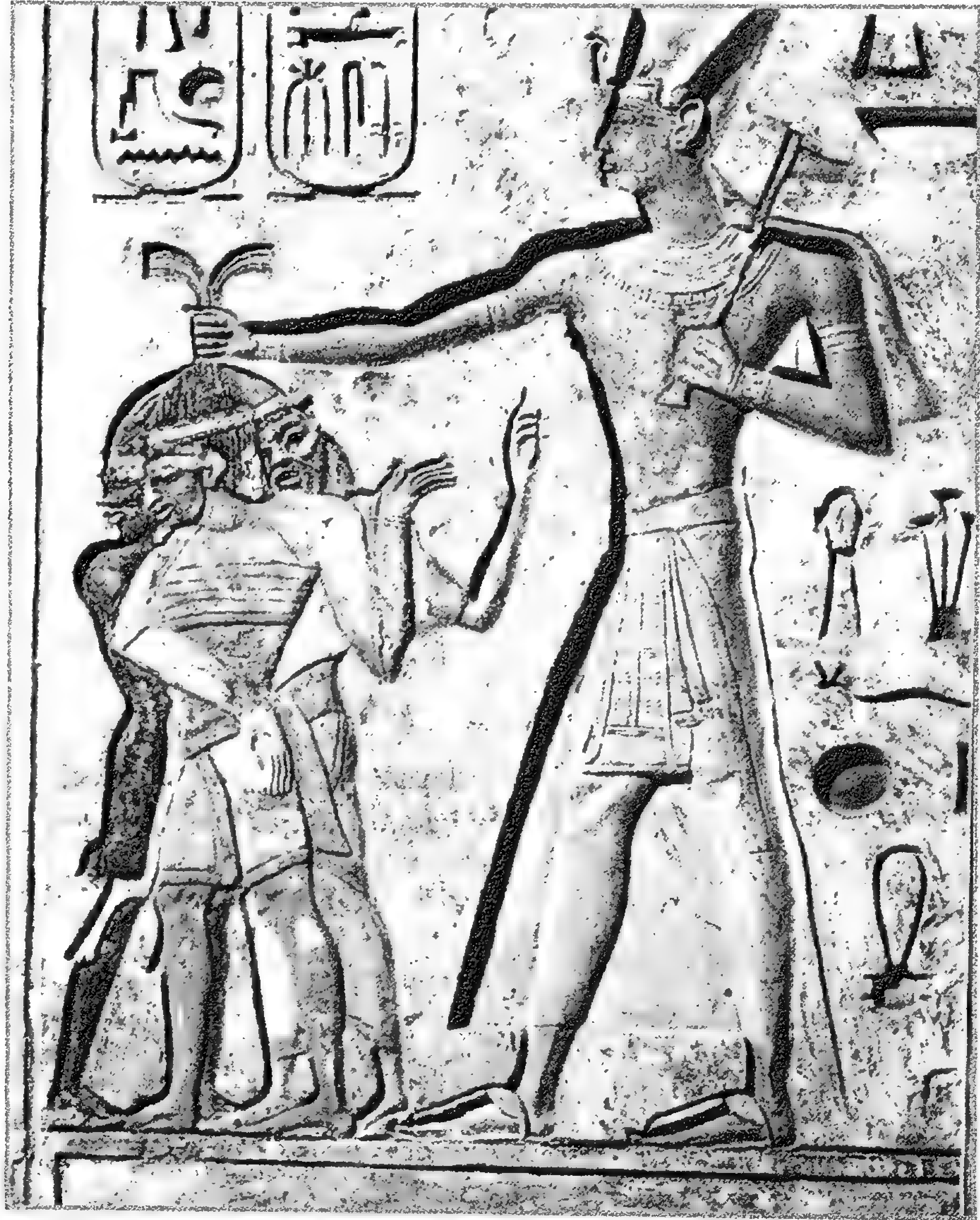
وأتفق مع القارئ العزيز بخصوص أن أقسام المصريات في العالم كله تخرج طلابًا أَكْفَاء على مستوى عالٍ من العلم والمعرفة سواء كانوا مصريين أو أجانب، وأنا نفسي نلت درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا بأمريكا، ولكن السؤال: متى سنقوم بتعديل طرق ومناهج التعليم في بلادنا كي نلحق بالعالم الحديث؟ ومن المفيد لنا، بالطبع، أن نكون نحن علماء في آثارنا قبل أن يكون الأجانب علماء علينا.



المومياء الملكية التي يعتقد أنها للملك رمسيس الأول عند عودتها إلى مصر



فرعون موسى



الملك رمسيس الثاني يضرب الأعداء - المتحف المصري



لعل من أعظم أسرار الحضارة الفرعونية القديمة التي لايزال علماء المصريات يتباحثونها من كل أوجهها هي قصة خروج بني إسرائيل من مصر وتحديد شخصية فرعون موسى، فعلى الرغم من وجود القصة بتفاصيلها في التوراة والقرآن الكريم فإن شخصية فرعون الخروج لم تحدد بالاسم، وقد ورد عن المفسرين قولهم إن القرآن الكريم نأى عن ذكر الأسماء وذلك صونًا لكرامة الإنسان وخصوصيته فلم يذكر شخصية عزيز مصر الذي اشترى يوسف ورباه في بيته أو حتى امرأته التي راودت «يوسف» عن نفسه أو شخصية ملك مصر الذي جعل من يوسف أمينًا على خزائن مصر، وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة، ولعل السبب كذلك هو إعطاء العقل البشري مساحة من التفكير لتعقل الرواية القرآنية بدلاً من تحديدها في نطاق أشخاص بأسمائهم والبعد عن المعنى الشمولي للرواية وجعلها قصة دارت أحداثها بين أشخاص بعينهم، والله أعلم.

نعود إلى فرعون موسى، فلايزال العلماء يتباحثون فيما بينهم ما إذا كان هذا الفرعون شخصًا واحدًا أم شخصين مختلفين؟ أحدهما تربى موسى في قصره ووسط أبنائه، والآخر ناصب موسى العداء بعدما أبلغه الأخير برسالة ربه إليه وحارب بني إسرائيل حتى كان الخروج من مصر. وفي ظني أن فرعون موسى هو فرعون واحد ولعل في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: 18] ما قد يشير إلى كونه فرعونًا واحدًا هو الذي شهد قصة موسى وبني إسرائيل كلها حتى كان الخروج.

نحن إذن نتحدث عن فرعون عاش وحكم لفترة كبيرة، ومثل هؤلاء في التاريخ الفرعوني القديم قليلون مثل الملك «بيبي الثاني» الذي عاش أكثر من ثمانين عامًا ولا يمكن أن تكون قصة موسى حدثت في الدولة القديمة حيث يتفق علماء المصريات والتاريخ على أن موسى وبني إسرائيل عاصروا الدولة الحديثة بعد تاريخ 1550 ق.م خاصة بعد أن أجمع هؤلاء العلماء على أن العبرانيين جاءوا إلى مصر مع الهكسوس بعد الدولة الوسطى وعاشوا خلال ما نطلق عليه عصر الاضطراب الثاني، وبالتالي لابد أن يكون فرعون الخروج أحد ملوك الدولة الحديثة، والملك الوحيد الذي عاش عمرًا مديدًا وحكم حوالي 66 عامًا هو الملك «رمسيس الثاني» ويميل إلى اعتباره فرعون الخروج معظم

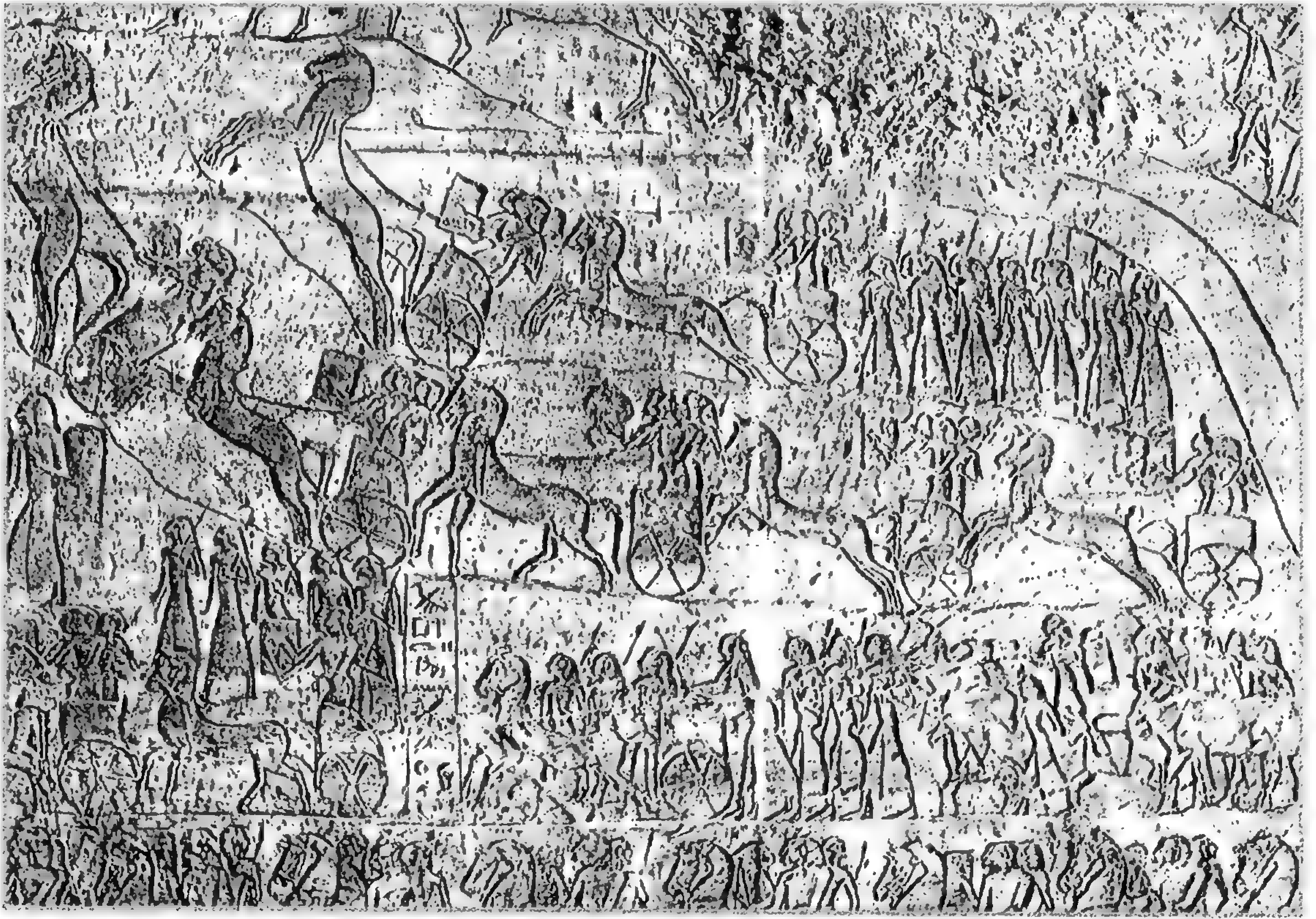
الباحثين بل اليهود أنفسهم وصانعو أفلام هوليوود.

وأنا شخصيًا لا أستطيع تحديد من هو فرعون الخروج دون وجود دليل لغوي أو أدلة أثرية تثبت ذلك ولكن أستطيع أن أقول إن السبب الذي جعل الفراعنة لا يتحدثون عن أنبياء الله الذين زاروا مصر من إبراهيم ويوسف وموسى –عليهم جميعًا السلام– هو أن المصريين بنوا المقابر ورتبوا عقائدهم الدينية والجنائزية ترتيبًا استغرق آلاف السنين، نرى في جوهره مبدأ الوحدانية ظاهرًا وفي مظهره الخارجي تعدد المعبودات والآلهة، وهذا النظام لا وجود فيه لأنبياء وديانة واحدة وسيظل البحث مستمرًا عن شخصية فرعون موسى وآثار بني إسرائيل في مصر...



تمثال الملك رمسيس الثاني

خروج اليهود من مصر



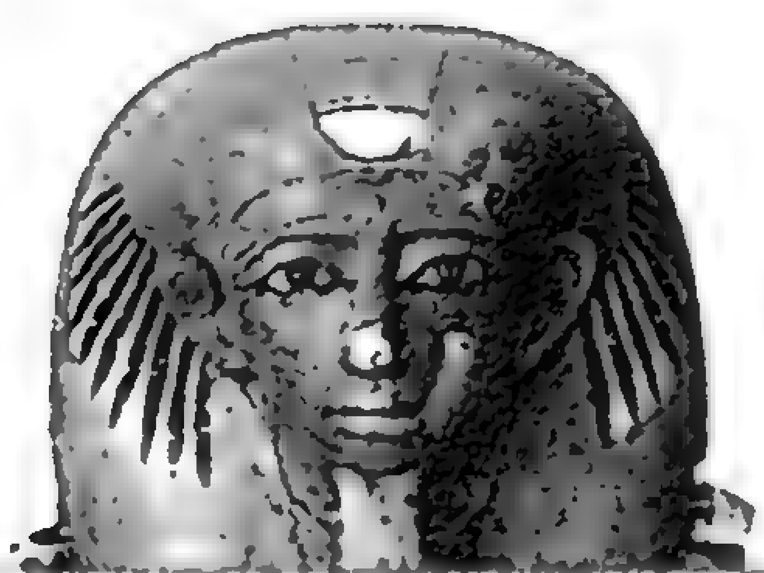
معركة قادش الشهيرة - معبد أبو سمبل



لعل من أكثر المواضيع التي يتم بحثها في الآثار المصرية القديمة موضوع خروج بني إسرائيل من مصر، وقد نشرت بالفعل آلاف الأبحاث والمؤلفات حول تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر والطريق الذي سلكه موسى عليه السلام وقومه هربًا من فرعون مصر والمدة الزمنية التي استغرقها ذلك الخروج، بل تدور المناقشات حول من هو فرعون الخروج. وفي حديثنا من قبل أشرنا إلى أنه لايزال من غير الممكن أثريًا معرفة من هو فرعون الخروج، وإن كانت معظم الآراء تشير إلى كونه «رمسيس الثاني» ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة من الدولة الحديثة بل هو أشهر ملوك الفراعنة ولعل شهرته هذه هي التي جعلته الفرعون المفضل لدى علماء اليهود وصناع السينما بهوليوود واعتباره هو الفرعون الذي حارب موسى وقومه في مصر، على الرغم من عدم وجود أي أدلة أثرية تؤيد هذا الظن.

وأعتقد أن موضوع الخروج سيظل لغزًا وسيستمر البحث فيه عشرات بل مئات السنين؛ وذلك لأنه لا توجد حتى الآن -كما قلنا- أدلة أثرية تعطي معلومات عن الخروج على الرغم من أن الكتب السماوية تجمع على وجود بني إسرائيل في أرض ما «ربما سيناء» يجوبونها تائهين عن الأرض التي أمرهم المولى عز وجل بدخولها والعيش بها، وقد قامت إسرائيل خلال فترة احتلالها سيناء بتكليف بعثات أثرية يهودية عمل الحفائر في سيناء بحثًا عن أي أدلة على وجود بني إسرائيل بها أو أي دليل على سلوكهم طريقًا معينًا أثناء خروجهم من مصر، وعلى الرغم من ذلك لم تكتشف هذه البعثات أي دليل يشير إلى الخروج وكان من أكثرها عملاً في سيناء أثناء فترة الاحتلال بعثة أليعازر أورين الذي نشر أعمال حفائره واكتشافاته في سيناء، وكلها لم تخرج بأي دليل يشير إلى خروج بني إسرائيل من مصر بل على العكس تمامًا قام بالكشف عن جزء من الطريق الفرعوني الشهير المعروف بـ «طريق حورس الحربي» وهو الطريق الذي سلكته الجيوش المصرية في مختلف العصور القديمة لإحلال الأمن بين الدويلات المتصارعة في الشرق الأدنى القديم بمنطقة فلسطين ولبنان وسوريا وكذلك سلكت البعثات المصرية هذا الطريق كطريق تجاري لتبادل التجارة بين مصر والشرق الأدنى القديم وأصبح بالتالي معبرًا ثقافيًا يربط بين حضارات مختلفة، حضارة الجنوب ونتاجها الثقافي، والذي نقله المصريون إلى آسيا عبر هذا الطريق إضافة إلى طريق آخر بحْري موازٍ له ينتهي عند

موانئ لبنان القديمة كميناء جُبيل وهو الطريق نفسه الذي سلكه الإسكندر الأكبر وجيوشه لفتح آسيا الصغرى واستمر معبرًا لجيوش الرومان حتى الفتح الإسلامي لمصر عندما سلكه عمرو بن العاص وجيشه لفتح مصر وسار على دربه جيش نابليون بونابرت. وعلى امتداد هذا الطريق أقام الفراعنة خلال العصور الفرعونية عددًا من القلاع لاستقبال وإقامة الوفود والجيوش المصرية عبر رحلتها من وإلى مصر خاصة خلال عصر الدولة الحديثة عندما تحولت مصر إلى إمبراطورية عظيمة تحكم الشرق الأدنى القديم كله وخلال العصر الروماني تم تجديد هذه القلاع والإضافة إليها وبناء قلاع جديدة.



وادي فيران بسيناء

تأملات في قضية الشرق الأوسط



تيودور هرتزل



لعلها المرة الأولى التي يتجرأ فيها الأمين العام للأمم المتحدة على إدانة إسرائيل بكلمات واضحة ودون أي مواربة! قد يقول البعض: وما أهمية هذه الإدانة وإسرائيل ماضية في ذبح شعب فلسطين؟ والحقيقة أن إدانة الأمين العام للأمم المتحدة وإن كانت صادرة عنه بوصفه إنسانًا ذهب إلى غزة ورأى الدمار والدماء في كل مكان، فهي لن تقدم أو تؤخر كثيرًا في قضية الشرق الأوسط. وقد وضحت الصورة الآن أمام الجميع أن حلم الدولتين المتعايشتين في سلام قد انهار كما قال بذلك وزير خارجية ألمانيا السابق. وبقي أن نفكر: هل إقامة دولة إسراطين التي ينادي بها الرئيس الليبي معمر القذافي إحدى الحلول المطروحة، والتي يمكن عمليًا مناقشتها؟ أعتقد أن إسرائيل لو قبلت مجرد قبول فكرة مناقشة إقامة دولة واحدة مع فلسطين تسمى «إسراطين» تكون بذلك قد قضت بالكامل على الفكرة والعقيدة التي عليها ومن أجلها قامت دولة إسرائيل. والمشكلة أن معتنقي الإسلام ومن قبله المسيحية واليهودية يتقبلون فكرة وجود الآخر ولا يشغلهم كثيرًا مكان هذا الآخر هل هو في البيت الذي يليه، أم في المسكن الذي يعلوه، أم في البلد المجاور. أما حكماء بني إسرائيل الذين خططوا للدولة اليهودية الحديثة وأهدافها، بل ووضعوا أحلامها في كتابات سرية وذكروا زيفًا أنهم صاغوها من التوراة التي أنزلها عليهم الرب، فإن وجود الآخر بينهم يعتبر مستحيلاً، وأصبح الخوف من الآخر جزءًا لا يتجزأ من الشخصية الإسرائيلية. وعلى مدى الأجيال والسنين الماضية تم تعميق هذا الخوف في نفوس أبنائهم؛ وذلك بإظهار الآخر بمظهر الوحشية والهمجية وأصبح عنوانًا للتخلف. والحل هو أن تعيد إسرائيل تخطيط مستقبلها وأن تضع فكرة إقامة «إسراطين» محل حوار ومناقشة جدية لعلهم ينقذون ما تبقى لهم من أحلام بعدما أعطاهم التاريخ أكثر من درس ولم يعوه، ونذكرهم بأن القوة والغطرسة لا تؤديان إلى النصر خاصة إذا كانت في حرب من طرف واحد.

لقد قرأت مقال القذافي المنشور في الـ «هيرالد تريبيون» أكثر من مرة ووقفت كثيرًا عند فكرة «إسراطين» ووضعت أكثر من علامة استفهام من وجهة نظر دارس لتاريخ البشرية وتطور المجتمعات والحضارات القديمة وأدعو أنفسنا نحن العرب إلى التعامل مع قضايانا من مبدأ تعدد الحلول وليس مبدأ الحل الواحد والأوحد الذي دائمًا ما نستخدمه في كل مشاكلنا، فلابد أن تكون لنا سياسة تضع على أجندتها كل الاحتمالات وتتعامل معها بحلول متعددة تكون مصلحتنا العليا هي المقدمة دائمًا

وفي الوقت ذاته حق الآخر في الحياة والعيش، هكذا يفعل العالم كله؛ ولكن قبل هذا لابد من التفكير مرة ثانية في موضوع الوحدة بين العرب وأن توازن الدول العربية بين ما ستجنيه من هذه الوحدة وما ستعانيه منها.

وفي وسط سحابة الحزن نرى أشعة أمل تأتينا من بعيد، فالرئيس الجديد باراك أوباما قرر إغلاق معتقل جوانتانامو خلال عام واحد، وعين مبعوثًا للسلام في الشرق الأوسط لإيجاد حلول واقعية للصراع العربي الإسرائيلي. كذلك تحركت المنظمات الأهلية في كل للضغط على إسرائيل لإيقاف اغتيالها شعب فلسطين حتى إن بعض يهود العالم ظهروا في وسائل الإعلام يبرئون ساحتهم من أفعال قادة إسرائيل التي ستظل تحيي الخوف مادام السلاح في أيديهم وعليهم قراءة التاريخ مرة أخرى.



المؤلف مع الرئيس أوباما أمام هرم الملك خوفو

الفصل الثامن

أبو الهول يحكي

دردشة مع «أبو الهول»



تمثال «أبو الهول» العظيم بهضبة الجيزة



ذهبت يومًا لرؤية «أبو الهول»، وجلست أنظر إلى وجهه وأنا أتأمل أنفه المكسور، وقد يكون «أبو الهول» بالنسبة إلى بعض الناس مجرد تمثال ضخم من الحجر، أما بالنسبة لي فهو شاهد على ماضينا، ولايزال يخفي الكثير من أسرار حضارتنا. ومر على «أبو الهول» عبر آلاف السنين شخصيات شهيرة ملوك وفراعنة وملكات وأمراء وقادة جيوش ورؤساء دول وفنانون وغيرهم. ولن أنسى اليوم الذي سقط فيه حجر من جسم «أبو الهول» وانتشر الخبر في كل مكان ونقلته الصحف لكل أنحاء العالم واستغله البعض -للأسف- للانتقام والنيل من بعضهم البعض.. تذكرت كل هذا وأنا جالس بين مخلبي «أبو الهول». وكانت بداية القصة بمجرد عودتي من بعثة الدكتوراه إلى مصر، وتحملت مسئولية العمل بمنطقة الهرم، وفوجئت بأن عمال الترميم كانوا يخلعون الأحجار الأثرية من جسم التمثال ويضعون بدلاً منها أحجارًا كبيرة تغير الشكل الأثري للتمثال مع استعمال الأسمنت للصق هذه الكتل، وعلى الفور أوقفت هذه الأعمال. وجاءني صحفي شهير من جريدة الفرنكفورتر الألمانية ليسألني عن الطريقة العلمية التي سوف تتبع لعلاج «أبوالهول» أقدم مريض في الوجود، وفي الواحدة والنصف ظهرًا ترك الصحفي مكتبي لكي يصور التمثال، وفي اللحظة التي كان يقف فيها لتصوير «أبو الهول» سقط أمامه حجر من الكتف اليمنى.

وفي اليوم التالي حضر فاروق حسني وزير الثقافة لزيارة التمثال والاطمئنان عليه، ورفض المرحوم أحمد قدري رئيس هيئة الآثار في ذلك الوقت أن يذهب معه، وبدأت المعركة التي انتهت بإقالة أحمد قدري من منصبه؛ مما جعل بعض المغرضين يعلنون أن هناك مؤامرة لكسر كتف «أبو الهول» لإقالة قدري! ونظرت إلى وجه «أبو الهول» وأنا أحدث نفسي متى نتوقف عن إقحام «أبو الهول» في السياسة؟ فقد حدث أن كان فؤاد العرابي مسئولاً عن هيئة الآثار، وتصادف أن سقطت مجموعة من الأحجار من الجانب الشمالي للتمثال، واُستغل الحادث لإقالة العرابي، وتولى أحمد قدري بدلاً منه، وبعد سنوات حدث معه نفس الشيء.

وأمام صدر «أبو الهول» لوحة ضخمة من الجرانيت الوردي كتب عليها قصة تعرف باسم (الحلم) مفادها أن الأمير «تحتمس» جاء في وقت الصيف ليستظل بالتمثال بعد عناء رحلة صيد شاقة

فغلبه النعاس، وجاء إليه «أبو الهول» في المنام يشتكي إليه من أن الرمال قد أحاطت بجسده كله وتكاد تخنقه وأنه يطلب إزالة هذه الرمال من حوله حتى يستطيع التنفس.. وأخبره أنه إذا قام بهذا العمل فسوف يجعله ملكًا على مصر. وبعد ذلك أصبح الأمير «تحتمس» ملكًا على مصر ليصبح رابع التحامسة وقام بتنفيذ وصية «أبو الهول».

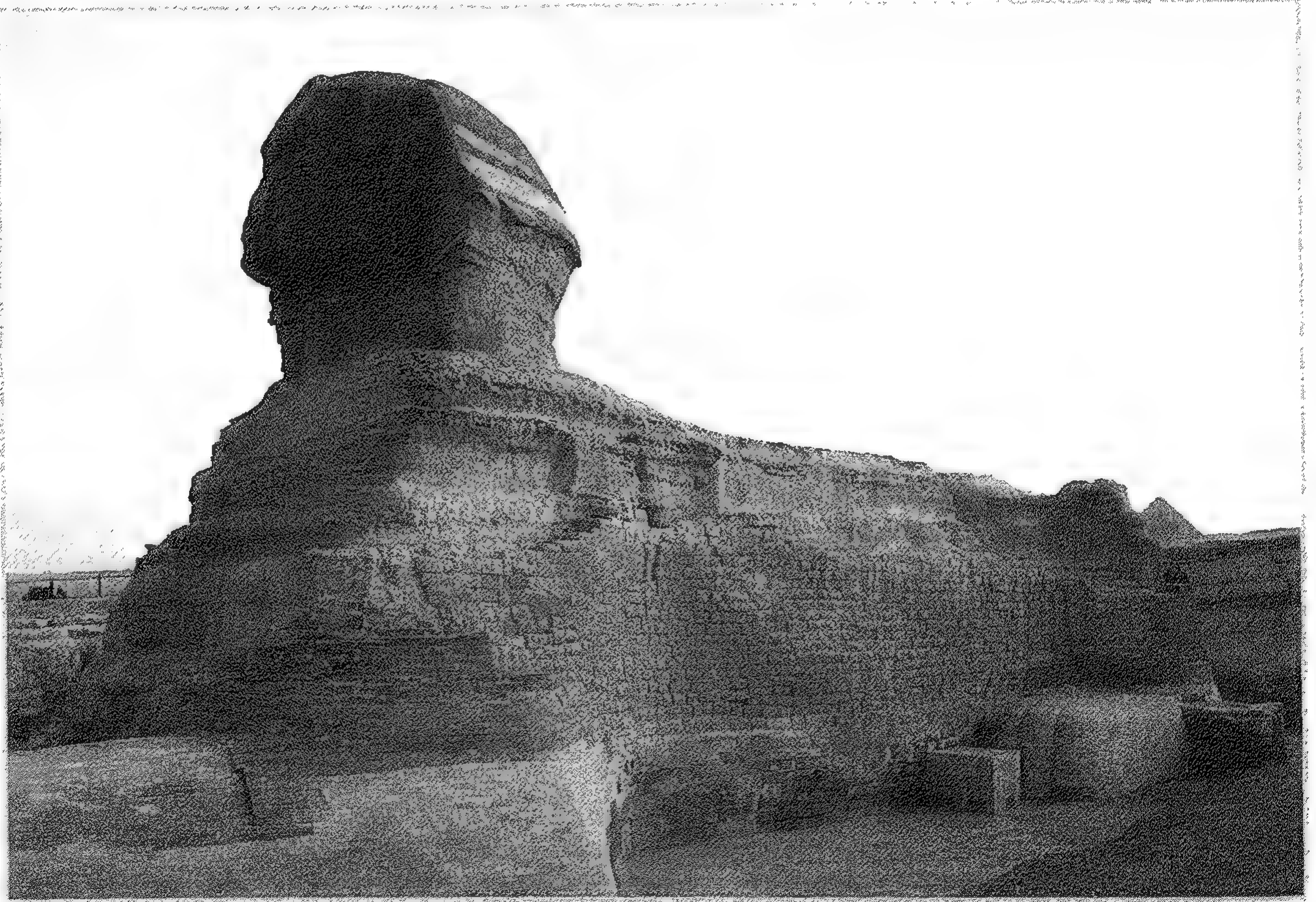
واكتشف علماء الآثار أن «تحتمس» قتل أخاه الأكبر، الذي كان أحق بالعرش منه، وأراد أن يثبت للشعب أن اختياره ملكًا جاء بناءً على رغبة إله الشمس «حور إم آخت» أي (حورس في الأفق)، وكان هذا هو اسم «أبو الهول» في الدولة الحديثة؛ أي منذ حوالي ثلاثة آلاف عام.

وهنا نجد أنَّ قدَر «أبو الهول» أن يُقحم في السياسة ويُستغل في الانتقام قديمًا وحديثًا!



لوحة الحلم التي أمر تحتمس الرابع بوضعها أمام صدر «أبو الهول»

السر أسفل «أبو الهول»!



تمثال «أبو الهول» الخالد



ظل العديد من الأجانب يرددون في السنوات السابقة أن هناك أسرارًا مخبأة أسفل القدم اليمنى لتمثال «أبو الهول»، ومن ضمن من روَّج لهذه الشائعات جماعة شهيرة في أمريكا – كتبت عنها من قبل – يطلقون على أنفسهم اسم «أتباع إدجار كيس»، وإدجار كيس هذا يسمونه «النبي الأمريكي». وقد قابلت ابن هذا الرجل وكان معي صديقي الكاتب الكبير عزت السعدني وحكى لنا قصة أغرب من الخيال عن والده وكيف كان يشفي المرضى وأنه كانت تنتابه حالات تعود فيها إليه روحه الأولى حيث كان الرجل (تخيلوا!) يعيش في القارة المفقودة أطلانتس وبعد أن دمرت القارة طار الرجل إلى مصر وهو يحمل صندوقًا صغيرًا وضع به كل أسرار هذه القارة وما وصلوا إليه من علوم وأسرار كونية، وقام مع المصريين منذ عشرة آلاف عام ببناء هرم الملك «خوفو» ونحت تمثال «أبو الهول» وقد وضع هذا الصندوق أسفل قدم «أبو الهول» اليمنى لكي يحفظها إلى الأبد. وخرجت مئات الكتب والمقالات التي تكتب عن الأسرار الدفينة أسفل «أبو الهول»، بل وعُرِضَ فيلم قام بدور الراوي فيه تشارلتون هستون وكان حول «أبو الهول» وأسراره الدفينة. وكنت في محاضراتي ولقاءاتي أفند هذه الآراء وأنقدها وكان السؤال الذي يوجه إليَّ دائمًا أنه مادام لم يقم أحد من قبلُ بالحفر أسفل «أبو الهول» لكي يعرف ما إذا كانت هناك أسرار مخبأة وكنوز دفينة أم لا، فإنه لا يمكن نفي هذه الآراء!.. وكان من المستحيل بالفعل الإجابة عن هذا.. ولكن حدث ما لم يتوقعه أحد حيث ظهرت المياه الجوفية أمام معبد الوادي الخاص بالملك «خفرع» صاحب الهرم الثاني بأهرامات الجيزة، وقام مركز هندسة الآثار التابع لكلية الهندسة جامعة القاهرة بعمل دراسات علمية لمعرفة مصدر هذه المياه، ووجدنا أن «أبو الهول» محاصر بالترع والقنوات المائية والمباني العشوائية التي لا يوجد لها صرف صحي سليم، وبالتالي تتسرب منها المياه إلى الآثار، وكان لابد من الحفر أسفل أبو الهول واستطاع العلماء أن يقوموا بإنزال ماكينة الحفر بجوار التمثال وتم عمل خمس حفر؛ ثلاث أمام وبجوار التمثال، واثنتان خلف التمثال ونزلوا بعمق 20مترًا تقريبًا ولم يعثر على أي أسرار دفينة أسفل «أبو الهول» عكس ما كان الأجانب ينشرونه في كل مكان. ولكن المهم هنا هو العثور على المياه الجوفية أسفل التمثال بحوالي 4.60متر وهو غير المنسوب الذي كان عليه أيام الفراعنة فقد كان القدماء يعرفون وجود هذه المياه ويعرفون أن صخرة التمثال من أسفل في حالة سيئة جدًّا لذلك

قاموا بكساء جسم «أبو الهول» بالأحجار وعملوا التشريح الخاص بجسم الأسد على هذه الأحجار، ولم يخافوا من وجود المياه الجوفية؛ لأنها لا تؤثر على الآثار ولكن الخوف من المياه الملوثة التي تأتي من الصرف الصحي وتكون محملة بالأملاح وتضرب في حوائط الآثار والمقابر وتحولها إلى ما يشبه البودرة. وقد تأكدنا بأنه لا خوف على «أبو الهول» وأنه بخير، وكان هذا الموضوع فرصة لكي نثبت للعالم كله أن ما يقال عن «أبو الهول» وهرم «خوفو» هي تخاريف نطلق عليها «تخاريف أمريكية»، حيث إن منبعها غالبًا ما يكون من أمريكا ثم تنتشر في أنحاء العالم.. والآن وبعد أن شاهد كل الناس الاكتشافات الأثرية تذاع على قنوات مختلفة، ومنها أسرار المومياوات والأهرامات، فأعتقد أنهم نسوا هذه القصص الخيالية وبدءوا يعيشون في مغامرة حقيقية للكشف عن الآثار.



فتحة الممر أسفل تمثال «أبو الهول»



جانب من أعمال الحفر أمام تمثال «أبو الهول»

لغز الهرم الأكبر



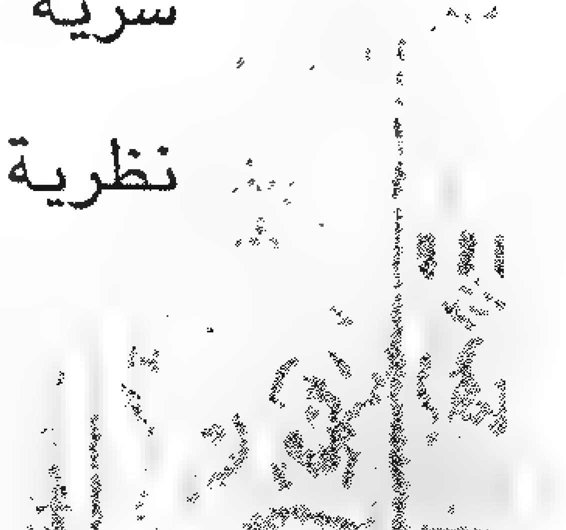
هرم الملك خوفو بالجيزة



سيظل هرم الملك «خوفو» – أكبر وأعظم الأهرامات المصرية – يثير خيال العلماء والعامة في كل مكان. هذا البناء المعماري المعجز وعبقرية التصميم الهندسي الذي وضعه المهندس المعماري «حم إيونو» يمثل لغزًا يحاول العلماء الأثريون فك طلاسمه. ولأنه أعظم بناء معماري شيده المصريون القدماء، نجد أن المتخصصين وغير المتخصصين يحاولون الوصول إلى حل لغز البناء المحير، وبداية نجد العذر لكل هؤلاء، حيث إن روعة البناء وتناسقه ودقته المتناهية تجعل الجميع يحاول الوصول إلى معرفة حقيقة الهرم الأكبر.

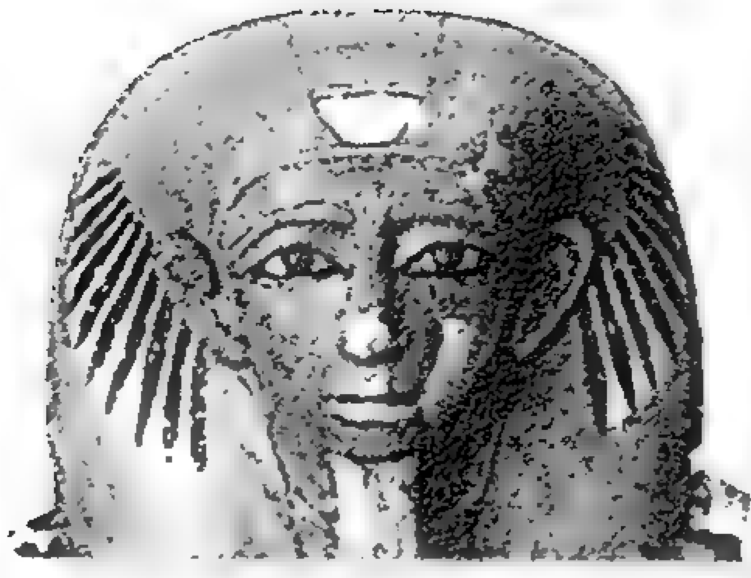
خرج علينا أخيرًا بعض الأشخاص الفرنسيين الذين لا يتبعون أي مؤسسة علمية ينادون بضرورة الحصول على تصريح من المسئولين عن الآثار لعمل ثقوب بأرضية الحجرة الثانية داخل الهرم والمعروفة خطأ باسم (حجرة الملكة)؛ وذلك لاعتقادهم أن حجرة الدفن الحقيقية للملك «خوفو» لاتزال موجودة لم تكتشف داخل الهرم وأسفل الحجرة الثانية بالذات. وقد رفض المجلس الأعلى للآثار هذا الطلب والسبب معروف طبعًا، حيث إنهم، وكما قلت، غير معنيين بالعمل في الآثار، ولا ينتمون لأي مؤسسة علمية. والمشكلة الحقيقية أن هؤلاء الأشخاص استطاعوا الحصول على تصريح في عام 1986م، وذلك لعمل ثقوب في سطح الممر الذي يؤدي إلى الحجرة الثانية، وأعلنوا يومها أن الثقوب التي أحدثوها أخرجت رمالاً مما يدل على وجود شيء مهم في هذا المكان. وبعد ذلك وبينما كنت أتصفح إحدى المجلات الفرنسية وجدت صورة الفرنسيين على الغِلاف بعنوان «إحنا اللي خرمنا الهرم». فهل نسمح لهؤلاء بالعبث في آثارنا دون هدف؟! وقد اتصلوا بالعديد من المسئولين بشأن الحصول على تصريح آخر، ولكننا رفضنا تمامًا حتى عندما حصلوا على تأييد أحد الفرنسيين المتخصصين في اللغة، وليس له دراية بالحقل الأثري، وممن يعتقدون أن مصر لاتزال تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي، وباءت كل محاولاتهم بالفشل.

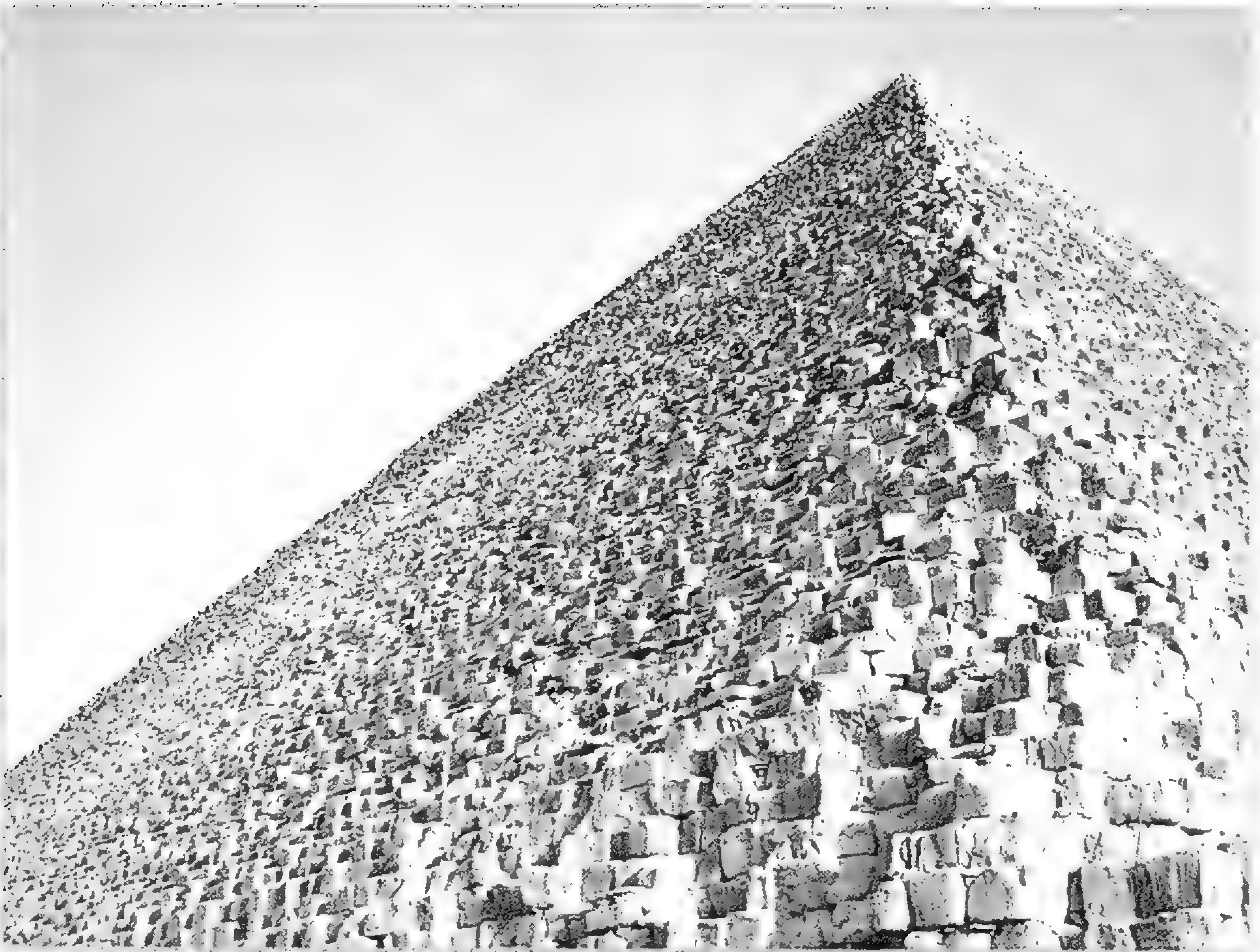
وعندما سافرت إلى جرينوبل لحضور مؤتمر المصريات وكان يحضره آلاف العلماء استغل هؤلاء الأشخاص الفرصة وبدءوا يتصلون بالصحافة الفرنسية زاعمين أنهم على أعتاب الكشف عن حجرة سرية مليئة بالكنوز داخل الهرم، وأن مصر لم تسمح لهم بثقب الهرم، وقلنا إن هذا الزعم مجرد نظرية؛ أي أن نسبة صحتها لا تزيد على 1%، فهل نسمح للمغامرين والهواة بخرم الهرم الأكبر لمجرد



أنهم يتوهمون أنهم على أعتاب اكتشافات عظيمة، وأنهم قد توصلوا إلى حل لغز الهرم الأكبر؟! وقد لا يعرف هؤلاء أنه ما من يوم يمر إلا وتصل إليَّ رسالة يزعم صاحبها أنه توصل إلى حل لغز الهرم الأكبر وبات لديَّ آلاف النظريات من تأليف أناس لا علاقة لهم بعلوم الآثار.

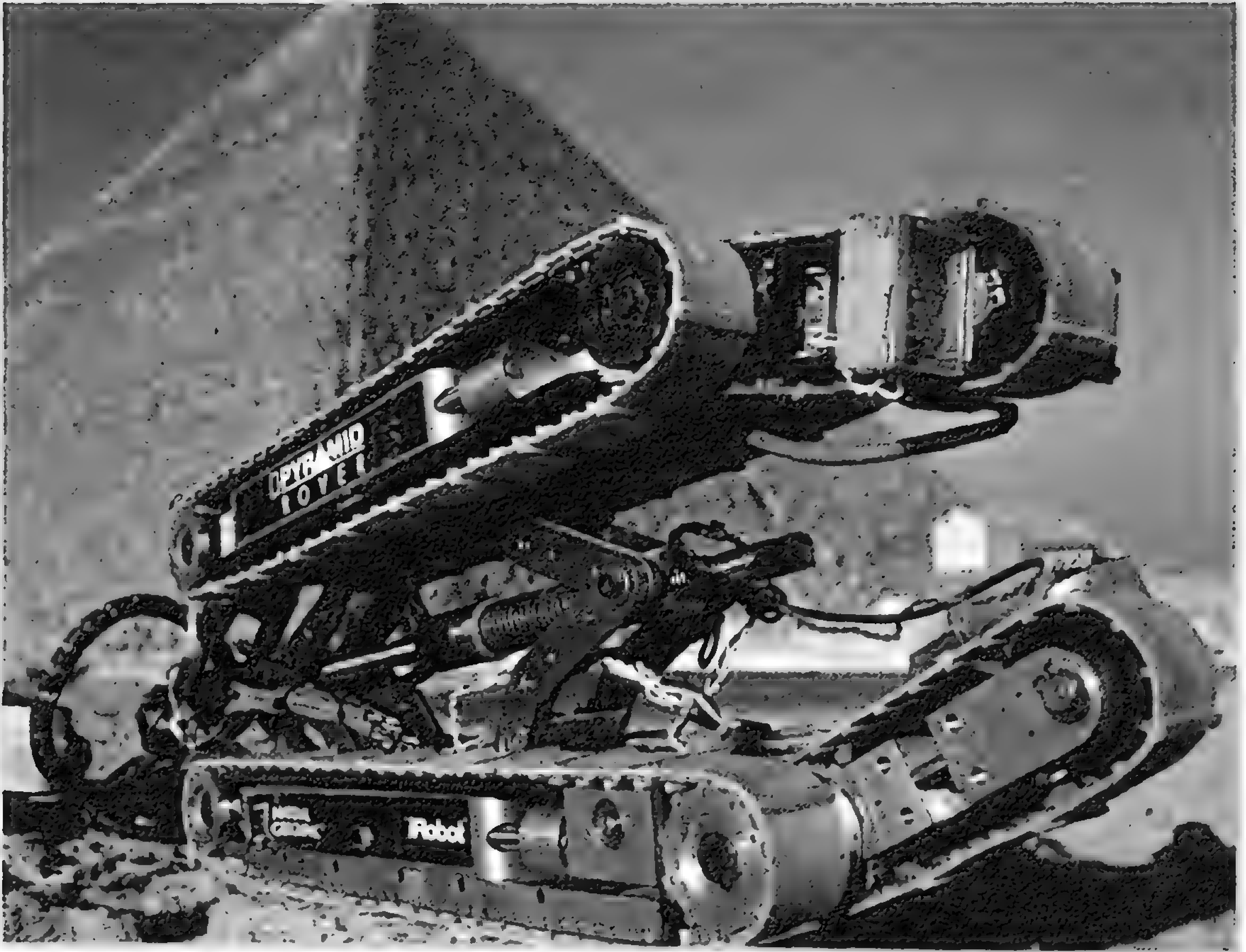
وقلت للصحافة الفرنسية: هل لو قمت بطلب خرم كنيسة نوتردام في باريس فهل تسمحون لي بذلك؟ وهنا سكت مندوبو الصحف... إن هرم «خوفو» هو سجل حي لتاريخ العالم كله، فيه استطاع الفراعنة تقديم إعجاز معماري وفني لم يستطع أي معماري في القرن الحادي والعشرين أن يقدم مثل هذا العمل المعماري الجبار.. وقد أعلنت جمعية المهندسين المعماريين في نيويورك أخيرًا أن المبنى الوحيد الذي مازالوا عاجزين أمام عبقريته هو هرم الملك «خوفو» بالجيزة إحدى عجائب الدنيا السبع الوحيدة التي مازالت باقية إلى الآن. أليس غريبًا أن يكون هو ذاته الهرم الذي حاول البعض أن يطرحه للتصويت عليه إذا ما كان يستحق أن يكون أعجوبة من عجائب الدنيا أم لا؟! ونسمع من عالم لغة مصري بأن الهرم سوف يزال اسمه من الكتب المدرسية والمراجع العلمية في حالة عدم اختياره من ضمن عجائب الدنيا! عجبي على هذا التفكير.. سيظل هرم «خوفو» معجزة المعجزات.





هرم الملك خوفو شاهد على عبقرية المهندس المصري القديم

هرم خوفو.. صناعة مصرية



الروبوت أمام الهرم



قبل عام 1990م، وبالتحديد يوم الثاني من أغسطس من هذا العام كنت ومعي علماء الآثار، سواء المصريون أو الأجانب، نتصدى لمزاعم اليهود في العالم كله وقولهم إن الأهرامات المصرية هي صناعة يهودية بناها أجدادهم، حتى إن مناحم بيجن نفسه وفي عام 1978م، قال عبارته المشهورة: «إنني سعيد جداً بزيارة مصر ورؤية الأهرامات التي بناها أجدادي». وكنت أفند آراءهم ومزاعمهم بالأدلة الأثرية التي تعطي تفاصيل واضحة عن الفترات الزمنية التي كان اليهود أثناءها يعيشون في مصر، والتي تلت عصر بناء الأهرامات بأكثر من ألف عام. أما بعد التاريخ الذي ذكرناه في مقدمة حديثنا فلم يعد هناك أدنى شك من قريب أو بعيد في أن الهرم هو صناعة مصرية خالصة يجسد مدى التقدم العلمي الهائل للمصريين القدماء في شتى مجالات العلم، والسبب هو أنني وفي هذا التاريخ كشفت عن جبانة «العمال بناة الأهرامات»، وهي الجبانة التي تقع إلى الجنوب من هرم الملك «خوفو» أكبر هرم على وجه الأرض، وفي هذه الجبانة دفن المصريون من الفنانين ورؤساء العمل والعمال الذين بنوا الأهرامات، وكان دفنهم في ظلال هرم الملك «خوفو» أسمى تقدير لهم على تفانيهم فيما كانوا يصنعون.

إن مزاعم اليهود لم تتوقف عند القول بأنهم سُخروا لبناء الأهرامات، بل خرج منهم البعض يروج لوجود مزامير داود في غرف سرية داخل هرم الملك «خوفو» وأسفل القدم اليمنى لـ«أبوالهول»، وكانت أبحاث قد أجريت باستخدام الرادار في المنطقة أمام أبو الهول وأسفل القدم اليمنى أسفرت عن عدم وجود أي أنفاق سرية أو غرف مخفية تحتوي على مزامير داود أو الكتب التي تركها سكان الأطلنتس المفقودة كما تقول جماعات الـ New Age.

وعندما قامت هيئة الآثار المصرية في 1992م، بتنظيف فتحات التهوية بحجرة الملكة عن طريق روبوت (إنسان آلي) صغير يحمل كاميرا دقيقة كشف في الفتحة الجنوبية (حوالي 20×20سم) عن وجود باب صغير بمقبضين من النحاس يغلق الممر الضيق الذي كنا نطلق عليه «ممر التهوية» بعد هذا الكشف أذاع اليهود في كل أنحاء العالم أن هذا الباب يخفي وراءه مزامير داود وكتب اليهود المقدسة، وللأسف بدأ البعض ينساق لدعايتهم حباً في معرفة الأسرار وحل الألغاز؛ لذلك كان حلمي هو أن تقوم بعثة مصرية خالصة بعمل أول استكشاف علمي للفتحتين الشمالية والجنوبية بحجرة

الملكة، وكان الأمر يتطلب تصنيع روبوت متناهي الدقة يكون له القدرة على المناورة داخل هذا الممر الضيق، وكذلك عمل فتحة دقيقة لا تتعدى المليمترات لإدخال كاميرا وتصوير ما خلف الباب السري للهرم، وقد استطعنا عمل ذلك في 2005م وكنت مصراً على أن يكون هذا العمل مذاعًا على الهواء مباشرة إلى العالم كله في رسالة واضحة أننا لا نخفي شيئًا، وأنه لا يوجد أي دليل على مزاعم سواء اليهود أو غيرهم من الحالمين بوجود الأطلنتس المفقودة.

لقد كان لإذاعة هذا العمل على الهواء مباشرة إلى العالم كله مردوده الكبير في زيادة وعي الناس وإظهار الحقائق لهم، وكذلك رؤية مدى عظمة الفراعنة الذين وصلوا في علوم الهندسة وفنون البناء إلى أرقى المراتب، وهذا ما أظهرته رحلة الإنسان الآلي الصغير، والتي أطلقنا عليها «رحلة القرن»، حيث كان يمكننا لأول مرة رؤية الجسم الداخلي للهرم وكيف تم وضع حجارته بمنتهى الدقة والبراعة. وكانت المفاجأة وجود سدة حجرية خلف باب ممر التهوية الجنوبي، وباب حجري صغير بمقبضين أيضًا من النحاس، وذلك في ممر التهوية الشمالي. وقريبًا سنقوم برحلة أخرى إلى داخل الهرم لمعرفة سر هذه الأبواب.

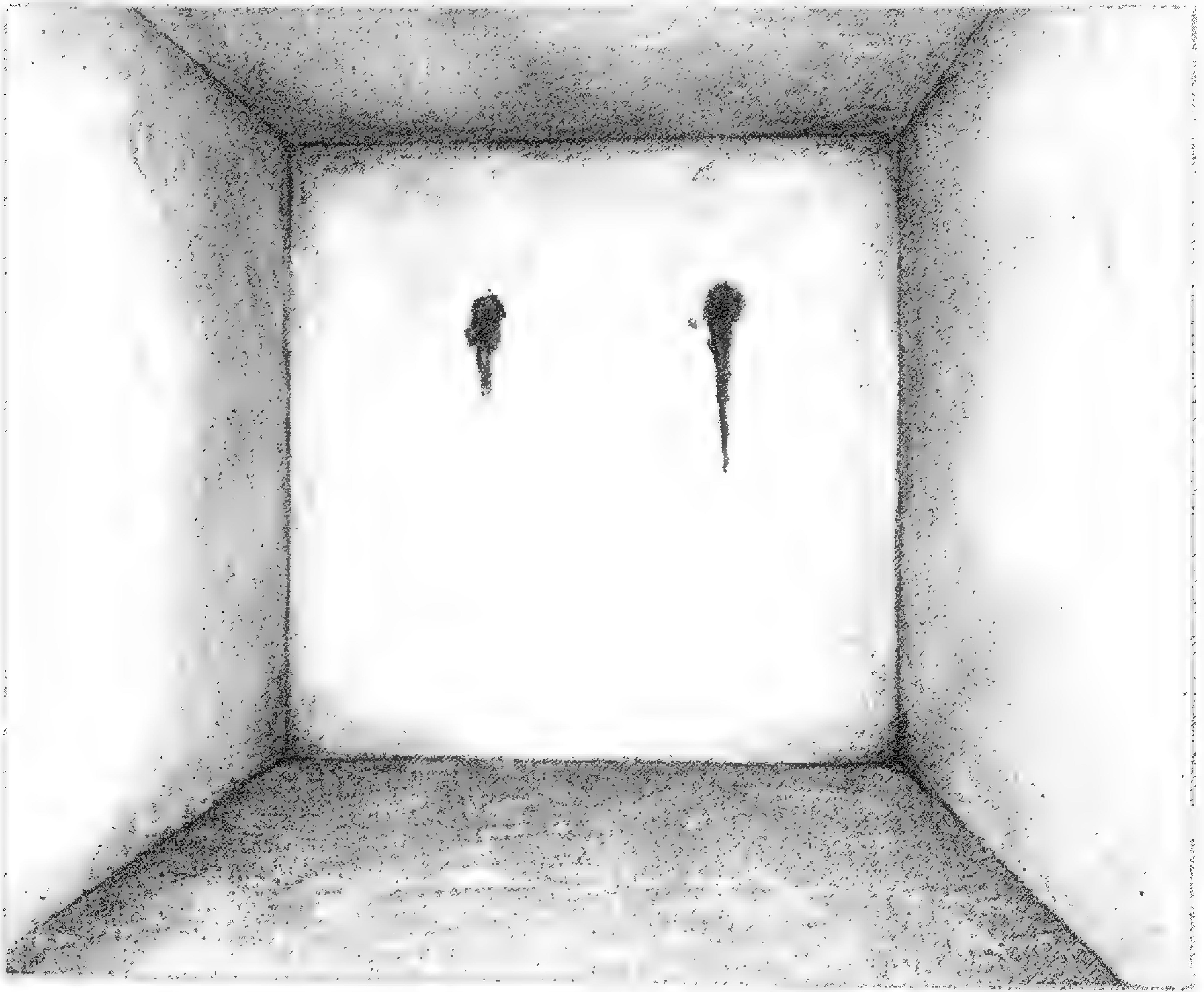


المؤلف يراقب دخول الروبوت للهرم



منظر للسدة التي تقع خلف الباب السري بالهرم الأكبر

الباب السري داخل هرم خوفو



الباب ذو المقبضين النحاسيين



هل يمكن أن يكون هذا العام – 2009، عام الكشف عن أسرار هرم الملك «خوفو»؟. أعتقد أننا لانزال نذكر الليلة التي لا تنسى في عالم الآثار عندما سهر العالم كله أمام شاشات التلفزيون يتابع الإنسان الآلي وهو يدخل داخل الهرم ويصور وجود باب ثانٍ خلف الباب الأول، الذي كان قد كُشف عنه في التسعينيات من القرن الماضي وله مقبضان من النحاس. وتقع هذه الأبواب على عمق حوالي 200قدم داخل النفق الصغير الذي لا يزيد مدخله عن 20×20سم. وعندما أرسلنا الإنسان الآلي داخل الفتحة الشمالية بالحجرة المعروفة بحجرة الملكة وجدنا أنها لا تسير في اتجاه واحد بل تتحول إلى اليسار تارة وإلى اليمين تارة أخرى وذلك بعد مسافة 8أمتار من بدايتها، وكانت المفاجأة أن المعماري المصري العظيم كان يحاول تفادي ما هو معروف بالبهو العظيم داخل الهرم الأكبر، وكذلك كانت المفاجأة الأخرى هي وقوف الروبوت أمام باب من الحجر الجيري وبمقبضين من النحاس أيضًا.

وأمضينا السنوات السابقة في تجارب وتباحث مع ثلاث فرق علمية، واحدة من هونج كونج، وأخرى من سنغافورة، والثالثة من جامعة مانشستر بإنجلترا، وقام كل فريق باختراع إنسان آلي وقمنا بعمل نفق تجريبي في الصحراء مشابه تمامًا لذلك النفق الموجود داخل جسم الهرم.. وخلال الشهور القادمة سوف يتم اختيار الفريق الذي سوف يعمل معنا في حل لغز هذه الأبواب. وسوف يحضر فريق جامعة مانشستر للتجربة الخاصة قبل أن يفعل ذلك أمام اللجنة العلمية المشكلة لاختيار الفريق الذي سوف يكشف أسرار الهرم.. هل يمكن أن يكون عام 2008 هو عام الأهرامات؟ ونشاهد ما هو موجود خلف هذه الأبواب؟ وقد قررنا ألا نذيع هذا الحدث على الهواء كما تم من قبل لضرورة التأني العلمي واختلاف الظروف كذلك، ففي المرة الأولى كان من الضروري إذاعتها لكي نثبت للعالم كله بأنه لا يوجد شيء مخبأ داخل الهرم يشير إلى حضارة مفقودة أو إلى قوم هبطوا من السماء، كذلك لدحض ادعاءات اليهود بأنهم بناة الأهرام، ولكي نثبت أمام العالم كله أن سر الهرم هو عبقرية المصري القديم الذي استطاع أن يبني هذا الهرم منذ 4500 سنة بالعمل الجاد والإصرار على الإنجاز، فكان أخذه بأسباب العلم هو سر تفوقه على الأمم كلها؛ ولذلك كان غريبًا من بعض الذين لا يقدرون قيمة الهرم أن يقولوا إن الهرم قد خرج من عجائب الدنيا السبع.. والآن وبعد مرور حوالي العام على هذا الاختيار الزائف، هل يتذكر أحد منا العجائب التي اختيرت؟ بالطبع لا، فنحن نتذكر فقط الهرم

الأكبر أعجوبة العجائب والوحيدة الباقية إلى الآن، شاهدة على حضارة قوم أحبوا ما يصنعون، فأتقنوا صنعه؛ ولذلك فمن الخطأ أن نتبع المخادعين ونردد أقوال الجهلة الذين تباكوا متسائلين ماذا نفعل عندما نجد الهرم خارج مقررات الدراسة؟! لو كان هناك قانون يحاكم المخادعين والمضللين والباحثين عن الشهرة لكنا حاكمنا هؤلاء، لكننا نجدهم للأسف في كل مكان، ولهم من يصدقونهم من صحفيين وغيرهم، وهؤلاء لن ينتقصوا من قيمة هرم الملك «خوفو».. المعجزة المعمارية التي لن تتكرر، ولانزال نحاول كشف أسراره..





الروبوت وهو في طريقه داخل الممر السري بالهرم الاكبر

مقبرة رئيس الديوان الملكي



المؤلف وفاروق حسني وزير الثقافة أثناء فتح تابوت «إيوف عا»



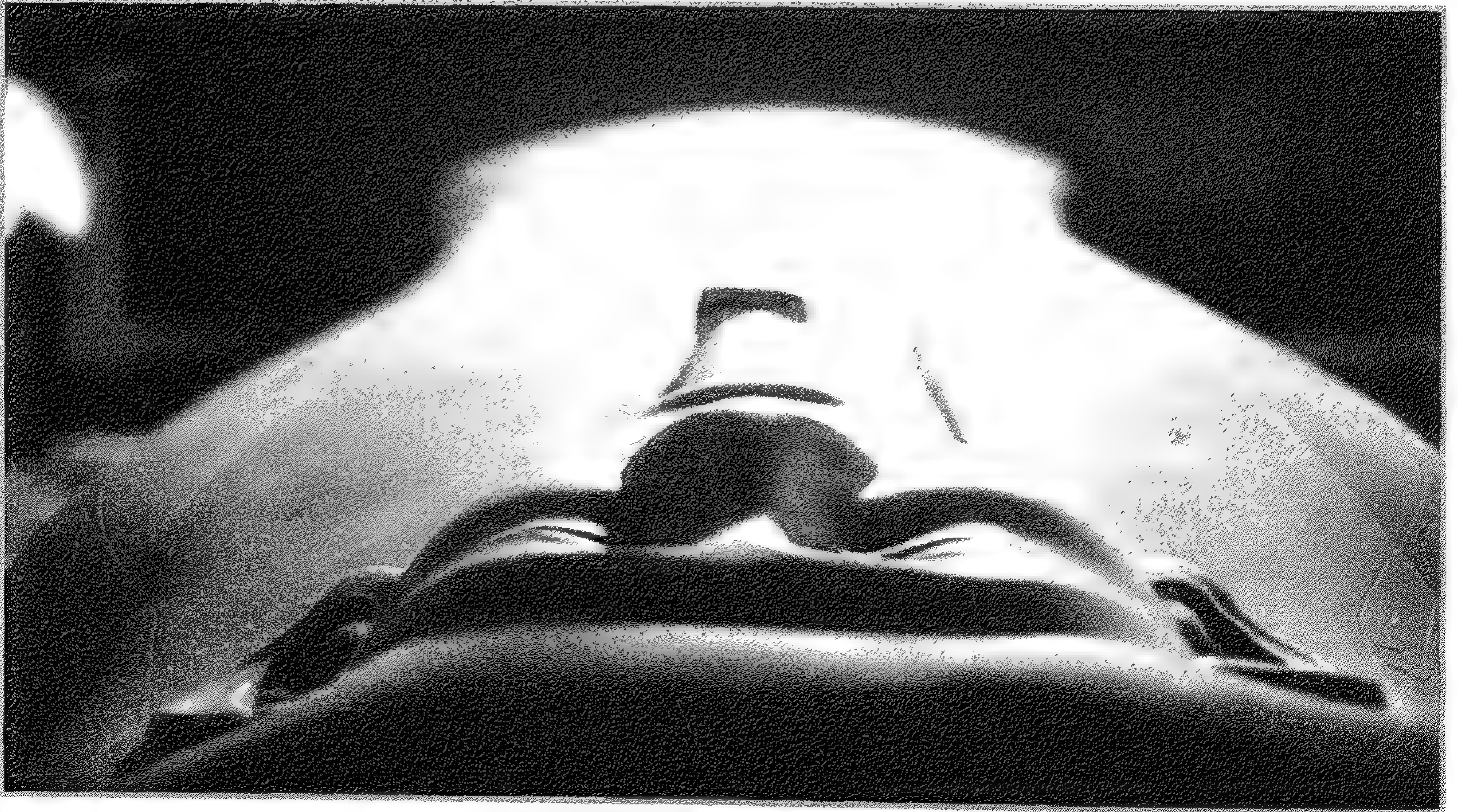
مما لا شك فيه أن عالم الفراعنة هو عالم السحر والخيال، وعلى الرغم من أن عدد المقابر التي تم كشفها سليمة، لم يدخلها بشر بعد دفن أصحابها قليلة جدًّا، فلا يزال الفراعنة وعالمهم مجالاً خصبًا لخيال العامة ولإبداع الأدباء. وسيكون حديثنا في مقالات قادمة بإذن الله عن أهم الاكتشافات الأثرية التي حدثت في عالم الفراعنة، وكذلك القصص التي تدور حول كل كشف جديد، وهي القصص التي أحيانًا ما تكون أكثر إثارة من الكشف نفسه.

عندما نشرت كتابي بعنوان «أسرار من الرمال» كتبت فيه عن القصص والحكايات التي حدثت قبل وبعد الاكتشافات التي قمت بها في حياتي، سواء بأهرامات الجيزة أو سقارة أو وادي المومياوات الذهبية بالواحات البحْرية. ووجدت اهتمامًا غير عادي من العامة بتلك القصص التي تقربهم إلى حد بعيد من ذلك العالم الغامض المثير. ومنذ سنوات قليلة كشفت البعثة التشيكية، والتي يرأسها عالم المصريات ميروسلاف فيرنر عن مقبرة كاملة لم يمسها إنسان منذ أكثر من 2500 سنة، وهي مقبرة المشرف على القصر الملكي «إيوف عا» التي كُشف عنها بمنطقة «أبو صير» التي تقع بين أهرامات الجيزة وسقارة ويوجد بها أكثر من 11 هرمًا أطلق عليها اسم (الأهرامات المنسية)، والمقبرة ترجع إلى ما نسميه بنهاية العصر الصاوي؛ أي عصر الاسرة السادسة والعشرين من التاريخ المصري القديم.

وعندما عثر على هذه المقبرة وجدنا أنها داخل بئر ضخمة يصل عمقها إلى 30 مترًا والسقف في حالة سيئة جدًّا ومنهار؛ ولذلك اتفقت مع فيرنر على ضرورة أن نبني قبة خرسانية فوق المقبرة لحمايتها. واستمر العمل عامًا كاملاً حتى بُنيت قبة من الخرسانة وقد تذكرت أن هذا العمل هو نموذج مصغر من القبة التي بُنيت في «أبو سمبل» ووضع فوقها الرمال لكي تبدو كأنها جبل صخري طبيعي، وبعد ذلك نقل معبد الملك «رمسيس الثاني» أسفل هذه القبة. وقد زارني فيرنر بمكتبي بمنطقة الهرم وأخبرني بأنه تم العثور على مقبرة كاملة لم تفتح من قبل ولم يمسسها بشر، وطلب مني أن اشترك معه في الكشف عن المقبرة. ووجدنا حوالي 408 تماثيل صغيرة يطلق عليها اسم (الشوابتي) أو التماثيل المجيبة، وقد كان المصريون القدماء يضعونها بجوار المومياء لكي تجيب عن الأسئلة التي توجه للمتوفى في العالم الآخر، وكذلك لكي تعمل وتؤدي الأعمال التي من المفروض أن يؤديها المتوفى نفسه في العالم الآخر، ولذا نجد أن هناك تمثالاً معينًا لكل يوم من أيام السنة بعدد 365



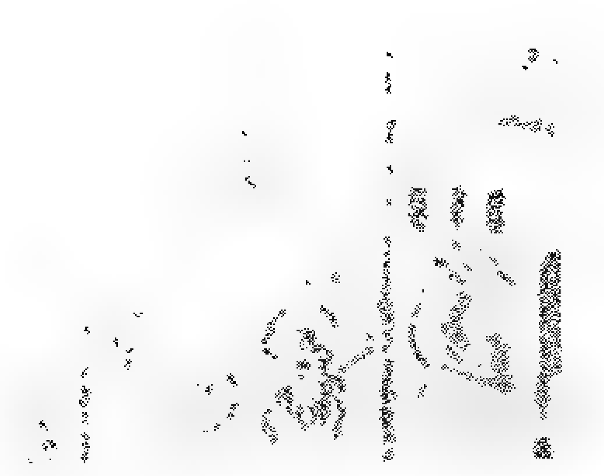
يومًا، وبعد ذلك يوجد حوالي 35 تمثالاً تمثل المشرفين على التماثيل المجيبة، وهؤلاء من المفروض أنهم يشرفون على التماثيل المجيبة للتأكد من أدائها كل الأعمال المطلوبة منها بالإضافة إلى وجود ثمانية رؤساء لكل التماثيل. وكانت المفاجأة السارة عند الكشف عن مقبرة «إيوف عا» هي وجود تابوت ضخم جدًا من الحجر الجيري الجيد، والذي يزن حوالي 60 طنًا تقريبًا ويوجد في منتصف المقبرة وعندما قمت بفحص التابوت وجدت أنه لم يفتح من قبل؛ أي أنه مغلق منذ أن دُفن صاحبه بداخله. وقابلت فاروق حسني وزير الثقافة وأخبرته بالكشف واتفقت معه على إقامة مؤتمر صحفي عالمي بـ «أبو صير» للإعلان عن هذا الكشف ورويت له قصة فتح تابوت الملك «سخم خت» بسقارة أمام الرئيس جمال عبد الناصر والعديد من الصحفيين عندما وجد التابوت خاليًا من وجود مومياء الملك. واتفقنا على أن يتم فتح التابوت أولاً ثم الإعلان عن الكشف، ولذلك توجهت إلى «أبو صير» وشاركت في فتح التابوت الضخم قبل أن تأتي الصحافة واشترك في هذا العمل الريس طلال الكريتي وأخوه الريس أحمد وهما على دراية كبيرة بفتح التوابيت الضخمة ونقل الأحجار والتماثيل، وقد تعلما هذه المهارة عن أجدادهما والكل ورث هذا العمل عن المصريين القدماء. وبدأنا في فتح التابوت



تابوت إيوف عا المشرف على القصر الملكي - أبو صير



الضخم في عملية صعبة ومثيرة في الوقت نفسه، واستمر هذا العمل حوالي أسبوع، ولك أن تتعجب كيف استطاع المصريون القدماء إدخال هذا التابوت داخل هذه البئر التي يصل عمقها إلى حوالي 30 مترًا. وبعد أن تم فتح التابوت كانت المفاجأة هي العثور على تابوت آخر أسفله بوجه إنسان من البازلت شَكَّله المصريون القدماء بطريقة جميلة جدًّا وعليه نقوش غائرة من الكتابة الهيروغليفية وتمت عملية النظافة فوق التابوت الثاني ثم بدأ العمل ببطء شديد جدًّا في فتح التابوت البازلتي لمعرفة ماذا يوجد داخله وفي تلك اللحظة حبسنا أنفاسنا تمامًا وأصبح الجميع في سكون تام لا يُسمع سوى صوت المعدات التي استعملها العمال في فتح التابوت وبعد لحظة. كانت المفاجأة وهي العثور على مومياء رائعة جميلة لم أرَ مثيلاً لها من قبل مغطاة بطبقة رائعة جميلة من الخرز الأخضر. وفي اليوم التالي جاء الصحفيون وأعلنا عن هذا الكشف المهم! ومن الغريب أن صاحب المقبرة كان يعمل رئيسًا للقصر ولم يصب لعنته علينا.



كشف هرم جديد فى سقارة



هرم الملكة «سششت» بسقارة



لم يتصور أحد أن نعلن أمام العالم كله في مؤتمر صحفي العثور على هرم جديد بمنطقة آثار سقارة إحدى أهم جبانات العاصمة منف القديمة... وتأتي أهمية هذا الكشف بأنه الهرم الأول من نوعه الذي يتم اكتشافه ويصل ارتفاعه الحالي إلى خمسة أمتار، وقد قام بالكشف البعثة المصرية التي أتولى رئاستها. وفي الواقع أنني لم أكن أتوقع الكشف عن هذا الهرم إطلاقًا، ولن أردد ما يحلو للبعض ترديده في مثل هذه الحالات من أنهم كانوا يحلمون ويسعون وراء هذا الكشف، بل إنهم أحيانًا يزعمون بقاءهم السنوات تلو السنوات يبحثون عن هذا الهرم أو تلك المقبرة حتى عثروا عليها. أما سبب عدم توقعي وجود هذا الهرم فهو أن أهرامات زوجات الملك «تتي» أول ملوك الأسرة السادسة وصاحب المنطقة التي حدث بها الكشف موجودة وقد كُشف عنها منذ سنوات بعيدة، وهما هرما الملكة «إيبوت» والملكة «خويت» وقد قمت بإعادة الكشف عنهما، وكذلك الكشف عن المعبد الجنائزى للملكة «خويت» بل والكشف عن مقبرة الأمير الوراثى «تتي عنخ كم» الابن الأكبر للملك «تتي» والذي ربما يكون قد مات ضحية مؤامرة أودت بحياته مع أبيه.

أما الهرم الجديد فيحتمل أن يكون هو هرم أم الملك «تتي» وتدعى الملكة «سششت» ولا نعرف عنها إلا ما ورد في إحدى البرديات الطبية من انها كانت تبحث عن عقاقير لتعالج شعرها، ولكونها الوحيدة التي لم يعثر لها على مقبرة أو هرم فهي المرشح رقم واحد لأن تكون صاحبة الهرم الجديد حتى ظهور أدلة أخرى تؤكد ذلك أو تنفيه.. وقد وصلنا الآن في الحفائر إلى باب المدخل المؤدي للهرم حيث تم الكشف عن كتلة من الجرانيت تقوم كمتراس يسد المدخل. ولا أعتقد أننا سوف نكشف داخل حجرة الدفن عن مومياء الملكة خاصة؛ لأن اللصوص قاموا بحفر نفق من أعلى قمة الهرم ونزلوا إلى الداخل لنهب محتوياته. إلا أنه من المحتمل الكشف عن تابوت من الجرانيت داخل حجرة الدفن أو بعض الآثار المتبقية من العتاد الجنائزي للملكة مما خلفه اللصوص وراءهم.

والكشف عن عمارة هذا الهرم يمدنا بتفاصيل معمارية كثيرة تجعلنا نضعه بين أهرامات الأسرتين الخامسة والسادسة من الدولة القديمة. وحول الهرم يقوم سور ضخم من الحجر الجيري وقد عثرنا في الناحية الغربية على جزء من الكساء الخارجي للهرم من الحجر الجيري الأبيض الذي كان الفراعنة يقطعونه من محاجر طرة الملكية بالقرب من حلوان على الضفة الشرقية لنهر النيل. وبحساب زاوية

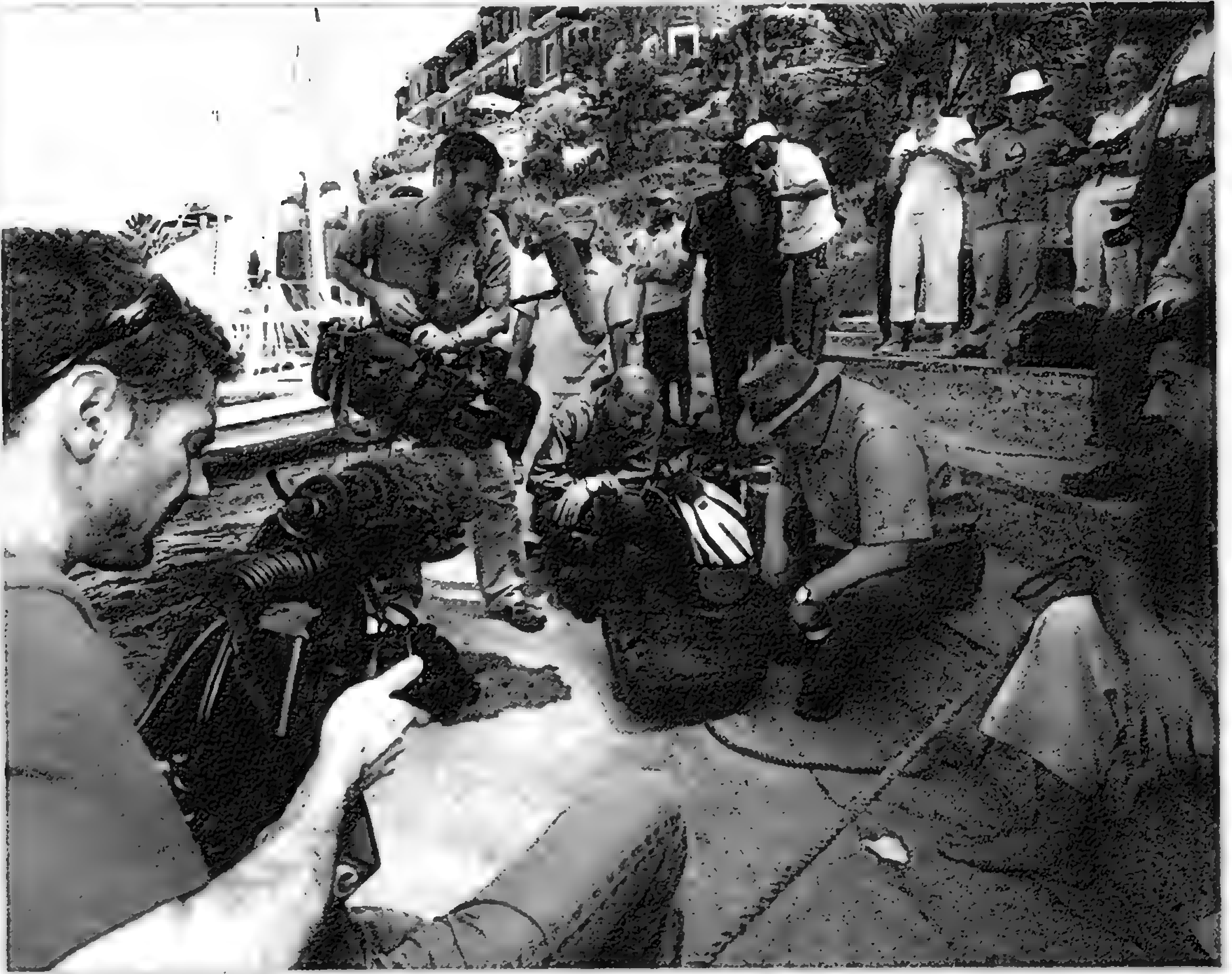
بناء الهرم 51. يمكننا القول بأن ارتفاع الهرم الأصلي كان 15مترًا. أما المنازل التي بُنيت من الطوب اللبن وعثر عليها في الناحية الغربية من الهرم فهي إما مخازن وإما منازل للكهنة القائمين على الخدمة الجنائزية.

ويحتمل أن الهرم نهب أكثر من مرة على مر العصور القديمة، وجاء التدمير الشديد لعمارته في العصر المتأخر، ثم غطته الرمال لارتفاع أكثر من 20 مترًا. وسر سعادتي بهذا الكشف هو أنه الهرم رقم خمسة الذي أقوم باكتشافه خلال حياتي العملية؛ منها –كما ذكرت– الهرمان اللذان أعدت كشفهما للملكتين «خويت» و«إيبوت» زوجتي الملك «تتي»، والثالث هو الهرم رقم 29 بجوار هرم «تتي». أما الهرم الرابع فهو الهرم العقائدي للملك «خوفو» صاحب الهرم الأكبر. وأجمل ما في كل كشف هو فرحة كل المصريين به وتهنئة الناس لي قائلين: «مبروك الهرم الجديد»...



حجرة الدفن والتابوت الجرانيتي للملكة سشسشت (١) ام الملك تتي - سقارة

كنوز تحت الماء



المؤلف أثناء فحص القطع الأثرية المكتشفة بقاع نهر النيل



في الحقيقة لم أكن أبدًا من المهتمين بموضوع الآثار الموجودة تحت الماء، والسبب معروف بالطبع، وهو أنني قضيت عقودًا بعد انتهاء الدراسة الجامعية أحفر عن الآثار تحت رمال الصحراء حتى صرت عاشقًا لرمال مصر ونمت بيننا لغة خاصة لا يعرفها إلا أهل الصحراء. ولي مقولة معروفة أعلنها دائمًا في كل محاضراتي وهي: «أننا كشفنا حتى الآن عن حوالي 30% من آثارنا ومازال هناك70% تحت الرمال لم تبح بعد بأسرارها». كذلك لا أخفي خوفي الشديد من الغطس تحت الماء، على الرغم من أنها لم تكن سوى تجربة واحدة تلك التي مررت بها، وهي عندما ذهبت وصديقًا يمتلك مركبًا للغطس، وبدأ في إعطائي الدرس الأول في الغطس تحت الماء، ما هي إلا دقائق معدودة حتى خرجت من الماء وأنا أحس أنني أكاد أختنق، ولم أحاول تكرار التجربة مرة أخرى.

وقد بدأ اهتمامي الفعلى بالآثار الغارقة مع اهتمامي بدراسة الأهرامات ومعرفة قصة غرق تابوت الملك «منكاورع» صاحب الهرم الثالث، أصغر أهرامات ملوك الجيزة، والذي غرق أثناء نقله إلى إنجلترا بالقرب من شواطئ إسبانيا. وعندما اخترت لكي أكون واحدًا من المكتشفين عن طريق الجمعية الجغرافية كان معي من المكتشفين بيل بيلارد وهو مكتشف الباخرة الشهيرة تايتنك في قاع المحيط الأطلنطي، واتفقت معه على أن نشترك معًا في الكشف عن تابوت الملك «منكاورع» في قاع البحر. كذلك نشأ اهتمامي بالآثار الغارقة مع معرفتي بأهمية نهر النيل ومدى ارتباط شريان الحياة هذا بالفراعنة وخاصة بناء الأهرامات ونقل الأحجار والتماثيل عبر النهر إلى مواقع البناء. ولدينا محاجر الجرانيت الشهيرة بأُسْوان، حيث قام الفراعنة بقطع الأحجار لكي تكسى بها الأهرامات وتصنع منها أيضًا حجرات الدفن، كما هو الحال في الحجرة الثالثة لهرم الملك «خوفو» بالجيزة. وخلال عصر الدولة الحديثة نقل العديد من المسلات من أُسْوَان إلى المعابد المقامة في البر الشرقي من الأقصر وخاصة معابد الكرنك والأقصر. ويوجد أيضًا محاجر للحجر الرملي موجودة بجبل السلسلة وكان الألباستر ينقل من محاجر حتنوب بمصر الوسطى أو بالتحديد إلى الجنوب من مدينة المنيا مباشرة. ولأن بناة الأهرام الذين برعوا في صنع أعظم حضارات العالم القديم كانوا مثل أي بشر يصيب ويخطئ فلنا أن نتوقع تعرض الفنان والنحات المصري القديم وكذلك عمليات النقل عبر النيل لبعض الحوادث كسقوط تماثيل ومسلات في قاع النيل أثناء عمليات النقل، ومن هنا

يأتي دورنا في البحث عن هذه الكنوز الغارقة. ليس هذا فقط، بل إن العديد من الحوادث قد حدثت في عصورنا الحديثة وأدت إلى غرق قطع أثرية مهمة في قاع النيل، منها على سبيل المثال ما نعرفه عن أوجست مارييت أول من أنشأ وتولى رئاسة مصلحة الآثار حيث حفر في دراع «أبو النجا» بمدينة الأقصر وعثر على مسلتين صغيرتين، وقام بعد ذلك ماسبيرو بنقلهما إلى القاهرة، ولكن المسلتين غرقتا في قاع النيل على بعد حوالي 10كم إلى الشمال من معبد الكرنك. ولذلك قررت أن أبدأ أول مغامرة في البحث في قاع النيل والعثور على هذه المسلات الغارقة.. وسوف تكون هذه هي المغامرة الأولى في البحث تحت الماء، وبعدها ستتوالى بإذن الله أسرار الاكتشافات الأثرية الغارقة، فهل سيكون لها نفس جمال وسحر أسرار الرمال؟



المؤلف يقوم بفحص احدى القطع الأثرية المستخرجة من مياه النيل

يوم العيد عند الفراعنة



سيدات من الطبقة العليا أثناء احتفالهن بأحد الأعياد - البر الغربي بالأقصر

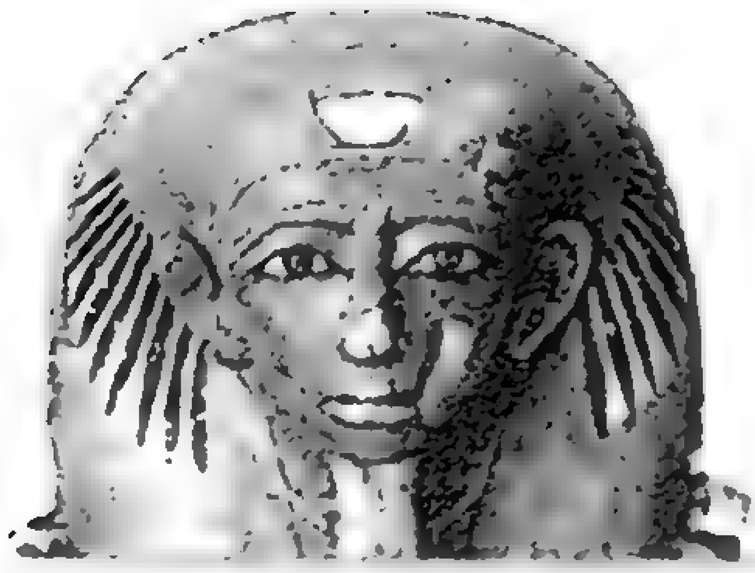


لم يعرف شعب البهجة والفرح أكثر من الفراعنة، فكان حب المصري القديم للحياة أحد أسباب إبداعه في شتى مناحي الحضارة، ويخطئ البعض عندما يظن أن اهتمام المصريين القدماء بمقابرهم هو تأكيد على حرصهم على الموت أكثر من الحياة، فعلى العكس تمامًا كان اهتمامهم بمقابرهم وتحنيط أجسادهم واتخاذ كل السبل لتأمين مكان راحتهم الأبدي هو رغبة في البقاء والخلود، فالموت بالنسبة للمصري القديم كان مجرد مرحلة انتقالية من حياة إلى حياة أخرى أبدية. والعيد بالنسبة للمصري القديم كان مناسبة احتفال وفرح، ولا تختلف كثيرًا احتفالاتهم بأعيادهم عما نقوم به الآن، فكان العيد مناسبة للترويح عن النفس بعيدًا عن العمل؛ فيه تطهى أشهى الأطعمة من لحوم الطيور والثيران وتفرش الموائد على أنغام الموسيقى، وتقوم فتيات جميلات بخدمة كل من دُعِي إلى مائدة العيد، وذلك في منزل أحد النبلاء، وهن في ثياب مبهجة من الكتان الأبيض والأحزمة الملونة وأغطية الرأس التي تفوح بأرقى أنواع العطور، يحملن أنواع الطعام ليضعنه أمام الضيوف. أما أفراد الشعب من البسطاء فكانوا يتوجهون إلى المعبد الذي كان يعد خصيصًا لاستقبال يوم العيد، وقد رفعت الأعلام المبهجة على صروحه وانسابت النغمات من بين جوانبه، والكهنة يطوفون بأرجائه في ثياب ناصعة البياض ينثرون الماء المعطر، ويحرقون البخور ليزداد المكان روحانية وخشوعًا. أما عن الموائد الملكية، فهي تحتاج إلى مؤلفات لوصف ما كانت عليه من بهاء، فكان الملك يجلس على عرشه المرتفع، والذي يحمله أربعة تماثيل لأسود وأمامه تجلس العائلة الملكية، يليها كبار الموظفين والنبلاء ثم بعض أفراد الطبقة الوسطى، وقد فرشت الموائد أمامهم واتخذ عازفو الهارب والناي أماكنهم وبدأ المغنون ينشدون أعذب الكلمات التي تدخل السرور إلى قلوب الحاضرين، ولحسن الحظ فقد حفظت لنا هذه المناظر منذ أكثر من أربعة آلاف سنة، وفيها نرى أجمل معاني الحب، حيث كان الملك يدعو الفنانين من النحاتين والرسامين ورؤساء العمال ممن يعملون في بناء هرمه إلى الاحتفال بيوم العيد.

وكانت أعياد الفراعنة كثيرة، من الصعب إحصاؤها، فلم تكن الأعياد تنقطع من أرض مصر فغالبًا ما كان هناك عيد أو أكثر في هذه المدينة أو تلك احتفالاً بمناسبة خاصة بمدينتهم كيوم تأسيسها مثلاً، أو مناسبة دينية خاصة بهم، هذا إضافة إلى الأعياد العامة التي كان يحتفل بها جميع

المصريين كيوم عيد رأس السنة، أو جلوس الملك على العرش، إضافة إلى الأعياد أو المناسبات الوطنية الخاصة، وفيها يحتفلون بذكرى انتصاراتهم على أعدائهم. والمثير أن يوم اكتمال هرم الملك كان يوم عيد مهيب، يحضره الملك بنفسه وطوائف الشعب كافة في العاصمة؛ للاحتفال بالانتهاء من مقبرة الملك، وفي هذا اليوم تنظم فرق من الجنود والعمال عددًا من المسابقات المشتركة كالمصارعة والتحطيب ورمي السهام، وكذلك سباق القوارب، وتذبح أعداد كبيرة من الثيران ليأكل المحتفلون ابتهاجًا بانتهائهم من بناء مقبرة الملك الذي كان بمثابة المشروع القومي للبلاد كلها.

ومما لا شك فيه أنه كان للأطفال النصيب الأكبر من البهجة والسرور خلال الأعياد، ففيها ينالون الملابس الجديدة ويحظون بألعاب يقدمها لهم الآباء، ويخرجون إلى الشوارع والساحات للعب مع أقرانهم، والجميع ينظرون إلى السماء ليحمدوا رب الكون على نعمة الحياة في مصر.. أرض الخير والعطاء، كل عام ونحن جميعاً بخير وسلام.



مناظر رقص إيقاعي من على جدران إحدى المقابر
بالبر الغربي - الأقصر

أعياد الفراعنة



«حاتحور» ربة الجمال والحب، و«حورس الإدفوي» رب مدينة إدفو - أسْوان

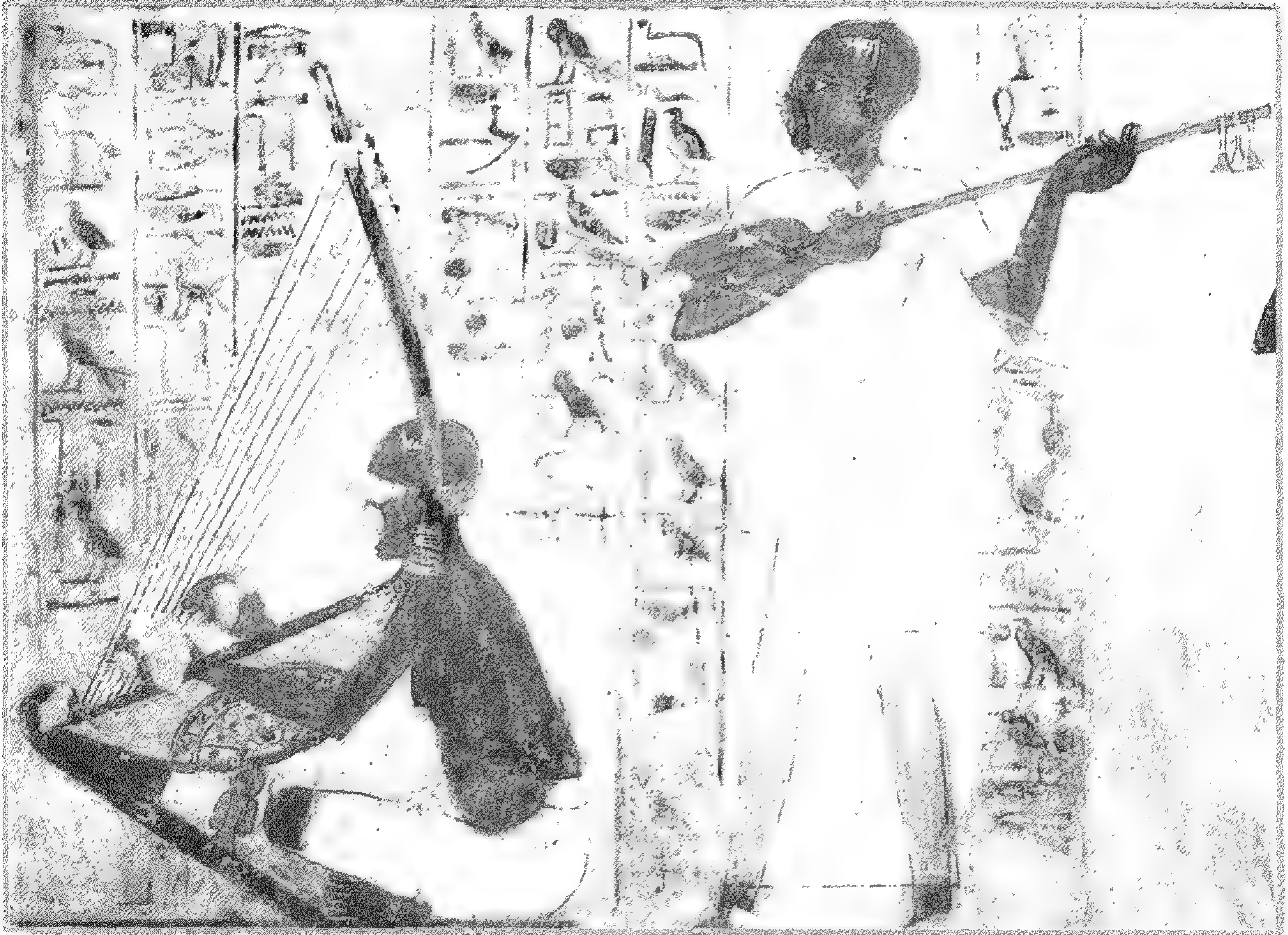


تعددت أعياد المصريين القدماء وتنوعت ما بين أعياد قومية يحتفلون فيها بذكرى انتصاراتهم على أعدائهم وذكرى مواقع حربية شهيرة كالاحتفال بطرد الهكسوس من مصر على يد القائد العظيم الملك «أحمس» أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وكذلك الاحتفال بذكرى المعارك المجيدة التي خاضها الفراعنة مثل «تحتمس الثالث» ومعركته الشهيرة (مجدو)، والذي لا تزال خططه الحربية تدرس في الأكاديميات العسكرية باعتباره أول من طور فنون الحرب وتكتيكاتها. كذلك كان المصريون القدماء يحتفلون بذكرى التوحيد الذي بُنيت عليه دولتهم بعد أن توحد الشمال (الدلتا) مع الجنوب (الصعيد) في كيان سياسي واحد. وإلى جانب هذه الأعياد القومية تعددت الأعياد الدينية عند المصريين القدماء حتى إن «هيرودوت» يذكر لنا أن الأعياد لم تكن تنقطع من أرض مصر، فقد لا يفصل بين العيد والآخر سوى بضعة أيام وما إن ينتهي الاحتفال بمناسبة دينية في مدينة ما، حتى يبدأ احتفال آخر في المدينة التي تجاورها، هذه الأعياد كانت إما للاحتفال بأساطير دينية كأسطورة «إيزيس وأوزيريس» وإما أعياد خاصة بآلهة البلاد الكبيرة وأحيانًا أعياد ذكرى تأسيس المعابد. وكان من أشهر وأطول هذه الأعياد عيد الزواج الإلهي بين «حاتحور» – ربة الجمال والحب، و«حورس الإدفوي» – رب مدينة إدفو بالقرب من أُسْوَان. ففي وقت محدد من كل عام كان كهنة «حورس» يحملون تمثال «حورس» الموضوع على قاربه المقدس ويبحرون عبر نهر النيل متجهين إلى الشمال لزيارة «حاتحور» في معبدها بدندرة بمحافظة قنا، وهناك تستمر الاحتفالات لأكثر من عشرة أيام ويظل «حورس» في ضيافة زوجته «حاتحور» داخل معبدها وتقام مسرحيات الزواج الإلهي بين كهنة وكاهنات كل من «حورس» و«حاتحور» ويستهلك المحتفلون بهذا العيد كميات كبيرة من النبيذ الذي كان يتم إعداده كل عام خصيصًا لهذه المناسبة، وكذلك كانت الأضاحي تنحر كل يوم ويتم توزيع لحومها بين الكهنة وسكان المدينة المبتهجين بهذا العيد.

ولأن مصر بلد زراعي اعتمد اقتصاده منذ أقدم عصورها التاريخية على الزراعة فقد تعددت الأعياد التي ارتبطت بالزراعة والفلاح، ففي كل عام كان المصريون يترقبون وصول مياه الفيضان الذي يأتيهم كل عام بالخير فيبذرون البذور وينتظرون حتى موعد الحصاد الذي كان بالنسبة لهم من أهم المناسبات التي تدعوهم للاحتفال، وكان موسم الحصاد هو موسم البهجة في طول البلاد وعرضها

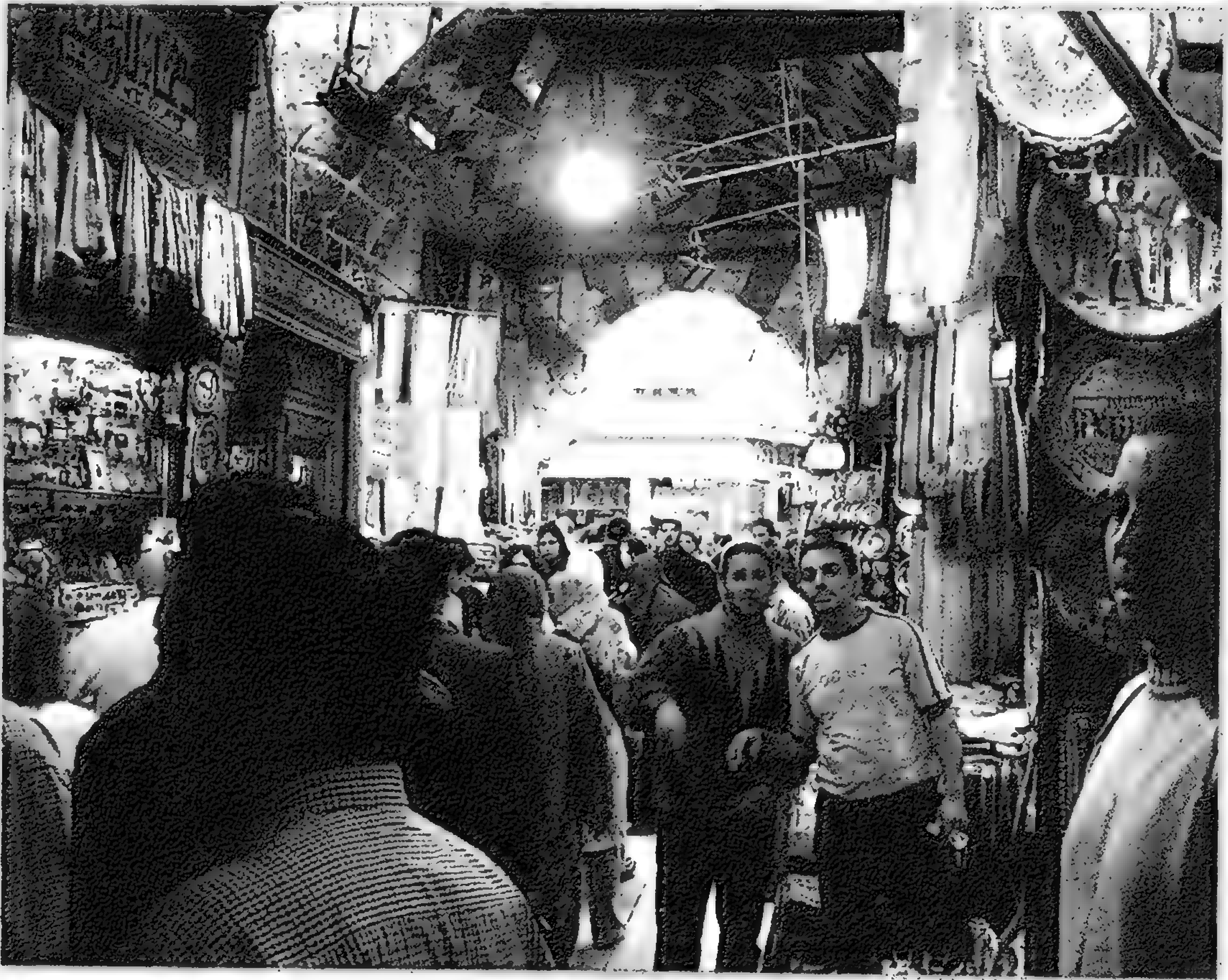
تعم فيه الاحتفالات كل أرجاء مصر، وكان مناسبة طيبة للفرق الموسيقية والمغنين والراقصين والراقصات لكي ينتقلوا من قرية إلى أخرى ومن منزل نبيل إلى آخر، فيقيموا الحفلات الموسيقية التي يرعاها الموسرون من كبار حكام الأقاليم وكبار الموظفين، وفيها تفرش الموائد ويتم طهي أشهى الأطعمة، وينال الأطفال حظهم من البهجة والسرور بفرحة هذه الأعياد مثلما نحتفل في يومنا هذا فيحصلون على الثياب الجديدة ويمنحون الهدايا من لعب الأطفال، وبالطبع كان العمل يعطل في هذه الأعياد وتتوقف الدراسة بالنسبة لتلاميذ وطلبة العلم في المدارس التي كان المعبد يشرف عليها. وأجمل ما في أعياد الفراعنة هو ارتباطها بالتعمير والتشييد، فكان يوم انتهاء مشروعاتهم الكبيرة يوم عيد بالنسبة لكل من عمل فيه، فكان يوم انتهاء بناء الهرم عيداً يحتفل فيه كل المصريين بإتمام المجموعة الهرمية لملكهم الذي كان يحكم وفق مبادئ الحق والعدل..





موسيقيون يلعبون على آلاتهم الموسيقية أثناء أحد الاحتفالات - طيبة الغربية

رمضان زمان



مظاهر الاحتفال برمضان في خان الخليلي



شهر رمضان هو أحب الشهور إلى نفسي، ومهما تمرّ السنوات فلا يمكن أن أنسى ذكريات رمضان الجميلة وروحانيات هذا الشهر الكريم التي عشتها في قريتي الصغيرة التي تسمى «العبيدية» وتقع بين محافظتي المنصورة ودمياط. وكنا نجتمع بعد الإفطار حول جهاز الراديو لسماع مسلسل «ألف ليلة وليلة»، أما قبل الإفطار فكنت أذهب مع الصبية إلى عم يونس لنتعلم القرآن الكريم، وفي المساء نجتمع حول عم الدسوقي لنسمع قصص عنتر بن شداد وسيف بن ذى يزن. ونطوف بشوارع القرية وأزقتها بفوانيس رمضان التي تضاء بالشموع. وكان من عادة والدي رحمه الله أن يصحبني معه إلى المضايف حتى السحور. وكانت أغلب العائلات تجتمع في صالون المنزل ويلتف الجميع لسماع القرآن الكريم والحديث عن أحوال القرية ونأكل الكنافة والقطايف. وكنا ونحن صبية نقوم بتأليف المسرحيات الوطنية والكوميدية ونعرضها في ميدان القرية.

بعد ذلك عشت رمضان في القاهرة أيام الشباب ولا تزال ذكرياته محفورة في ذاكرتي، فكنا نفطر يوميًا عند مسجد سيدنا الحسين وبعد صلاة العشاء والقيام كنا نذهب إلى المسارح أو نجلس على المقاهي نتسامر حتى موعد السحور. وعندما ذهبت إلى الأقصر للعمل كمفتش آثار بمنطقة وادي الملوك كان لرمضان طعم آخر وأنا أعيش بين مقابر الفراعنة وألتقي وزملائي الأثريين على مائدة الإفطار ثم نذهب للجلوس في الفندق الذي يملكه الشيخ علي آخر عمالقة عائلة عبد الرسول الذين كانوا يعرفون أسرار الفراعنة وكشفوا عن خبيئة السومياوات عام 1881م ومنهم الصبي الصغير الذي كان يحضر المياه للعمال وعثر على مدخل مقبرة «توت عنخ آمون»...

وعندما ذهبت إلى فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية لنيل الدكتوراه وعشت هناك سبع سنوات، كنت أتناول الإفطار مع صديق لبناني وزميلة مسيحية من لبنان أيضًا، وذلك قبل أن تأتي زوجتي وأولادي للإقامة معي، ومازلت أذكر تلك المسيرات التي كنا ننظمها في ذلك الوقت للاحتجاج على التصرفات العدوانية لإسرائيل بفلسطين أو بلبنان..

إن الصيام بأمريكا له مذاقه الخاص الذي يختلف عنه في الشرق، فهناك عرفت العديد من الأمريكان الذين يصومون معنا، لكي نفطر معًا، وكان الإفطار الجماعي له طعم خاص يقدم فيه أشهى المأكولات، أما الحاضرون فكانوا من مختلف الجنسيات بل والديانات كذلك، فمنهم المسيحي ومنهم اليهودي.

وكانت الأسر تتبارى في إقامة الموائد الرمضانية، بحيث كنا نفطر كل يوم في مكان مختلف.. وأجد نفسي الآن في رمضان أكثر قدرة على الكتابة والإبداع، ففي هذا الشهر الكريم يزيد إنتاجي العملي والعلمي، واعتدت على الذهاب إلى عملي مبكرًا، وبعد صلاة العصر أذهب لممارسة الرياضة. وبعد تناول الإفطار مع الأسرة أو مع الأصدقاء أنطلق لحضور الندوات الثقافية أو حفلات الموسيقى العربية التي تقام داخل بيوت القاهرة الأثرية كبيت السحيمي أو منزل الهواري أو داخل خيام الثقافة الجماهيرية.. وأجدني الآن من عشاق حفلات السحور التي يقيمها الأصدقاء، فهناك فرصة للحديث في الفن والأدب والسياسة... سيظل رمضان شهر العمل والعبادة.. وسيظل له طعم جميل مع ليالي القاهرة الساحرة..



زحام في شوارع القاهرة التاريخية استعدادًا لاستقبال شهر رمضان



أحدث إصدارات

الدكتور

زاهي حواس

- المجموعة الهرمية للملك خوفو (موسوعة أهرامات مصر).
- أبو الهول (موسوعة أهرامات مصر).
- 100 حقيقة مثيرة في حياة الفراعنة.
- آثار وأسرار (جزءان).
- مغامرات في وادي الملوك.
- الأسرة أيام الفراعنة.
- توت عنخ آمون.
- لعنة المومياء.. مغامراتي في عالم الآثار.
- الألعاب والتسلية والترفيه عند المصري القديم.
- بناة الأهرام.
- معجزة هرم الملك خوفو.
- المسلات.
- جنون اسمه الفراعنة.
- أعظم الاكتشافات في التاريخ.





عشقي للآثار جعلني أنظر إلى الأهرامات وتوت عنخ آمون وحتشبسوت مثل العاشق الولهان الذي ينظر إلى حبيبته، إن قلبه يخفق بالحب والعشق.. العشق الذي جعلني أعيش في عالم غريب.. عالم الفراعنة.. بكل عجائبه ومعجزاته. وجعلني هذا العشق أحس بأن الحجر ينطق بمعجزات وعجائب هؤلاء العظماء، بل أحيانًا ما تبوح لي مومياء مجهولة الاسم بأسرار حفظتها لآلاف السنين واختارتني أنا لكي تبوح بسرها.. عشق عالم الفراعنة يطوف معي العالم كله وأنا أحكي قصة أعظم حضارة إنسانية عرفتها من خلال السراديب المظلمة والأنفاق الطويلة التي كشفت عنها في حفائري وباحت بالعديد من الأسرار..

أحسست وأنا داخل مقبرة على عمق ٢٠ مترا أسفل الأرض وبداخلها مومياوات أنني أرقص مع المومياوات..

هذا ما حاولت أن أقدمه لكم في هذا الكتاب..

إنها قصة عشق جعلتني أعيش في عالم الفراعنة بكل أسراره وغرائبه..

أتمنى أن ينتقل هذا العشق إلى كل من يقرأ هذا الكتاب.

زاهي حواس

يعتبر من أشهر الأثريين في العالم لاكتشافاته الأثرية المهمة التي يأتي على رأسها (مقابر العمال بناة الأهرام) و(وادي المومياوات الذهبية) و(مقبرة حاكم الواحات البحرية في العصر الصاوي - الأسرة 62 وعائلته)، والتي أحدثت دويًا إعلاميًا هائلاً بأرجاء العالم.

له العديد من المؤلفات بمختلف اللغات، منها كتاب (المرأة المصرية القديمة) -بالانجليزية، واليابانية، والايطالية - و(أبو سمبل.. معابد الشمس المشرقة)، كما صدر له باللغة العربية (سيدة العالم القديم) وباللغة الانجليزية (أسرار أبو الهول) و(أسرار من الرمال) و(العصر الذهبي لتوت عنخ آ[illegible] الى عدد من المقالات والأ[illegible] عن الأهرامات المصرية. و[illegible]دي المومياوات الذهبية) ال[illegible]ات عالمية - أعلى معدلا[illegible]ب الآثار.

6 221133 340953



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
www.nahdetmisr.com